

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الأدب الشعبي

في

جزيرة العرب

تأليف

عبد الرحمن النجدي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأدب الشعبي

في

جزيرة العرب

تأليف

عبد الرحمن النجدي

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ

حقوق الطبع والترجمة والنشر

محفوظة للمؤلف

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الإهداء

إلى الذين يعمرون أُنديتهم بأمجاد الجزيرة ، وبطولاتها ،
ويرون فيها مثلهم الأعلى ، وقدوتهم الحسنة ، ويعملون على ربط
حاضرهم بماضيهم ، ويجعلون من ذلك قنطرة يعبرون عليها إلى
حياة فاضلة كاملة ، تحياها الامة العربية ، ما تعاقبت الأيام
والأعوام . . .

إلى أولئك أهدي كتابي هذا .

عبد الله بن محمد بن خميس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

لا مرأى في أن الأدب الفصيح بماله من مميزات وخصائص في لغته وأسلوبه ، يرتفع نسبياً عن مدارك الطبقة الشعبية العامة ، وليس في مقدوره - مهما حاول أصحابه الدنو والليونة - أن يكسب الشعب طابع الفهم ، والإحاطة ، ومن ثم التنوير ، والتأثير .. بخلاف الأدب الشعبي ، فإن له النفوذ الطبيعي على كافة الطبقات ، والسمة المعروفة لدى كافة الأوساط ، وإن كان في كل أمة يدور في فلكها فقط ، وليس له صفة الأمتداد والذيع .

لذلك أدركت الأمم العريقة في المدنية والحضارة ، ما لهذا اللون من الأدب من أثر في حياة الشعوب ، وفعالية في توجيهها ، وقيادتها ، فانشأت له المعاهد ، وألفت فيه الكتب ، وانشأت له صحافة خاصة وأصبحت له مدارس ، واتجاهات معروفة .. فلم تكن القوميات في دول أوروبا الناهضة ، لتبلغ ما بلغت بدون أن تلعب تيارات الأدب الشعبي أو (الفولكلور) - كما يسمونه - دوراً خطيراً في توجيهها ، ولم يكن (شلنج)

و (هجل) و (فرانسزجروت) وغيرهم من أعلام الأدب الغربي ليلبلغوا ما بلغوا لولا كلفهم بالأدب الشعبي ، ومواجهة الطبقات الشعبية به وجهاً لوجه ، يقول (هويتمان) : « الأدب الشعبي ينبعث من عمل أجيال عديدة من البشرية ، من ضرورات حياتها ، وعلاقاتها ، من أفراحها وأحزانها ، وأما أساسه العريق فقريب من الأرض التي تشقها الفئوس ، وأما شكله النهائي فمن صنع الجماهير المغمورة ، المجهولة ، أولئك الذين يعيشون لصق الواقع » .

ولم تكن جهود هذه الأمم لتقتصر على دراسات الفنون الشعبية ، في بلدانها ، بل لقد دفعها حب الكشف ، والاستطلاع من جهة ، والمطامع السياسية ، والاستعمارية من جهة أخرى ، لأن تولى هذه الناحية في سائر الأمم عنايتها ، والأحاطة بها . فكان نصيب الأدب العربي من دراسات المستشرقين نصيباً وافياً ، لأدراكهم ما وراء فهم هذه الجوانب في الأمم ، من كسب في شتى المجالات مما حدا بـ (البارون سلفستردوساس) أن ينشر ما يزيد عن مائتى مؤلف في علوم الشرق ولغاته^(١) ومن أهم ما عني به هؤلاء (قصص ألف ليلة وليلة) فقد تناولها بالطبع ،

(١) فنون الأدب الشعبي لأحمد رشدي صالح ج ١ ص ٢٤ .

والترجمة ، والنسج على منوالها ، وتحقيقها ، ودرس أجزاء
ونواح منها ، ومناقشات في مقدمتها ، وموطنها الأصلي .. الخ
ما يزيد على عشرين مستشرقاً ، من بينهم (انطوان جالان)
المستشرق الفرنسي ، و (كوسان دوبر سيفال) ، و (أدوارد
جوليتيه) وغيرهم (١) .

ومثلها سيرة عنتره ، وأبي زيد ، وغيرهما ، أما ما استقلوا
به من مؤلفات في هذا الجانب فكثير ، مثل (قصص شعبية
مجهولة من وادي النيل) لـ (يعقوب أرتين) و (الأمثال
العربية) لـ (ج . ل . بركهاردت) و (الأغاني الشعبية)
لـ (جاستور ما سبيرو) و (أصول اللغة العربية العامية)
لـ (هرين) و (لغة بغداد العامية) للدكتور (ما يسر) ،
وغير هذا كثير ، عدا ما تحفل به المجلات والصحف من هذا
النوع ..

ولم يكن لأدباء العروبة في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ،
وغيرها ، ليركوا المجال لهؤلاء المستشرقين وحدهم ، بل لقد
أصبح لهم مشاركات ، وآثار ، أبلوا فيها بلاء حسناً ، أمثال

(١) فنون الأدب الشعبي ١ ص ٢٥ .

الياس بقطر في مؤلفه (معجم العامية في مصر والشام والمغرب) (١) و (معجم الألفاظ العامية) لطنوس الشدياق (٢) و (الصحيح بين العامي والفصيح) لخليل اليازجي (٣) و (مميزات لغة العرب وتخريج اللغات العامية عليها) لحفنى ناصف (٤) و (اللغات المحلية في لبنان وسورية) للدكتور فيليب حتى (٥) و (الشعر واللغة العامية) لجبور عبد النور (٦) ، وغير هذا من الدراسات ، والبحوث المستفيضة في هذا المجال .. إلى جانب ما خلفه قدماء المؤلفين ، من بحوث ، وآثار ، مثل (نزهة النفوس ومضحك العبوس) لابن سودون ، و (هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف) للشربيني ، و (المستطرف في كل فن مستطرف) للابشيهي ، وما قبلها ، وما بعدها ، من تآليف وبحوث ، لا تخلو من فوائد ، وإن اشتملت على شيء من الاسفاف والتدني .

وإذا جئنا نبحث عن الأدب الشعبي في قلب الجزيرة

(١) طبع في باريس عام ١٨٦٤ م وفي القاهرة عام ١٨٧٢ م .
(٢) مخطوط وقد اشارت إليه المجلة الاسبوعية الألمانية في مجلداتها التاسع صفحة

(٣) مخطوط ونشرت بعض بحوثه منفردة .

(٤) طبع بالقاهرة عام ١٨٨٦ م .

(٥) طبع في بيروت عام ١٩٢٢ م .

(٦) لم يطبع بعد .

العربية ، قديماً وحديثاً - وهو أدب خصب ، ذا فعالية ونفوذ - وجدناه يكتنفه الغموض والإبهام ، حتى خفى علينا كثير من معالنه ، واشتبه علينا كثير من صواه ، وأسدل ستار الترك والنسيان على كثير من آثاره ، وأخباره ، وظل مطموراً إلى أن يهـىء الله له من يبعثه من مرقدہ ..

والأسباب والدواعى متوفرة لأهمال ما هو - في نظر الكثير - أهم وألزم ، فكيف بما لا يعبأ به ، أو يرى الاشتغال به ضرباً من العبث ، يحسن برجل العلم الترفع عنه .

لذا كان الأدب الشعبى في جزيرة العرب نسياً منسياً ، وقد كانت دواوينه صدور الرواة ، ودراسته في مجالس العامة ، وعلى ظهور الإبل .. والآن قد انقرض الرواة أو كادوا ، وانصرف العامة في مجالسهم إلى شئون ، وشجون أخرى ، وأصبح ركوب الإبل نادراً ، وظل هذا الأثر في التقلص والاضمحلال !! ..

وعذر الأدباء والعلماء القدامى أنهم - حتى في نظرهم للأدب العربى الفصيح - لا يروونه وينقلونه للدراسة ، والتحليل والنقد ، والوقوف من خلاله على البيئات ، وعادات أهلها ، ووصف أحوالهم ، وتصوير مشاعرهم .. كما هو شأن الدراسات الأدبية الحديثة ... وانما يسردونه سرداً ، ويجمعون شتاته

كنص فقط ، للمحافظة عليه ، وصيانتة !! على أن هذا لا يمنعنا من أن نعترف بفضلهم ، ونرى إن ذلك حسنة ، ومأثرة ، أبقت لنا هذا التراث ، لنقوم من جانبنا - إذا وفقنا - بدراسته ونقده ، وتحليله ، على ضوء الدراسات الأدبية الحديثة .

وعذر أدباء العروبة المعاصرين ، في عدم تعرضهم لهذه الدراسات في جزيرتنا ، لا إخاله إلا غرابة الأدب الشعبي عليهم وعدم فهمهم لحقائقه ، ودقائقه ، في بيئتنا .. والدراسة والنقد ، والتحليل ، لا تكون إلا عن فهم ، وإحاطة ، وتذوق ، وهو شيء مفقود بالنسبة إليهم ... ولا غضاضة أن جهلوه ، فاللغة الشعبية ، وفهم البيئات ، والتقاليد في كل شعب ، وقف على أهلها ... إلا من جرد نفسه وتخصص في ذلك ، وهو أمر من الصعوبة بمكان !!

وإذا فالمسؤولية تقع على عواتق أدباء الجزيرة ، الذين ، يدركون قيمة هذا النوع من الأدب ، في بلادهم ، وما لدراسته من الأهمية ، وهو جزء من آثار البلاد ، وأمجادها ، التي يجب عليهم تنوير الرأي العام العالمي عنها ..

وهذا ما أدركه الدكتور طه حسين ، في بحثه عن الأدب في جزيرة العرب ، حيث يقول :

« ولسوء الحظ لا يعنى العلماء في الشرق العربي بهذا الأدب الشعبى عناية ما ، لأن لغته بعيدة عن القرآن ، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا - بعد - أن ينظروا إلى الأدب على أنه غاية تطلب لنفسها ، وإنما الأدب عندهم وسيلة إلى الدين .. » (١)

وكل ما قام به أدباؤنا - في هذا المجال - هو نتف ، وخطرات ، تنشر في الصحف ، وسرعان ما تذهب نسياً منسياً .. اللهم إلا ما قام به الأستاذ المغفور له (خالد الفرج) من عمل يعد فيه جامعاً ، لا دارساً ، ومنتقياً ، لا مستقصياً .. فقد أورد جملة من عيون الشعر النبطى ، لشعراء محدودين ، ووضع عليها تعليقات تحل رموزها ، وتقرب بعيدها ، ولكنها مجة من لجة ، ونزر من بحر .

وخرجت بعد خالد مجموعات من الشعر النبطى ، نهج فيها نهجه ، ونسج على منواله ، إلا أنه حشد فيها الشعر حشداً ، فاتسمت بالفجاجة والضحولة ..

وعلى كل فهذه محاولات ، وبداية شعور بالمسئولية ، وفهم لقيمة هذه الدراسة على ضوء ما يوحى به الأدب المعاصر في نظرتة إلى الحياة ..

(١) الحياة الأدبية في جزيرة العرب للدكتور طه حسين ص ٢٥ .

فبناء القصيدة متشحة بالفاظ التهويل ، والتدبيح ، ورصفها على نمط تقليدي ، يستوحى من شعر القرون الخالية .. لا يعبأ به الأدب المعاصر ، ولا يقيم له وزناً ، بقدر ما يحفل بالقصيدة ، أو القطعة ، تنبض بروح المجتمع ، وتتفاعل معه ، وتذوب فيه ، حتى ليسرف بعضهم ، فيغض عن الهنات تخذش الفصحى ، وتخل بالوزن ، في جانب أنظامها في سلك هذه الأغراض ، ونهلها من معين مجتمعتها ... ومن أجل ذلك أصبح للأدب الشعبي - في نظر الأدب المعاصر - قيمة لا يستهان بها ، لانه وحى المجتمعات ، والسفير بين دارس أحوال الأمم ، وبين مجاهلها ومنعطفاتها ، سواء منها دواوين الملوك والأمراء ... أو الأكواخ ، والكهوف ... مما حدى بالكتور طه حسين ، ليجعل هذا الأدب الشعبي - في جزيرتنا - قسيماً للأدب العربي الفصيح ، إذ يقول :

« .. وعلى كل حال فان في جزيرة العرب أدبين مختلفين ، أحدهما شعبي يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير لا في جزيرة العرب وحدها بل في البوادي العربية كلها ، في الشام ومصر ، وأفريقيا الشمالية ، وهذا الأدب - وإن فسدت لغته - حى قوي ، له قيمته الممتازة ، من حيث انه مرآة صافية لحياة الأعراب ،

في باديتهم ، وهو في موضوعاته ، ومعانيه ، وأساليبه ، مشبه كل الشبه للأدب العربي القديم ، الذي كان ينشأ في العصر الجاهلي ، وفي القرون الأولى للتاريخ الاسلامي ، ذلك لأن حياة العرب في البادية لم تتغير بحال من الأحوال ، فحياة القبيلة الاجتماعية والسياسية والمادية الآن كما كانت منذ ثلاثة عشر قرناً ..

فطبعي أن يكون الشعر المصور لهذه الحياة ، كالشعر الذي يصور الحياة القديمة ، وإن كان موضوعه ما يقع بين القبائل من حروب ، ومخاصمات تدعوا إلى الفخر ، والمدح ، والهجاء ، والرثاء ، وما يثور في نفس الأفراد من أنواع الآلام ، واللذات التي تدعوا إلى الغناء بالشكوى حيناً ، والحب حيناً آخر ، والعتاب مرة ثالثة .. »

ويمضي الدكتور طه حسين في ذكر الخطابة ، والخطباء الشعبيين ، إلى أن يقول : « وهذا الأدب العربي الشعبي يروي في البادية جماعة من الرواة يتوارثونه عن آبائهم ، ويورثونه لابنائهم ، ويكسبون بروايته حياتهم المادية ، ومكانتهم الممتازة أحياناً ... » (١)

(١) الحياة الادبية في جزيرة العرب ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

وهذا الذي قاله الدكتور طه حسين بعض مما ينبغي أن يفهم عن الأدب الشعبي في جزيرة العرب عموماً ، وعن الشعر النبطي خصوصاً ، فقد لعب هذا الشعر في الجزيرة العربية دوراً ربما يصل إلى درجة الغرابة والاستبعاد ، عند من لا يعرف حقيقة المجتمع في هذه الجزيرة ، وينظر - بطبيعة الحال - إلى هذا الشعر على أنه شعر شعبي ، خاص بالسوقة ، والطبقة الدنيا من الناس ، يقطعون به فراغهم ، ويعمرون به مقاهيهم وأنديتهم ، ويستعين به أصحاب المهن على مهنتهم ، يلحنونه ، ويتغنون به .. وهكذا شأن هذا اللون من الشعر لدى المجتمعات الأخرى ... أما أن يجفل به الملوك ، والامراء ، والقادة ، ويستمع إليه عليه القوم ، وصفوة المجتمع ، وأما أن يلهب أحساس الأمة ويذكى فيها نار الانفعال ، والتذمر ، وأما أن يتخذه العاشق الولهان أداة للتعبير عن شجونه ، ووسيلة لنشر مكنونه .. أو على الأصح يستعمل كما كان الشعر العربي الفصيح يستعمل ، في أغراضه ، واتجاهاته ، ومناحيه .. أما أن يكون بهذه المثابة ، فليس إلا ما كان في جزيرة العرب ، فلقد أثاب الملوك عليه وأكثروا ، وأمعنوا في العقاب عليه وأهدروا ، ولطالما أصاغت المحافل للشاعر يتربع عن يمين الملك أو الأمير ، أو يحتل الصدارة في المنتدى الكبير ، ويبدو في غطرسته وكبريائه

كما يبدو أبو الطيب ، أو البحتري وكأن لسان حاله يقول :

أجزني إذا أنشدت شعراً فانما
بشعري أتاك المادحون مردداً

ودع كل شعر غير شعري فأننى
أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

حتى ليحكى عن العوني(*) (شاعر الحماسة ، ومشعل
الحروب) انه إذا طلب منه أن ينشد أو يقص فلا بد أن ينصت
كل من في المجلس كثروا ، أو قلوا ، وإذا ندت من أحدهم
كلمة ، أو همسة ، ترك القصص ، أو الإنشاد وربما غادر
المجلس ! .

والعوني هذا - بحكم اتجاهه الشعري الخاص بالحماسة ،
والهاب شعور المجتمع - لعب دوراً لا يستهان به في الظرف

(*) هذا الشاعر هو محمد بن عبد الله العوني ، أشهر شاعر شعبي في الحماسة ،
وأكبرهم شخصية لدى الملوك ، والأمراء ، والرؤساء ، لعب دوراً لا يستهان به في
الحزيرة العربية إبان اضطرابها وتأرجحها ، وأهله شعره لمكانة اجتماعية ، لا تدانى ،
رغم خمول نشأته من إحدى قرى القصيم الصغيرة ، وهي قرية (الربيعية) وقد رزق مع
هذه الشاعرية الاستفزازية المتدفقة شخصية قوية نابهة ، ورأياً صائباً حكيماً ، لولا
ما داخله من غرور جعله يصادق هذا تارة ويتنكر له أخرى ، ويمدحه تارة ويؤلب
عليه أخرى ... فابكتشف الملك عبد العزيز آل سعود هذه الخطة فرمى به في سجن
الأحساء حتى هلك فيه عام ١٣٤٢ هـ .

الذي كانت فيه الجزيرة العربية تغلى غليان الرجل ، بالفتن والحروب ، وكانت الحرب بين ابن سعود وابن رشيد قائمة على قدم وساق ، وكانت سجالات بينهما ، وكان وطن العوني بلد القصيم ، وكان حينذاك متأرجحاً بين ابن سعود وابن رشيد ، بحكم توسطه بينهما ، وما يمتاز به من ثروة في المال والرجال ، وفوق أن للعوني تأثيراً كبيراً على كثير من سكان الجزيرة ، فله مكانة اجتماعية في وطنه ، لذا فإن كلا من المتحاربين ينظر إليه كما ينظر إلى زعيم روحى ، أو سياسى ، يقود الجماهير ، ويوجهها ، حتى صار كل منهما يخطب وده ، ويرغب استمالته إليه ، ومن ثم جعل العوني يلعب على الحبلين ، وأدركه داء أبي الطيب ، ومن على شاكلته ، فجعل يمدح هذا تارة ، ويهجوهِ أخرى ، ويؤلب عليه تارة ، ويدعو له أخرى ، ويؤثر عنه انه يقول : « ليست العبرة بالذي يدبر الجيوش ، ويقودها ويحارب في الميادين ... بل العبرة بالرجل الجالس أمام موقد قهوته ، ويستطيع وهو في جلسته هذه أن يشعلها حرباً ضروساً ، بين من يشاء من القبائل ! ! » .

ونحن إذا نظرنا إلى حالة الجزيرة العربية في ذلك الزمن ، وما هي فيه من فتن ، واضطرابات ، شغلتها عن كثير

من شئون حياتها ، ندرك من خلال هذا ما لهذا اللون من الشعر
من تأثير عليها آنذاك ، حيث استطاع العوني صاحب هذا
الاتجاه ، وزعيم الشعر الحماسي ، أن يضرب على الوتر ، ويستغل
غفوة الدهر ، يقول فيسمع لقوله ، وينشد فيترك في الدنيا
دويًا هائلًا ، وليس أدل على ذلك من قصيدته المسماة (الخلوج^(١))
وقصتها ان عبد العزيز بن متعب آل الرشيد حاكم حائل آنذاك ،
أناخ بكلكله على القصيم وجعل يقتل ، ويخرب ، ويفسد ،
كما هي عادته ، وسياسته التي لا تعرف للحكم معنى
إلا عن طريق قعقعة السلاح ، وفوران الدماء ، فانتضى العوني
سلاحه ، متمثلا في مقول يطبق المحز ، ويصيب شاكلة القول ،
فبعثها صرخة مدوية لمهاجري قومه في سورية ، وكانوا إذ ذاك
من الكثرة والقوة بمكان ، حيث يتزعمون تجارة الجزيرة
العربية في الإبل والخيول والغنم هناك ، وشراء ما تحتاجه من تلك
البلاد ، ويطلق على هذا الصنف من الناس اسم « عقييل » يستهل
قصيدته بذكر ناقة فقدت ولدها بين قطعان الماشية ، فجعلت
ترجع الحنين ، وتكسر العبرات :

(١) الخلوج : الناقة فقدت ولدها .

خلوج تجذ القلب بأعلى عوالها

تكسر بعبرات تحطم سلالها (١)

تهيض مفجوع الضمائر بحسها

إلى طوحت صوت تزايد هجالها (٢)

ويمضى في قصيدته هذه نادباً شاكياً باكياً مستصرخاً إلى

أن قال :

لا تتبعون الهون والعجز والعسى

أو ربما أوليت يتعب سؤلها (٣)

تري مركب الأخطار هو مصعد العلى

ولا يدرك العليا غيور شكى لها (٤)

وتصل إليهم هذه القصيدة ، فتدب فيهم روح الغيرة ،

ويتملكهم شعور الثأر ، وحماية الذمار ، وينادي فيهم منادي

الرحيل ، وتقوم هناك سوق السلاح ، وترتفع أثمان الإبل ،

(١) تجذ : تقطع . عوالها : حنينها . تكسر : ترجع . سلالها : جمع سلة وهي

السيف والخناجر مجردة عن الاغمد ونحوها .

(٢) تهيض : تشجي . حسها : صوتها . إلى : بمعنى إذا . طوحت : ارسلت

الصوت . هجالها : اضطرابها .

(٣) العسى : أي التعلل بعسى . يتعب سؤلها : لا يفيد التعلل بها إلا التعب .

(٤) ترى : كثيراً ما ترد هذه الكلمة في الشعر النبطي ومعناها : إن . مركب :

ركوب . شكى لها : أي أشتكى من وعورة طريقها .

ويسود دمشق جو من الحركة ، والتأثر ، وبعد مدة وجيزة ،
تخرج حمراء ململمة ، جيشاً ، وخيلاً ، وتحناناً ، وتصهلاً ،
فيصلون إلى بريدة ، ويلتف حولهم من التف ، وينازلون ابن
الرشيد في (الطرفية) ويكون يوم يشيب وليده ، وما النصر إلا
من عند الله .. وهكذا تكون هذه القصيدة النبطية مثار حرب
طاحنة يموت فيها المئات من البشر .

ويمضى العوني على هذا المنوال كلما المت بمن حوله نازلة ،
أو ضيق عليه الخناق ، أرسلها شعلة ملتهبة تفعل مالا تفعله
الجيوش ، يقول مستنفراً قبيلة شمر حينما حوصر ابن الرشيد
في (ياطب) .

وين الطنايا وين شرابة الهيل

وين الجمال إلى تشيل الثقايل (١)

وين السيوف إلى تعدل عن الميل

وين الرماح إلى نحت كل عايل (٢)

(١) وين : بمعنى أين . الطنايا : الغير ، وهي ندبة لشمر ، شرابة الهيل ، كناية
عن انهم أهل كيف ، وهو دليل على السماحة والكرم . إلى : التي . تشيل الثقايل :
تحمل الاثقال . والمراد هنا الصبر والجلد .

(٢) إلى نحت : التي صدت وابتعدت . كل عايل : كل معتد غادر .

نشرب بهم صافي القراح الشهايل
وننزل بهم غصب على كل طایل (١)
غلبا ترى بلدانكم لبست النيل
تنخي الرجال ومكرمين الاصايل (٢)
وله قصيدة أخرى في نفس الغرض ، حينما حاصر الملك
عبد العزيز حائلا ، مطلعها :
مضى الليل وانحن النجوم وقام
لظى الصبح يجلى عن سناه ظلام (٣)
وقصيدة ثالثة في آل سعدون :
تقولون ديانا علينا تغيرت
تغيرتوا انتم ما عرفتوا غيورها (٤)
الايام هي الايام ما زاد عدها
سنينها هذي وهذي شهورها (٥)

-
- (١) نشرب بهم : لا نُمنع عن الماء بوجودهم . صافي القراح الشهايل : الماء العذب البارد . ننزل بهم : من أجلهم . غصب : رغم . كل طایل : كل مكان عال .
(٢) غلبا : ياغلبا وهي ندبة لقبيلة شمر ايضاً . ترى : إن لبست النيل : أي لبست سواد الذل . تنخي : تندب . مكرمين الاصايل : الخيول الاصيلة .
(٣) انحن : انحدرن للمغيب . قام : بدأ ، وفاعله لظى . يجلى : يجلو . سناه : نوره .
(٤) تغيرتوا : تغيرتم . غيورها تغيراتها .
(٥) عدها : نظامها الذي تسير عليه .

لا شك غيركم هماليح مبغض

وذل حشا لباتكم في صدورها (١)

ماتا نفون العار والذل والردي

انعوا نساكم يوم ضاعت بزورها (٢)

ونهاية هذا الشاعر الفحل أن يجره شعره ، وما أكسبه من
شهرة جعلته في صفوف الرجال الخطيرين القمنين باحداث
الانقلابات والفتن ... ان يجره ذلك إلى غياهب السجون يتهري
لحمه فيها ، ثم يشيع منها إلى مقره الأخير ! ! ..

أما عبد العزيز بن عيد صاحب (البرة*) المسمى
با (العزّي) فله هو الآخر صولات وجولات ، في هذا الميدان

(١) لا شك : ترد هذه العبارة كثيراً في الشعر النبطي ، وهي ليست على معناها
اللغوي بل معناها عندهم : (لكن) . هماليح : وسوسة ونفثات . حشا : ملأ .
لباتكم : جمع لبة وهي اسفل العنق مما يلي الصدر والمراد اترع الذل صدوركم .
(٢) تائفون : تستنكفون . الردي : عندهم الخسة والجبن . انعوا : ابكوا
ضاعت : ظلت . بزورها : أولادهن .

(*) هو الشاعر عبد العزيز بن عيد من آل عجلان اهل (البرة ، ورغبة) ،
الهذليين وهو شاعر مجيد ولكنه مقل ، اشتهر بجزالة الشعر ورصانته ، وحسن ديباجته ،
ومن شعره :

لا تامن الدنيا ولا ترتهي به تقبل وتعطي عند الاقفاي عرقاب
ان ادبرت قصت محوص قطيبة وان اقبلت فادني شريط لها جاب
ولو لم يكن من شعره إلا هذان البيتان لكفاه فخراً ، كيف وقد ابدع في المدح
والاعتذار ... الخ .

أهدر دمه من أجلها ، وكان له اعتذار بلغ من القوة والجزالة
الحد الكبير ، ولشعره على وجه العموم تأثير جيد ، فلقد مدح
(الجرباء) أحد مشائخ بادية شمر ^(١) بقصيدة منها :

يا الزير يا الزحار يا النمر يا الذيب
يا الليث يا اللايوث يا الشبل يا الداب ^(٢)
نطاح طابور العساكر إلى هيب
بالسيف لارقاب المناكير قصاب ^(٣)
عيبه إلى من قالوا الناس به عيب
للسمن فوق مفطح الحيل صباب ^(٤)

ويقال إنه لما أمعن في إيراد هذه الألفاظ الجزلة بهذا
الأسلوب الشعري القوي ، وكان (الجرباء) متمنطقاً بمنطقة
ذهبية ، وبها خنجر ثمينة ، شعر الممدوح بالزهو والإعجاب ،

(١) وتروى لغيره .

(٢) الزير ، والزحار ، والليث ، واللايوث ، والشبل : كلها من أسماء الأسد
عندهم . الداب : ايه .

(٣) نطاح : صيغة مبالغة ومعناها مبارز . طابور : الكوكبة من الجنود . إلى :
إذا . لارقاب المناكير : لرقاب الشجعان . قصاب : جزار .

(٤) إلى من : إذا ما . مفطح : عجز . الحيل : الغم التي لم تحمل مدة سنة أو
سنتين . صباب : صيغة مبالغة في كثرة الصب .

وتعاضم حتى لم تقو هذه المنطقة على تحمله فانبرت وكانت
أولى هباته للشاعر ! !

وبالجملة فالشعر النبطي كانت له لدينا مكانة لا تبارى ،
فهو إذ ذاك صحافتنا ، وهو أدبنا ، وهو أداة التعبير لدينا ،
فحتى العلماء يتذوقونه ، ويحفظون مليحه ..

ويندر أن يوجد أحد من ملوك الجزيرة السابقين ، وأمرائها ،
وقادتها ، وزعمائها ، ليس له شعر ، بل لقد اسهموا في هذه
الناحية وتركوا لنا فيها تراثاً جزلاً .. ولا سيما في مجالى الفخر ،
والحماسة ، وعند معمران الحروب ، وبعد الانتصارات والادلال
بالنفوس ، والاعتداد بها ، وسوف نتعرض لشعر هؤلاء في فصل
خاص ، من كتابنا هذا .

ونقول - ولا نستثنى - إن هذا النوع من الشعر قد تبوأ
في الجزيرة العربية المكان الذي تبوأه الشعر الفصيح سواء
بسواء ، مئات السنين ، غير ان النهضة الحديثة قد أخذت
تنقصه من أطرافه ، وتطوي ظله ، ونرجو أن يحل محله شعر
يستقى امتداده من معين الفصحى ، ويتمثل فيه الشعر العربي
الناضج في أوزانه ، وقوافيه ، وأغراضه ، ومناحيه . وأن ينبعث
عن بيئتنا ويستقى من مجتمعنا ، لا أن يكون شعراً تقليدياً ،

استوردت معانية ، وأوزانه ، وأغراضه ، ونماذجه ، مع كل ما نستورده من غث وسمين ..

ولقد كان لى في عهد الصبا ولع بهذا الشعر ، وتشبث فيه ، فكنت أحفظ جيده ، وأحتك بشعرائه ، ورواته ، وتجري لى معهم مساجلات ومذاكرات فيه ، وكنت أقرضه ، وأي خلل يظهر في أي وزن من أوزانه ، أدركه بسرعة ، ولكنى شغلت عنه - ولا أسف - بغيره ، فأخذ يتلاشى من ذاكرتي ويتقلص مع مرور الزمن ، حتى لم يبق منه إلا صبايات في تضاعيف الذاكرة ، ولكن ما أدركه من قيمة لهذا اللون من الشعر في ذلك العهد ، ومن أثر بالغ لدي تلك الأوساط وما يفرضه على الواجب - ككاتب حذق ذلك الجانب وعرف ما للأدب الشعبى من قيمة - وما أدركته من عزوف أدبائنا عن المشاركة في هذا المجال . كل ذلك كان حافزاً لى على تأليف هذا الكتاب ، ولا شك أنه الأول من نوعه في بلادنا ، وسيري القاريء أن ما بذل فيه من جهد ، ووقت ، وبحث ، وتنقيب .. عمل ليس باليسير . ومجهود جد خطير لا سيما إذا أدركنا أن مادته لا تستقى من أصل سبقنا إليه ، ولا تعود إلى مهيع سلكه غيرنا ! ! .

هذا ولا ندعى أننا لم نترك مقالا لقائل ، وأننا أصبنا
شاكلة القول ، وطبقنا المحز ، فتلك شنشنة المغرورين ، وهجيري
المهوسين .. ولكننا نثبت حقيقة سوف لا يغمطها التاريخ ،
ولا يجعلها المنصفون ، وهى تبرز في نماذج البحوث ، وأمثلتها
وشواهدا ، تلتقط من أفواه الرواة ، ومن نصوص مبعثرة
مشوشة ، أخنى عليها التحريف ، والخلط ، واختلال الأوزان ..

ولما كان مثل هذا البحث يفتقر إلى إعطاء القاريء إلمامة
موجزة عن نشأة الشعر العربي ، وتطوره ، وامتداده ، وعلاقته
باللغة ، ثم ما جد عليه من ترف وليونة في مبانيه ومعانيه ..
كان لابد لنا من تناول هذه النواحي كتوطئة للدخول على صميم
الموضوع . وكان لابد لنا من أن نعرف كلمة (نبط) ومن أين
جاءت ، وما علاقتها بهذا الشعر ، ومتى وأين وجدت .. الخ
ومتى ، وأين نشأ الشعر النبطي ، وعلى أي صفة تلقفته الجزيرة
العربية ووجد منها أهلا ، وموطئا سهلا ، ثم ما يقوم عليه هذا
الشعر من قواعد ، ومميزات ، وخصائص ، تكون عوناً للقاريء
على فهمه وتذوقه ، أردفناه بشرح قصيدة كاملة كأنموذج بين
ييدي الدارس ، تشف عن منهج هذا الشعر وأسلوبه ..

وسيرى القاريء نماذج من شعر الملوك ، والأمراء ، والقادة
الذين كلفوا بهذا الشعر وخلدوه ، وعلاقة هذا الشعر بالشعر
العربي ، في أغراضه ، من مدح وهجاء ، ووصف وغزل ، ورثاء
وحكمة .. الخ .

ثم إلى أسلوب القصيدة في هذا الشعر ، وعلى أي مثال تأتي
ومدى تقليد هذا الشعر لصنوه العربي ، ثم تصوير البيئة ،
ومقدار ما يعطى هذا الشعر فكرة عن أمة في حياتها الاجتماعية
والمادية والدينية .. الخ وكيف يلتقى مع الشعر العربي في طرق
المعاني ، والتوافق فيها بدون سرقة أو تقليد ، وأحياناً باتفاق
المعاني والألفاظ ، من باب توارد الخواطر ، ثم نزوع الشعر
النبطى إلى العربي ، وكيف يوجد كثير من بيوته ، مستقيمة
اللغة والوزن والقافية ، بدون أيما تحوير أو تغيير .

وسيجد أن الشعر النبطى غنى بالصور البلاغية معانيها ،
وبيانها ، وبديعها ، في ما يمر في هذا الباب من نصوص ،
وأمثلة ، وشواهد ، كما وأنه قد أدركه ما أدرك الشعر العربي
من ترف ، تجد أن شعراءه ، أطلقوا العنان لأنفسهم في الطلاء ،
والقشور التى تخرج بهذا الشعر عن متانته ، ورصانته !!

ثم علاقة هذا الشعر باللهجات في الجزيرة ، وادراك لهجة كل قوم أو أقليم من شعرهم ، وإيراد شواهد على ذلك . وكما يقتضى البحث الإلمام ولو بشيء يسير عن هذا الشعر في الأقطار العربية الأخرى ، وتباين ما بينها في ذلك .. وكيف أن هذا الشعر في كل قطر - غالباً - يحمل طابعاً خاصاً ..

وسيرى أن هذا الشعر له أدوار ، وأصوات ، ومقاطع ، يختص كل قسم منها بحالة معينة ، على اختلاف الشعبين في أدائه ، وأحواله التى يعرض فيها ، ومناسباته التى يساق إليها .. الخ .

ثم أننى أخذت على نفسى ألا يمر شاهد أو أنموذج إلا وشرحت ألفاظه اللغوية العامة شرحاً موجزاً ، في حين أننى لم أتعرض إلى المعاني ، وتركيب الجمل ، إلا نادراً ..

ولعل بعض القراء يأخذ على استقصائى في شرح المفردات اللغوية العامة ، إذ أن بعضها واضح مفهوم ، ولا شك أننى عند حسن ظنى بالقاريء ، ولكننى أثق أنه سوف يقرأ هذا الكتاب من هو بعيد كل البعد عن عاميتنا ، ولا أريده يقف أمام رموز لا يجد سبيلاً إلى حلها ..

ولقد سميته « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » ، رغم أن
الأدب الشعبي أو « الفولكلور » - كما يسمونه - يشمل الشعر
الشعبي ، والمثل الشعبي أو الأحداث - القصة الشعبية - إلا أنني
تجاوزت في التسمية لأمرين :

الأمر الأول : مالدي من عزم على تناول بقية ما يشملها هذا
الاسم . بالتأليف في شكل سلسلة ، يكون هذا الكتاب الحلقة
الأولى منها .

الأمر الثاني : ان المثل ، والحكاية ، العاميين لا ينسبان إلى
الشعر النبطي ، في قوه تأثيره ، واحتفاء الجمهور به ، والمكانة
التي وصل إليها في هذه الجزيرة العربية ، مما لا يصح معه ان
نجعلهما قسيمين له ومما أباح لنا التجوز في التسمية ...

ولياحظ القاريء أنني لم أضمن هذا الكتاب من النصوص ،
إلا ما تطلبه البحث ، أو دعت إليه المناسبة ، إذ ليس من خطتي
في هذا المؤلف حشد النصوص ، حتى ولو استملحتها ، واستجدتها
لثلا نخرج بالكتاب عن غرضه ، وليعذرني القاريء حينما سيري
ما أوردته من النصوص جاء على غير القواعد العربية في الإملاء
ونحوه ، فإنني لو حاولت التغيير والتبديل في بعض نصوصه
المترادفة لاختصتها للقواعد الصحيحة ، لأوقعت القاريء المتذوق

لهذا الشعر في لبس ، قصاري ما يقول عنه : أننى غير ملم
بأوزان هذا الشعر وألفاظه ، وقد تناولت هذا الموضوع في باب
خاص ، هو « من خصائص شعر النبط » . بما يكفى عن
الاطالة هنا .

عبد الله بن محمد بن خميس

نشأة الشعر العربي

يجدر بنا أن نقدم بين يدي بحثنا عن « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » شيئاً عن نشأة الشعر العربي ، وتطوره ، وأغراضه ، والعوامل التي اعتورته ، والمؤثرات التي طرأت عليه ، حتى رأينا منه لوناً خاصاً يدنو منه بوشيجة ، وينأى بآخرى ، وهو ما نسميه : (الشعر النبطي) ، ولم يكن لنا من قصد نتوخاه إلا رد الفرع إلى أصله ، ونسب الماء إلى ينبوعه ..

يذهب كثير من الباحثين إلى أنه لا يعرف - على وجه التحديد - الزمن الذي بدأت منه أولية الشعر العربي ، ولا من هو أول من قرضه ، ولا البلاد التي نشأ فيها ، إلا أن مؤرخي الأدب يكادون يجمعون على أنه أقدم الآثار العربية عهداً ، ويعللون ذلك بأنه أقرب إلى طبيعة العربي الأول ، وألصق بعاطفته وأخيلته الساذجة المحدودة .

ومن جراء هذا الغموض الذي يكتنف أولية الشعر العربي ، يتردد في الأذهان سؤال حائر ، عن الكيفية التي بدأ بها الشعر ، والأطوار التي مر بها ، وهل كان نتيجة لتدرج العربي به على سبيل الترقى من الكلام المرسل ، إلى المسجوع ، إلى الموزون المقفى ؟.

يرجح كثير من مؤرخي الأدب العربي هذا الرأي ، ويبدو أنه الأقرب إلى الحقيقة لما ندركه من أن الشعر يحتاج إلى العمل ، واستدرار القريحة ، وتملق العاطفة ، بينما النثر المرسل ، يأتي عفو الخاطر ، وطوع الطبيعة ، ويقع السجع في مرتبة بين بين ، مما يدل على أن الشعر لم يصل إلى ما وصل إليه ، إلا بعد كد الذهن ، واجتياز مراحل الترقى . . وأيضاً فان ما أثر عن كهان العرب ، وحكمائها الموغلين في القدم ، من أسجاع قيدوا بها حكمهم ، وصوروا بها نتائج تجاربهم ، نراها جاءت في زمن يعتبر فترة انتقال من النثر المرسل إلى السجع ، لما له من وقع في النفس ، وتأثير على السامع ، يسمو عن مستوى النثر ، ويقل عن الشعر ، ويدل لذلك أن « قس بن ساعدة » أحد حكماء العرب ، ومن جاء قبيل الاسلام ، وبعد انتشار الشعر في بعض الأوساط العربية ، جمع في التعبير عن حكمه وتجاربه ، بين السجع ، والشعر .

على أن طبيعة الشعر نفسه ، قد تعطينا الدليل على هذا ، فالرجز ، وهو أخف أوزان الشعر العربي ، حفلت به دواوين الشعر الجاهلي ، ومثله سائر البحور التي هي سهلة الانقياد ، قريبة المتناول .

وظل الشعر يترقى في أوزانه وأساليبه وأغراضه ، كلما أمعن
العربي في الاحتفاء به ، والتنافس فيه ، حتى وصل إلى المنزلة
المعروفة عنه ، وحتى أوغل العرب في التلاعب بألفاظه ، وإدخال
الصنعة عليه .

وأيا ما كان ، فالحقيقة التي لا مرأى فيها ، هي أن هذا
الشعر الذي حفظه الرواة ، ودونة المدونون ، عن عصور الجاهلية
القديمة ، لم يكن إلا فيضاً من غمر ، وموجة من بحر ... وأنه
لم يوجد هكذا عفو السجية ، موزوناً مقفى ، له حدود وقيود
بل لا بد فيه من أعمال فكرة ، وتردد نظرة بعد نظرة ، ولا بد
أن له محاولات عفى عليها الدهر ، ولم يدركها عصر الرواية ،
والتدوين ، فذهبت فيما ذهب ، ومن ذهب .

وما حفظ من هذا الشعر يعطينا أصدق دليل على نسبته إلى
أصل أصيل ، ونبع ثر جليل . . يقول زهير بن أبي سلمى :

ما أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مَعَاراً
أَوْ مَعَاداً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُوراً

ويقول امرؤ القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن حذام

ومن مطلع لعنترة :

هل غادر الشعراء من متردم

أما أقدم شعر حفظته الرواة ، ونقل إلينا مدوناً ، فقد جاء هو الآخر محفوظاً بكثير من الخرافات ، والشبهات التي تجعلنا في شك من نسبته إلى قائله ، فقد أثبت ابن جرير - وهو إمام المؤرخين - نقلاً عن بعض الرواة بيتين من الشعر ، عزاها إلى آدم عليه السلام ، قالهما حزناً على ابنه هابيل بعد قتله ، وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها

فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم

وقل بشاشة الوجه المليح

كما قد أورد بيتين آخرين ، أجيب بهما آدم .

وذكر المسعودي في خبر وفد عاد على معاوية بن بكر سيد العماليق ، وكانوا يومئذ أهل البيت ، وكان في الوفد رجل يدعى (قيل بن عمرو) وكانت تغنيهم قينتان لمعاوية بن بكر مدة اقامتهم ، فاشفق عليهم معاوية وكانوا اخواله ، فأمر قينتيه - واسمهما الجرادتان - أن تغنياهم بهذه الأبيات :

ألا يا قـيـل ويحك قم فـهـيـم
لعل الله يمـطـرنا غـمـامـا
فيسقى أرض عاد ان عاداً
قد امسوا لا يبينون الكلاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبـح وفـدكم من وفـد قوم
ولا لقوا التحية والسلاما (١)

ويروي أيضاً شعراً نسبته إلى ملك سبأ ، حينما اجتاحتهم
سيل العرم ، وخرب سدّهم . في أسطورة زعموا فيها أن الجرذ
قلب من هذا السد صخرة لا يقلبها خمسون رجلا !! فتم انهيار
السد بعد ذلك ، ومن هذا الشعر :

من جرذ كفحل خنزير الأجم
أو تيس صرم من أفاويق الغنم
يسحب صخرا من جلاميد العرم
له مخالب وأنياب قضم

(١) أخبار الزمان ص ٨١ .

وهناك روايات أخرى ، كزعمهم نظم أحد العرب لسفر
أيوب ، في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، على صورة الشعر
التمثيلي .. وروايات أخرى لا تقوم على أساس من الرواية ، بل
تبدو عليها آثار الصنعة الساذجة في خيالها وتركيبها ومعانيها ..

وقصاري القول ، أننا لا يمكن أن نعتبر ما تجاوز حرب
البسوس ، أو ما قبلها بقليل مما نقل إلينا .. سليما في روايته
خاليا من الشكوك ، والشبهات .

ومن هذا نخرج بنتيجة ، وهي أننا لا يمكن أن نعرف
أولية الشعر ، ولا الزمان والمكان الذي بدأت فيه هذه الأولية ،
وأن ما تقدم حرب البسوس ، أو ما قبلها بقليل ، مما نقل إلينا ،
لا نشق في صحة روايته ، ولا سلامته من الصنعة ...

تطور الشعر العربي

والشعر كفن ساير الأمم منذ عصورها البدائية ، إلى يومها هذا . . . لا بد وأن يتكيف معها ، ويتقصر مع كل زمن ما يناسبه ، ويرقى برقي أمته وينحدر بانحدارها ، وهكذا رأينا الشعر العربي يبدأ - أول ما بدأ - (وهذا على ما اخترناه من كيفية نشوء الشعر العربي) بالسجع ، وهى الجمل الموقعة ، سمي بهذا لأنه تشبه نغم الحمامة وتسجيعها ، وهى مما يقع تحت حس العربي الأول ، ومن هنا جاءت التسمية . . . وكان - غالباً - محصوراً في الصوامع ، وأديرة الكهان ، وفي ما يتصل بالديانات والالاهيات ، ثم ينتقل من هذا المحيط ، إلى المغاني والمراجع ، وإلى ظهور الإبل ، وصهوات الجياد . . . فيتخذ شكلاً آخر ، وهو الرجز ، يحدى به في الدولليانق ، فتحن إليه ، وتسيل بأعناقها النجاد ، والوهاد . . .

وكما قالوا : إن السجع مأخوذ من سجع الحمامة . قالوا كذلك : إن الرجز مأخوذ من إرقال الناقة ، ووقع خطوها ، فكان تقطيع الرجز يوقع على خطو الناقة .

ومن أساطير العرب ، أن أول من رجز (مضر بن نزار)

سقط عن جملة فانكسرت يده ، فجعل يردد ، وايداه ايداه ! بصوت
شجي ونغمة بارعة ، فالتفت حوله المطي ، وجعلت تطس
الارض بمشافرها ، طرباً لهذا الصوت ، ومن ثم ركبوا على
هذا الوزن ما سمي بالرجز !!

والرجز هو أخف بحور الشعر العربي ، وأوقعها نغمة ، ولأجل
خفته ومرونته ، أتخذها العلماء مطية ، لنظم المتون العلمية ،
والوقائع التاريخية .. ويمضي الشعر في السمو والارتقاء ، يتلقفه
جيل بعد جيل ، ويتبلور مع مرور الزمن ، وتتابع الأحداث ،
حتى أصبح له بحور متعددة ، وأغراض مختلفة ، وحتى وجد
سبيله إلى الحواضر ، والمدن ، وبلاطات الملوك ، ودواوين
الأمراء ، وكان له في السياسة شأن وأي شأن .. يحدثنا الثعالبي في
كتابه (يتيمة الدهر) عن أطوار الشعر العربي في عصوره التي مرت
به ، وكيف وجد في كل عصر ، يزهو في حلة أبهى وأجمل من
حلته في العصر الذي قبله ، فيقول :

« .. كانت أشعار الاسلاميين ، أرق من أشعار الجاهليين ،
وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين
أبدع من أشعار المحدثين ، وكانت أشعار العصريين أجمع
لنوادير المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع ، من أشعار سائر

المذكورين ، لانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى
نهايات الجودة ، والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب ،
إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر
لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم .
أتم الألفاظ والمعاني ، استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً
من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة ... (١) .

يقول هذا الثعالبي وهو المتوفي في أوائل القرن الخامس
الهجري ، فكيف لو رأى الشعر في بقية عصوره الزاهرة ! !

وعلى هذا فيمكننا القول ، بتطور أغراض الشعر ومعانيه
مع تطور أوزانه ومبانيه ، وتجاوزه وصف الناقة والجواد ،
والغيث والليل ، وما يقع تحت حس العربي الأول ، ويظهر في
بيئته .. إلى وصف الحقائق ، والقصور ، والطيور ، والزهور ،
ومن الفخر بالقبيلة والتغنى بأمجادها ، إلى معالجة المشاكل
الاجتماعية ، وتوجيه المجتمعات نحو الفضيلة ، وبناء صروح
الأمم .

وبالجملة فقد اتسعت دائرة الشعر العربي ، مع مرور الزمن
وسما في خياله ، ومعانيه ، وأغراضه ، ومبانيه ، مع أننا لا ننكر

(١) اليتيمة ج ١ ص ٣ ، ٤ :

ما يعترضه من مد وجزر ، تبعاً للأحداث التي مرت بالأمّة العربية ، والتيارات التي تعاقبت عليها ، وما كان للسياسة فيه من أثر بالغ ، استبد بكثير منه ، في كل زمان ومكان .. إلا أن ذلك كله لم يحل بين الشعر وتطوره وارتقائه ، حتى أصاب الأمّة العربية ما أصابها ، من نكسة خضدت شوكتها ، وفلت حدها ، وأصاب علومها وفنونها ما أصابها ، من تلاش واضمحلال وفي مقدمتها الشعر واللغة ، وههنا سوف نبين حقيقة هذا التدهور ، وكيف حاول العربي أن يتمسك بالشعر ولو بلغة عامية ساذجة !!

اللغة .. والشعر :

كلما اتسعت دائرة اللغة ، وحفلت بالمفردات ، واتسمت بالخصب ، والغناء .. كلما وجد أدبها ميداناً فسيحاً للتعبير عن مشاعر أهلها ، والاستجابة لارائهم ، وأفكارهم ، وخواطرهم ولغتنا بلغت العربية من وفرة المفردات ، وسعة الاشتقاق ، وكثرة المترادفات ، حداً لم تبلغه أي لغة أخرى ، من لغات العالم فقد وسعت القرآن لفظه ، وغايته ، واتسعت لكتب التشريع الإسلامي ، وكان لأدبها - شعره ونثره - منزلة لا تداني .. ولقد بلغت مترادفات هذه اللغة لبعض مسمياتها حداً لا يتصوره

متصور ، فللناقة ٢٥٥ اسم ، وللبعير ١٠٠٠ اسم ، وله ستة
جموع في أحد اسمائه وهو الجمل ، وللشمس ٥٢ اسما ، وللغسل
٨٠ اسما ، وللأسد ٣٥٠ وقيل ٦٧٠ ، وللحية ٥٠٠ ، إلى آخر
ما هنالك مما سير أشعار أهلها ، وطير آدابهم في الآفاق ، وثبت
عقولهم ، وزاد في مروءتهم (كما قال عمر بن الخطاب) ..

ومما جعل أحد علماء الغرب (أرنست رينان) في كتابه
(تاريخ اللغات السامية) يقول عن هذه اللغة :

« من أغرب المدهشات ، أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل
إلى درجة الكمال ، وسط الصحارى ، عند أمة من الرحل . تلك
اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن
نظام مبانيها ، ولقد كانت هذه اللغة مجهولة من الأمم ، ولكنها
من يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال ، إلى درجة أنها لم
تتغير أي تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها في كل أطوار
حياتها لا طفولة ، ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم شبيهاً لهذه
اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت
حافضة لكيانها ، خالصة من كل شائبة ... (١) »

(١) مجلة الأزهر ج ٤ ص ٣٤٢ نقلا عن كتاب (تاريخ اللغات السامية) .

هكذا يقول عن هذه اللغة خصومها ، والفضل ما شهدت به
الاعداء ..

ولقد كان أهلها من قبل ينطقونها جميعاً خالصة نقية ،
لا كلفة فيها ، ولا لوثة ، يستجيب أحدهم لقريحته ، فتفتر
عن درة عصماء ، تتجاوز مائة البيت ، ثم لا تجد فيها مغمزا
لغامز ، ولا وقفة لمتنطع ، وهو أعرابي في شملته ، لم يعرف من
الحضارة إلا اسمها ، ولم يدر بخلده أن هذا الذي ينطق به عفو
السجية ، وطوع الطبع ... سوف يسمى من أدرك بعضه بالتتبع ،
والاستقراء والصنعة ... إماما ، كما سمي أخيراً ، سيبويه ،
والكسائي ، والخليل ، وابن جنى ، والأخفش ، والزجاج .

ولم يدر بخلده أن يفنى عقبه أعمارهم ، في دراسة هذه
الملكة ، التى تلقفها وهو يدرّب مقول الطفولة على النطق ..
وأنها ستقسم إلى علوم ، وفنون ، وتقام لها كليات ، ويؤلف
بها أسفار .. إنه لم يدر بخلده كل هذا ، بينما يسمع طفلته
الصغيرة ، التى لم تقو - بعد - على شد فم القربة ، تقول له :
« يا أبت أدرك فاها ، غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها » .
ويسمع الأخرى ترشد ابن سبيل إلى الماء العذب ، فتقول له :
« يا صاح إن الماء أجاج ، وإن العذب خلف الباسقات » .

ويأتى راعية الغنم في الفلاة فتعزم عليه أن يكون ضيفاً لأهلها
وتعطيه لهم امارة وتصف له مضربهم فتقول : « أرايت
الكثيب ، الذي خلف الهباء ، إن أهلى تحته ، ودونك عرجوني ،
فسوف أمتع غروري واتبعك » .

أنها قاعدة الأسماء الخمسة ، التى قد دون لها باب خاص
في كتب النحو ، وشرطوا لها شروطاً ، منها أن تكون مفردة
وأن تكون مكبرة ، وأن تكون مضافة ، وأن تكون إضافتها لغير
ياء المتكلم . . . الخ ثم ما ورد فيها من خلاف . . . تأتى طفلة
لما تقو - بعد - على شد فم القربة فتنطقها خالصة سليمة ..
ثم يا صاح ، وأجاج ، والعذب ، والباسقات ، والكثيب ،
والهباء ، والعرجون ، والغرور .. مفردات لها حلاوة ، ونغم
لذيذ ، جاء القرآن بأكثرها ... أرايت كيف صدرت من طفلة
وراعية غنم !! إلا أنها الملكة التى لم يعكر معينها ، ولم يخذش
حدها !!

وليس من شك في أن هذه اللغة أفادها القرآن من وجهين ،
فلقد أضفى عليها رونقاً ، وجمالاً وجلالاً ، وسعة في المفردات ،
وكثرة في المشتقات ، من جهة ، وحفظها من التلاشي ، والانحيار
والتأثر بالمؤثرات التى لحقت بناطقيها ، من جهة أخرى !!

فالعربية - اذن - بقى لها تراث ضخم ، حفظه القرآن ،
ودونه أئمتها وأدباؤها .. أما هل يستعمل أبناؤها هذا التراث ،
ويرجعون إليه في مخاطبتهم العامة والخاصة ، ويكتبون به ،
وينشدون ، ويتعاملون ، ويتساءلون .. فهذا مالا وجود له ، إلا
عند بعض علمائها ، وأدبائها ، وخاصتها ، في بعض ما ذكر
على ما يعتوره من دخیل ، ويتطرق إليه من تسامح ، يجد فيه
الباحث مغامز وهنات !!

أما بقية الناطقين بها ، فقد تفتت فيهم العامية ،
وغلبت عليهم اللكنات الأعجمية ، لأسباب كثيرة ، أهمها ،
اتساع الفتوحات في العصور الإسلامية ، وامتزاج العرب بغيرهم
من الأجناس الأخرى ، والتزاوج معهم ، واستيطان بلدانهم ،
وبذلك خرجت الجزيرة العربية من عزلتها ، فهاجر إليها من
هاجر ، وجاب أرجاءها آخرون ، بقصد التجارة والحج والسياحة
ثم ما أصاب الأمة العربية ، من تغلب أعدائها عليها ،
من الفرس ، والتتر ، والترك ، والإنجليز ، والفرنسيين ..
وسائر أمم الفرنجة .. خضد شوكة الأمة العربية ، وفل حدها ،
واستضعفها ، واستذلها ، وأصبحت لغة الدولة فيها لغة أجنبية ،
وتتبعها - ولا شك - لغة المال ، والاقتصاد ، والأسواق التجارية

فوق أن الغالب - دائما - يُقلد في كل شيء :

أرى الناس - مذ كانوا - عبيداً لغاشم

وخصما لمغلوب وجنداً لغالب

ولا يمكن - والحالة هذه - احتفاظ العربية بأصالتها ،

ونقاوتها ، بل لابد مما وقع .. وما وقع سهم قتال ، موجه إلى قلب الأمة العربية .

فهذه العجمة التي تسربت إلى موطنها ، واكتنفت حدودها ، خليط من لغات شتى ، أخذ كل طرف من الوطن العربي بما مازجه ، وتشرب به ، وورثه الخلف عن السلف ، ومن ثم فقدت الوحدة التي تجمع اللسان العربي ، بالنسبة إلى سواد الناس ، ودهمائهم ، وأصبح النجدي لا يفهم عن العماني (بضم العين) إلا القليل ، بالاشارة ، والقرائن التي تدل على فحوي الحديث ، الحديث المتبادل المعروف ، أما غيره من الأغراض الخاصة ، المتعلقة ببيئة كل ، فلا يكاد يفهم ، وقل مثل ذلك عن اليمنى مع الحجازي ، وعن البدوي مع الكل ، حتى ليشك الباحث في أنهم ينطقون لغة واحدة .

والعجيب أن قصار النظر من بعض كتابنا ، والمشرفين على شئون التربية والتعليم في بعض الأقطار العربية ، يتجاسر

بالدعوة إلى العامية ، بحجة أنها تسهل على الطالب فهم
المصطلحات العلمية ، والبحوث الشائكة .. ومعنى هذا القضاء
على هذه الوحدة ، التي تجمع شمل العرب ، واستقلال كل
قطر بعامية لاتستند إلى أصل ، ولا ترجع إلى قاعدة ، وليس
فيها نبض من روح ! !

ودعك من اللهجات ، فأننا نعلم أن كل اقليم - بله الممالك
والشعوب الكبيرة - لا بد وأن يوجد بين سكانه تباين في
اللهجات ، واختلاف في النطق ، ولكن ذلك لا يصل بهم إلى
درجة استبهام النطق ، وتعذر الفهم ، فالأول هو الفارق بين
اللهجات التي توجد بين شعوب الأرض ، والثاني هو العجمة ،
ولوثة اللسان ، والبعد عن مقاييس اللغة ..

وأرجو أن أوفق إلى تناول موضوع اللهجات في جزيرة
العرب ، في بحث مستقل ، أصل به هذه السلسلة ، وعسى أن
يكون قريباً ، كما أرجو أن يتنبه رجال التربية والتعليم ،
وقادة الفكر في العالم العربي ، إلى الخطر الذي ينطوي تحت
هذا الخليط ، الشائن من النطق في الشعوب العربية ، وأن
يحاولوا إرجاع الأمة العربية ولو على سبيل التدرج ، إلى مصدر
عزتها ، وكرامتها ، وجامعة شملها - لغة القرآن - .

وبعد ، فما موقف الشعر العربي ، وقد بلغ الأمر بأداته
التي يصدر عنها هذا المبلغ ، أيتلاشى ويضمحل ، وقد امتزج
بلحم العربي ودمه ، وأصبح ضرورية لمجتمعه ، كضرورية النطق ،
أم يستخدم لغته التي يزاول النطق بها ، للتعبير عن دخیلته ،
ومشاعره ، وأفكاره ، على وجه خاص ، وبأسلوب يتمشى
ومقدور هذه اللغة ؟ !

لقد أصبح الشعر ملكة عند العربي ، وجبلة مستحكمة ،
ولسوف يتشبث به ، وينزع إليه ، ما دام يجد إلى النطق به
سبيلا ، فكان أن وجد الشعر النبطي !!

نَبَطٌ -- وَأَنْبَاطٌ --

هذه المادة تحوم كلها أو معظمها حول الاستخراج ،
والاستحصال ، وربما غلبت على أدراك الماء في الأرض واستخراجه
منها ، ومما جاء في عموم دلالتها على الاستخراج قوله تعالى :
« لعلهم الذين يستنبطونه منهم » وجاء في الحديث : « من
غدا من بيته ينبط علماً فرشت له الملائكة أجنتها » وجاء في
حديث آخر : « . . . ورجل ارتبط فرساً ليستنبطها » أي يطلب
نسلها .

ومن دلالتها على استخراج الماء خاصة ، قول كعب بن سعد
الغنوي :

قريب ثراه ما ينال عـدوه
له نبطاً ، عند الهوان قطوب

وتستعمل أيضاً في الشية والعلامة البيضاء في إبط الفرس ،
فيقال : فرس أنبط ، إذا كان كذلك ، قال ذو الرمة يصف
انبلاج الصبح :

وقد لاح للساري الذي كمل السري
على أخريات الليل فتق مشهر

كمثل الحصان الا نبط البطن قائما
تمايل عنه الجبل فاللون أشقر

وعلى معنى الاستخراج والاستحصال سمي الجيل الذين
يقطنون سواد العراق « نبطاً » - كما جاء في اللسان -
لاستنباطهم ما يخرج من الأرض ، أي أنهم حاضرة يعنون
بالحرث والزرع ويسمون أيضاً نبيطا ، وأنباطاً ، وإليهم ينسب
الشعر النبطي ، الذي نحن بصدد الكلام عنه .

وقد ورد ذكرهم كثيراً في كتب السنة والأدب ! فقد جاء
عن عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » أي تشبهوا بمعد ،
ولا تشبهوا بالنبط . وورد في حديث آخر : « لا تنبطوا في
المدائن » ، والمعنى لا تشبهوا بالنبط في سكناهم ، واتخاذهم
الضيع ، والعقار . وورد عن ابن عباس : « نحن معاشر قريش
من النبط من أهل « كوثي ربا » قيل إن الخليل ولد بها ، وكان
النبط سكانها .

ولما سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن سعد بن
أبي وقاص - وكان يومئذ في العراق - قال : أعرابي في جبوته ،
نبطى في جبوته ، يريد أنه في جباية الخراج ، وفلاحة الأرض ،
وعمارتها ، كالنبط ، في حذقهم لهذه المهنة .

ولما كان العرب - في سابق عهدهم بل إلى وقت قريب -
يمقتون الصنائع والحرف ، ويستنكفون من الحرث والزرع ،
ويعيشون على الكر والفر ، ويستمطرون رزقهم من ظبات
سيوفهم ، وعذبات رماحهم . . سئل الشعبي عن رجل قال
لآخر : يا نبطى ، هل عليه من حد ؟ ! فقال : لا حد عليه
كلنا نبط !!

ومن كلام أيوب بن القرية : « أهل عمان عرب استنبطوا
وأهل البحرين نبيط استعربوا » .

ولما أراد أبو الطيب المتنبى أن ينال من قدر أبي الفضل
بن حنزاية ، وزير كافور في قصيدته التى مطلعها :

ألا كل ماشية الخيـزلى
فدا كل ماشية الهـيذى

يهجوا بها كافورا ، قال في أبي الفضل :

وماذا بمصر من المضحكات

ولكنه ضحكك كالبيكي

بها نبطى من أهل السواد

يدرس أنساب أهل الفلا

ويقول المعري :

أين امرؤ القيس والعذاري

إذ مال من تحته الغبيط

استنبط العرب في الميوامي

بعبدك واستعرب النبيط

ويقول ذو الرمة يهجو قبيلة امرئ القيس بن تميم أهل

بلدة مراة .

ان امرأ القيس هم الأنباط

زرق إذا لاقيتهم سنباط

ليس لهم في حسب رباط

ولا إلى قصيد الهوى صراط

فالسب والعار بهم ملتباط

ومما تقدم ندرك أن النبط ليسوا عرباً أقحاحاً ، وما جاء في أثر ابن عباس المتقدم يشير إلى أنه من العرب المستعربة الذينهم من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وقد ولد في هذه القرية التي سكنها النبط وأما ما جاء في خبر الشعبي ، فيريد به الجوار والدار ، لا النسب والولادة .

بقى أن نعرف تاريخ هذا الجيل ومتى أطلق عليهم هذا الاسم ؟

تشير المراجع التي بأيدينا إلى أنهم موغلون في القدم ، فقد جاء في مقامات الحريري :

« وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ، ولا يعقوب الأسباط » .

قال شارح المقامات : « إن شيثاً هذا هو أفضل أولاد آدم ، وكان أحب بنيهِ إليه ، وولى عهده ، وهو الذي ولد البشر الموجودين بعد الطوفان .. » ثم قال : « والأنباط جمع نبط ، وهم قوم من العجم ، ينزلون البطائح بين العراقيين ، وإنما سمي أولاد شيث انباطاً لأنهم نزلوا هناك » .

وهذه القصة - وإن كنا نلمس فيها كثيراً من القلق ، إلا أنه - يستأنس بها في الاستدلال على قدم هذا الجيل ، سيما وهناك ما يعضدها .

وقد ورد في شعر الأعشى - وهو شاعر جاهلي - :

وطوفت للمال آفاقه
عمان فحمص فأورشلم
أتيت النجاشي في داره
وأرض النبيط وأرض العجم

ويحدثنا التاريخ أن العرب حينما استولوا على دمشق ، كان ذلك في زمن الحارث الثالث ملك النبيط قبل استيلاء الرومان عليها ، وتخليصها من أيدي العرب الأوائل ، ثم استردها العرب منهم بعد وقعة اليرموك .

وفي حديث ابن أبي أوفى : « كنا نسلف نبيط أهل الشام .. » .

وتشير المراجع التي بأيدينا إلى أن أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وتقول :

انهم كانوا يكتبون بالأرامية التي نشأت عنها البابلية قبل وضع الحروف العربية ، وقد حمل تاريخهم حينما أصبحت ولايتهم رومانية في أوائل القرن الثاني للميلاد (١) .

وفوق أن هذه الأدلة تعطينا دليلاً على قدم هذا الجيل ، فهي أيضاً ترشدنا إلى أنهم لا تنحصر سكناتهم في العراق ، بل في الشام ، وعمان ، والبحرين وغيرها .

ومما تقدم ندرك : —

أولاً : انتفاء عروبة هذا الجيل أصالة ، وإن كانوا ينطقون العربية ، إلا أنها مملوءة بالدخيل ، وممسونة مشوهة ، وغثة غير متوقعة .

ثانياً : ندرك أن لهذا الجيل أثراً على من حولهم من العرب حتى استطاعوا أن يؤثروا في لغتهم وأدبهم ! !

(١) انظر تاريخ الأدب للرافعي ج ١ ص ٧٥ — ٧٦ .

بين يدي - -

شعر النبط

لم يزل الشعر منذ نشأته تمتد جذوره ، وتنتشر فروعه ، حتى بلغ أشده ، واستوي على سوقه ، ووقف عند أوزان عرفها العرب بالملكة ، وجروا على مهيعها بالطبيعة ، بدون أن يعرفوا لبحوره أسماء ، أو لأعجازه قوافي . . ولما جاء المولدون وأخذت تكثر في الشعر العربي السقطات ، والهفات ، باختلاط بعض الأوزان ببعض ، واختلالها بالكسر والتغيير ... ندب الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة (١٧٤ هـ - ٧٩١ م) نفسه لوضع أوزان ، ومقاييس ، وقواعد ، تحفظ على هذا الأثر العظيم من آثار العرب أصالته ، وسلامته ، من العبث والخلط والخبط ، فكان أن فتح الله عليه ، وكمل على يده اختراع هذا الفن الجليل ، والأثر الخالد الجميل .

وما قاله بعضهم من أن سبب وضع الخليل لهذا الفن ، هو انصراف قلوب الناس عنه - في علم العربية - إلى سيبويه ، فاراد أن يلفتهم إليه بوضع هذا الفن ، كما نظم هذا المعنى بعضهم بقوله :

علم الخليل رحمة الله عليه

سببه ميل الوري لسيبويه

فان في هذا شيئا من الجفاء ، والوقوع في عرض الخليل ،
بما هو غير لائق بشخصيته الفذة ، وصلاحه ، وفضله ،
وعلمه . لا سيما وقد أفرغ في هذا الفن جهده واستجمع أفكاره ،
وحواسه ، فوق تفاعيله على الأنغام والإيقاعات الموسيقية ،
وقاسى في سبيل ذلك المشقة ، والعناء .

قيل إن ابنه دخل عليه يوما وهو غارق في تأليف أجزاء
أحد البحور ، وجمع تفاعيله ، بصوت مرتفع ، فلما رآه ابنه
في حالة لا يعهدا منه ، وكأنه - في نظره - يهذي بكلام
معتوه لا يفهم منه شيء ، خرج إلى السوق ، وأشاع أن أباه قد
جن ، ولما انتشر هذا بين الناس ، وعلم الخليل استدعى ابنه
فخاطبه بهذين البيتين :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
أو كنت تعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى
وعلمت أنك جاهل فعذرتك

فتم للخليل رحمه الله - بالتتبع والاستقراء - حصر بحور الشعر التي قال عليها العرب في خمسة عشر بحراً هي كما يلي :

الطويل ، المديد البسيط ، الوافر ، الكامل الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المضارع ، المقتضب ، المجتث ، المتقارب .

ثم أردف هذا بعلم القافية .

ثم أتى الأنخفش معقباً على الخليل فوضع بحر (المتدارك) لأنه تداركه على الخليل ، وهو ليس ببعيد من بحر المتقارب ، الذي وضعه الخليل .

فتمت بحور الشعر ستة عشر بحراً ، وهي تدور عليها جميع أوزان الشعر العربي الصحيح ، ولما استفحل شأن المولدين ، وطغت الحضارة العباسية ، وسرت الأنغام الموسيقية في الأوساط الشعبية ، من جراء احتكاكهم بالأعاجم رأوا (أي المولدون) أن مجال القول يضيق عن مواكبة هذه الأنغام ، بأوزان الشعر الموجودة ، فارادوا الخروج عليها ، واستحدثوا أوزان جديدة تتفق وهذه الأنغام ، ومما استنبطوه ستة أوزان على عكس

(١) المستطيل ، ومثاله :

لقد هاج اشتياقي غرير الطرف أحور
أدير الصدغ منه على مسك وعنبر

(٢) المتوافر ، ومثاله :

ما أصابك يا فؤادي بعدهم
أين صبرك يا فؤادي ما فعل

(٣) الممتد ، ومثاله :

صاد قلبي غزال أحور ذو دلال
كلما زدت حباً زاد منى نفورا

(٤) المتشد ، ومثاله :

كن لأخلاق التصابي مستمرياً
ولأحوال الشباب مستحلياً

(٥) المنسرد ، ومثاله :

على العقل فعول في كل شان
ودان كل من شئت أن تداني

(٦) المطرد ، ومثاله :

ما على مستهام ريع بالصد
فاشتكى ثم أبكاني من الوجـد

واخترع الأندلسيون الموشحات ، والأزجال ، وأول من
اخترع الموشحات مقدم بن معافر ، أحد شعراء الأمير عبد الله
بن محمد المرواني في آخر القرن الثالث الهجري ، ثم انبry لهذا
الفن (أحمد بن أحمد بن عبد ربه) صاحب (العقد الفريد)
وبعدئذ كسدت بضاعة الموشحات ، إلى أن خرج (عبادة
القزاز) ، فأعاد للموشحات ازدهارها ، ونفاقها ، وقد اشتهر -
أول ما اشتهر - بموشحته التي منها :

بدرتم ، شمس ضحى ، غصن نقا ، مسك شم
ما أنتم ، ما أوضحا ، ما أورقا ، ما أنم
لا جرم ، من ملح ، قد عشقا ، قد حرم

ثم أمعن الأندلسيون في الموشحات ، وذهبوا بها كل مذهب
تبعاً لما هم فيه من انغماس في الحضارة ، وبلهنية العيش .

قال في مناهل الأدب :

« وكان للغناء اليد الطولى في ازدهار فن الموشحات والاكثار
من النظم عليها ، فان أسبانية كانت منذ عهد العرب -
ولا تزال - موطن الموسيقى ، والرقص ، والطرب ، تنعقد
مجالس اللهو في قصور الأمراء ، وفي البساتين ، وعلى ضفاف

الأنهر ، وفي البيوت الخاصة ، والعامة ، فما تمر بشارع أو دار إلا سمعت صوتاً مترنماً ، أو آلة مطربة (١) ،

ومن ذاع صيته بعد القزاز بنظم الموشحات ، ابن سهل ، وابن الصابوني ، وابن عربي ، وابن حيان ، وأبناء زهر ... الخ.

أما الزجل فقد بدأ يظهر في الأوساط الشعبية بالأندلس ، بعد أن بلغت الموشحات القمة ، وقيل إن أول من اخترعه رجل اسمه (راشد) ، وقفاه ابن قزمان ، فأبدع فيه ، وأمتع ، وأوزان الزجل لا تحصى حتى قيل : « إن صاحب الف وزن ليس بزجال » ، وهو يشابه إلى حد كبير الشعر النبطي في أوزانه ، ولغته العامية ، حتى إن بعض الأدباء الآن يسمون الشعر النبطي زجلاً ، ومن أمثلته :

اجتهد في الزرع تحصد ما زرعته
وبقاع البحر غوص لأجل اللآلى
واطلب المحبوب وان عاقلك زمانك
عن وصاله ، اتخذ للوصل وصله
والنصيحة بثها في الخلق واجب
والرجوع للحق دين في كل ملة

(١) مناهل الأدب ج ١٨ ص ٥ الموشحات الأندلسية .

وكما اخترع الأندلسيون هذه الأوزان . فكذلك اخترع
المشاركة أوزاناً أخرى . لاقت شيئاً من الرواج . والشيوع . وهى
السلسلة . والدوبيت . والقوما . والكان وكان . والمواليا .

فالسلسلة : مثل قول بعضهم :

السحر بعينيك ما تحرك أوجال
الا ورماني من الغرام بأوجال
يا قامة غصن نشأ بروضة احسان
أيان هفت نسمة الدلال به مال

الدوبيت : الدوبيت رغم أنه وزن فارسي إلا أن العرب
قلدوه ، ونسجوا على منواله . و " دو " : ترجمتها بالفارسية ،
اثنان ، وعجز الكلمة : كما هو صحيح أي (بيت) والمعنى
أنه مركب من بيتين بيتين ومن أمثله :

يا من هجا المحب عمداً وسلا
ورماد على اللظى قتيلا وسلا
ما القول إذا سثلت عن قتله
يا قاتله بأي ذنب قتلا

القوما : اخترعه رجل يدعى (أبو نقطة) للخليفة الناصر ،
وأصله مأخوذ من قولهم (قوما نسحر قوما) ومن مشتقاته :
الزهري ، والخمري ، والعتاب ، ومن أمثلته :

في الدهر أنت الفريد - وفي صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح - وأنت بيت القصيد

كان وكان : وهذا - غالباً - مختص بنظم الأساطير ،
والخرافات . ومن هنا جاءت التسمية ، وقد استعمله مؤخراً
الوعاظ في تحريك قلوب الناس ، وزجرهم ، ومن أمثلته :

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار

المواليا : ويحكى أن سبب اختراع هذا الوزن هو نكبة
البرامكة . لما منع الرشيد الشعراء من رثائهم ، جعلت جارية
من الجواري تتلفهف ، وتقول : يا مواليا . يا مواليا .

وهو في تقسيمهم ثلاثة أنواع هى : رباعى ، وأعرج ،
ونعماني ، ومن أمثلته في الاعرج :

يا عبد أبكى على فعل المعاصى ونوح
هم فين جدودك أبوك آدم وبعد نوح

دنيا غرورة تجى لك في صفة مركب

ترمى حمولة على شط البحر وتروح (١)

وكما قلنا : إن سبب هذه الاختراعات والتجديدات ، في الشعر العربي ، هو طلب التحرر من قيود القافية ، والأوزان المحدودة . لأجل الغناء ، والانغمام الموسيقية ... فكذاك لابد أن لحب التجديد ، والتفنن ، والايغال في ترف الشعر .. دخلا في ذلك . كما وقع قبل هذا في تصرفهم في بحر الشعر العربي بما أسموه : لزوم مالا يلزم ، والتشريع ، والتفوييف ، والتسميط . والاجازة ، والتشطير ، والتخميس ..

وبعد فهل كان سبب اختراع هذه الأوزان ، والانصراف إلى هذه الألوان من الشعر ، يرجع إلى فساد اللغة العربية ، وسقم الذوق العربي ، حتى لجأوا لذلك مرغمين . أو أنها شهوة التجديد ، وحب التحرر ، والانطلاق ، والميل إلى القرب من الطبقات الشعبية ، وكسب الشهرة لديها ، والامتزاج معها ؟ !

إن كانت الأخيرة ، فما الذي يمنعنا لا نقول مثل هذا

(١) عولنا على كثير مما ذكرنا من الشواهد والأمثلة في هذا الفصل علي كتاب (ميزان الذهب) لاسيد أحمد الهاشمي .

القول في عرب الجزيرة والشعر النبطي ، وفي عرب المغرب ،
والاصمعيات ؟ !

قد يتبادر هذا إلى الفهم ، وقد يكون فيه شيء من المنطق .
إلا أننا إذا أنعمنا النظر في جوانب كل من الجهتين ، وجدنا
أن هذا الشعر (النبطي) أو (الاصمعيات) يختلف عن سابقه
من نواح عدة ! !

أولاً : كانت الموشحات والأزجال وغيرهما من الفنون
الآنفة الذكر تنبع من محيط غاص بالعلماء ، والأدباء ، الذين
ملأوا الدنيا آثاراً ، واخباراً . وربما أن معظم هذه الفنون
المستحدثة في الشعر خرجت منهم أنفسهم ! ! فكيف نحكم
مع ذلك على عصرهم بفقر اللغة وفساد الذوق العربي ؟ !

أما النبط فقد نشأ في الجزيرة العربية ، وغيرها ،
في عتمة الجهل . حينما تضعضع سلطان اللغة . وبلغ سكينها
العظم ، وقال عن الجزيرة قائلها :

تلاعب الجهل في أفنائها زمناً
كما تلاعبت الصبيان بالأكر (١)

(١) جمع كرة وهي كرة القدم المشهورة .

فما أبعدهما - والحالة هذه - عن العمل في القول ، والتذوق في الشعر .

ثانياً : أن الفنون المتقدمة الناشئة في ذلك الزمن . تنحو منحى خاصاً . وهو يتصل بالعزف . والموسيقى . والجمال . والدلال ، والزهر . والخمر . وما إلى ذلك مما أسرف فيه أولئك . أما شعر النبط فنكاد نلمس فيه حماس عنثرة ، وغزل أمريء القيس ، ووصف النابغة واعتذارياته . وحكم زهير .. مما كان دافعة الفطرة ، وحاديه الطبيعة ... ولا تحس فيه للميوعة شيئاً . وعلى هذا فهو بعيد كل البعد عن الأسباب التي اكتنفت شعر المولدين والاندلسيين .

ثالثاً : سلك شعر المولدين والاندلسيين في هذه الأنواع من الشعر مسلك الخروج على الوزن . والقافية . والميل إلى ايقاعات خاصة ، وأنغام متبعة . فتجدهم - دائماً - مولعين بالبعد عن محيط الشعر العربي القديم ..

بينما نجد شعر النبط أو الاصمعيات (على الخلاف في التسمية) يميل جهده إلى القرب من الشعر العربي . وإنك لتجد البيت يلفظ به بلهجة عامية . ثم ترجعه إلى الوزن العربي واللغة العربية فتجده سليماً مستقيماً .

إلى غير ذلك من الفروق التى تقع بين هذا الشعر وذاك ..
وبهذا ينتفى اللبس وتبرز الحقيقة ..

نشأة الشعر النبطي

ليس لدينا من الأدلة ما يمدنا عن نشأة هذا الشعر في جيله الذي نشأ فيه ، وهل بدأ - أول ما بدأ - بهذه العامية التي تنتمي إلى العربية ، أو أن له أصلاً آخر من لغات أخرى ، حاكاه المستعربون من الانباط ، ونهجوا نهجه ، ثم تأثر به العرب ، ونسجوا على منواله ؟ !

ثم هذا اللون من الشعر هل كان مصدره الوحيد هم الأنباط وحدهم ، أو أن له في كل أمة مصدراً خاصاً يرجع إليه ، لانه ليس في جزيرة العرب ، وما جاورها فحسب ، بل شيوعه في المغرب وشمال افريقيا ، أقدم وأكثر من شيوعه في جزيرة العرب .

وهذا يحتاج إلى معرفة مدى ارتباط الشعر باللغة ، وهل تتوفر عناصره ومقوماته في حالة نأيه عن مقاييس اللغة وقواعدها ، وهل إذا قلنا بانفكاك الجهة بين اللغة والشعر أن هذا شيء اجماعي أو اعتباري .

أما ابن خلدون - في مقدمته - فيذهب إلى أن الشعر مستقل

كل الاستقلال عن حدود اللغة . وقيودها . وأنه ما دام هناك أداة صالحة للتعبير عن الأفكار . والأحاسيس . مفهومة للمجتمع فلا داعى لالتزام الفصيح في ذلك . وهو أول من تكلم في هذا النوع من الشعر . وعقد له فصلا في مقدمته . وأورد نماذج كثيرة منه .

وها هي نفس عبارته في المقدمة :

« .. ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان . لان الموازين على نسبة واحدة . في اعداد المتحركات . والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر . فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة . وهى لغة مضر الذين كانوا فحولهُ . وفرسان ميدانه ، حسبما اشتهر بين أهل الخليفة . بل كان (أهل كل) جيل . وأهل كل لغة من العرب المستعجمين . والحضر أهل الأمصار . يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله . ورصف بنائه . على مهيع كلامهم ... فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر . فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض . على ما كان عليه سلفهم المستعربون . ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر . وأغراضه . من النسيب . والمدح . والرثاء . والهجاء . ويستطردون في الخروج من فن ،

فن : إلى فن في الكلام . وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم
وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر : ثم بعد ذلك
ينسبون .. (١) «

والذي يجعلنا نشك في أن مصدر هذا الشعر هم النبط وحدهم
أن هذه النسبة (النبطي) لا وجود لها إلا في جزيرة العرب ،
أما في غيرها من الوطن العربي : فله نسب أخرى ، وأسماء
مختلفة من قديم الزمان . مما يجعلنا نفضل أنه – بالنسبة إلى
كل أمة – انطباع خاص . وتأثر بيئي : حمل عليه ما داخل
اللغة من عجمة وفساد .

يقول ابن خلدون في هذا المعنى :

« .. فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد
بالأصمعيات . نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم .
وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي .
وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطة . لا على طريقة الصناعة
الموسيقية . ثم يغنون به . ويسمون الغناء به باسم الحوراني
نسبة إلى حوران . من أطراف العراق والشام (٢) » .

(١) مقدمة ابن خلدون صفحة ٥١٢ .

(٢) هكذا جاء في المقدمة وتركناه محافظة على أمانة النقل وإلا فليس (حوران)
من أطراف العراق .

والذي يعضد هذا الرأي هو أن لكل منطقة من المناطق التي تقرض هذا الشعر نهجا خاصا ، وطريقة مباينة لما عليه أهل المنطقة الأخرى ، بل ربما لا يفهم بعضهم عن بعض إلا القليل ، وربما تنبوا أذواق كل منهم عما يستلذه الآخر ويضطرب له . فكيف نقول مع هذا : إن مصدره جميعه هم الأنباط ؟ !

وشىء آخر وهو أن أقدم ما ورد من هذا الشعر هو ما أورده ابن خلدون في مقدمته ، وهو - وإن ذكر أن لأهل المشرق العرب شعراً من هذا النوع إلا أنه - وهو الخبير بهذا الفن - لم يذكر هذه النسبة (النبطى) ولم يفصل عن هذا الشعر عند المشاركة ، مما يدل على أنه إذ ذاك لا يزال في شكل بدائى .

وإذا لم نقل إن هذا الشعر قد هاجر من المغرب إلى الجزيرة العربية ، وما جاورها ، فليس يصح بحال أن نعكس الأمر .

بقى أن نعرف كيف ، ومتى نشأ الشعر النبطى في الجزيرة العربية ، وهل كان أول من تأثر به وقرضه هم حاضرة الجزيرة ، أو باديتها ، وهل كان العرب المصاقبون للأنباط مما يلي العراق هم أطول باعاً من غيرهم في هذا الشعر - بحكم القرب والاحتكاك - أو هم وغيرهم سيان في ذلك .. ! ؟

لأنستطيع أن نكيف الصفة التي نشأ عليها الشعر النبطي في
الجزيرة العربية . ولا أن نحدد الوقت الذي بدأ فيه ، وليس
بامكاننا الحصول على شيء منه قبل خمسة قرون ، من الزمان ،
فأقدم ما وصل إلينا هو ما يؤثر عن بنى هلال كما أورده ابن
خلدون في مقدمته ، ولكن معظمه ينزغ إلى الشعر العربي وإلى
الموشحات والأزجال في كثير من أوزانه ، ولغته وأسلوبه مثل :

تقول فتاة الحى سعدي وهاضها
ولها في ظعون الباكين عويل

ياسائلى عن قبر الزناتي خليفة
خذ النعت منى لا تكون هبيل

تراه العالى الواردات وفوقه
من الربط عيساوي بناه طويل

قتيل فتى الهيجا ذياب بن غانم
جراحه كافواه المزد تسيل

ومن غزلهم :

وكم رادح اسهرتنى ولا أرى
من الخلق أبهى من نظام ابتسامها

وكم غيرها من كاعب مر جحنة
مطرزة الاجفان باهى وشامها

ومن قولهم في بكاء الاطلال والدمن :
الاياربوع كان بالأمس عامرة
(بيعى) و (حلة) والقطين لمام

وغيد تدانى للخطا في ملاعب
دجى الليل فيهم ساهر ونيام
واليوم ما فيها سوى البوم حولها
ينوح على اطلال لها وخيام
وقفنا بها طورا طويلا نسالها
بعينى سخيلى والدموع سجام

ولا صح لى منها سوي وحش خاطري
وسقمى من أسباب عرفت أوهام

ومن بعد ذا ندى لمنصور أبو على
سلام ومن بعد السلام سلام

فهل كان هذا تأثراً من بنى هلال في اغترابهم إلى المغرب
بالمغاربة ، والأندلسيين ، ومنهم انجر هذا الشعر إلى الجزيرة

العربية ؟ أو أن ذلك كان في بداية قرض هذا الوافد الجديد ،
فكان في بدايته إلى الفصحى أقرب ؟ ! هذا ما أرجحه لأننا
لا نشك في أن هذا الشعر لم يأت دفعة واحدة ، ولا أن اللغة
أخذت في التأثير تدريجيا حتى ارتضخت هذه العامية السائدة !!
بدليل انه يوجد في شعر بنى هلال ما يشابه الشعر النبطي الموجود
بأيدينا الآن ولا نكاد نفرق بينهما مثل ما ينسب إلى (عليا)
حبيبة أبي زيد الهلالي في قولها :

يا ركب يالى من عقىل تقمللوا
على ضمير شروى الجريد النحايـل

قولوا لابي زيد تري الوادي امتلى
وتري كل شعيب من مغانيه سايـل

والله لولا البحر بينى وبينه
جيته على عوصا من الهجن حايـل

يبيعون لى باعوا ويشرون لى شروا
ولا غبن إلا بالنضما والحلايـل

أما أقدم ما وصل إلينا من شعر النبط ، لغير بنى هلال فهو
يرجع إلى القرنين العاشر والحادي عشر ، كشعر راشد الخلاوي ،

وأبي حمزة العامري ، من أهل الأحساء ، وقطن بن قطن ، من أهل عمان ، ورميزان ، وجبر بن سيار ، من أهل نجد (١) .

وهذا رغم ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من اثبات هذا النوع من الشعر لعرب الجزيرة (٢) ، وهو المتوفي سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م .

ويبدو أن حاضرة الجزيرة العربية ، كانوا أقدم من باديتها تائراً بالشعر النبطي ، لأننا نجد الحاضرة سريعة التأثير والتقليد للغير ، وذلك بحكم صلتها بالأمم بوساطة التجارة ، والعلم والنقلة ... ومن جراء ذلك أسرع الفساد إلى اللغة العربية . في مدن الخلافة ، والحوضر الإسلامية العربية . فانتجع علماء اللغة مرابع العرب . ومضاربهم . ابتغاء اللغة الصافية السليمة ، ومن هناك دونوها . أو دونوا معظمها ..

ومن باب أولى أن تتلقف الحاضرة شعر النبط قبل البادية . وربما يكون هذا موضع شك إذا أدركنا مدى تمسك البدوي بلغته وانفته من تقليد الحضري . وسخريته بلغته اللينة إلى يومنا هذا .

(١) مقدمة ديوان النبط للاستاذ خالد الفرج ص . ١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون صفحة ٥١٣ .

وإن تعجب فعجب انقياد البدوي لهذا النوع من الشعر ،
واتخاذ هجيراه ، في التعبير عن أحاسيسه ، وما يحيط ببيئته .
بينما هو دخيل عليه ، وغريب عنه !!

إلا أننا نزعم أنه مضى زمن ليس بالقصير ، صارع فيه
البدوي هذا الدخيل وتنكر له .. وأخيراً ألفه ثم تغنى به
وقرضه .

ثم رأينا شعر البادية النبطي يتسم بسمة الشعر الجاهلي ،
في أساليبه ، وأغراضه ، وتنم قصائده عن نفحات الشيخ ،
والقيصوم ، والعرار ، والخزامى ، والصبا ، والنعامي ، وذكر
الأطعان ، والتغنى بالأوطان ، مثل ما نقرأه لراكان بن حثلين ،
ومخلد القثامي ، وحنيف بن سعيدان ، ودبيان السبيعي ،
وغيرهم من شعراء البادية المجيدين .

أما أننا نجد ميزة للعرب المصاقبين للأنباط في شمال
الجزيرة عن غيرهم في الشعر النبطي ، فلا نحس من ذلك بشيء ،
وربما أنه قد كان ذلك في أول الأمر ، ثم استوي فيه القاصي
والداني حينما جاس خلال الجزيرة واكتشف مجاهلها ...

من خصائص شعر النبط

ينفرد هذا الشعر بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح ونظراً لأنه لم تقعد له قواعد ولم يوضع فيه دراسات يفهم على ضوئها . وقد جانب كثيراً من قواعد اللغة العربية واصطلاحاتها . نحوية كانت : أم صرفية ، أم إملائية ، أم عروضية ... لذا فانه من العسير على الدارس لهذا الشعر - وهو بعيد عن بيئته . ومحيطه - أن يركز فهمه فيه ، أو يخرج منه بكبير فائدة . ما لم يؤده الاداء الصحيح ، بلهجته الخاصة به . ومن ثم يتذوقه ، ويتأثر به ..

وقد يكون في إمكاننا أن نعطي القاريء بعض فكرة عن خصائص هذا الشعر ومميزاته ..

فاولاً .. لابد لدارس هذا الفن أن يكون لديه المام بلهجة الناحية التي يريد دراسة شعرها ، ولو ممن تذوق هذا الشعر في بيئته ، وتأثر به . فما لم يكن كذلك . فانه سوف يجد نفسه غير منقاد إلى سماع هذا الشعر . ودراسته . فوق أنه لا يفهم منه إلا القليل .. ودعك من الاهتزاز لسماعه ، والتأثر بنغمه ..

وهذا نتيجة إلى استقلال كل ناحية بعامية خاصة ، مباينة لعامية الناحية الأخرى ، وقد راضوا شعرهم العامى على لهجتهم ، حتى صار جزءاً منها .

وسوف نعرض في مكان آخر من هذا الكتاب إلى ذكر شيء عن شعر بعض النواحي ، وإيراد نماذج منه ..

ثانياً .. لا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة ، فتسلط العوامل على معمولاتها ، وتحاول الرفع ، أو النصب ، أو الجر ، أو السكون ، بالعلامات الأصلية ، أو الفرعية ، أو الحذف ، أو السكون ، أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل : إنه مثال ، أو عن الآخر إنه أجوف ، أو عن الثالث إنه ناقص ، أو مهموز ، أو واوي ، أو يائي الخ ..

ولا عن هذا الاسم : إنه مقصور ، أو منقوص ، أو مؤنث حقيقى ، أو معنوي ، ولا عن هذا الجمع ، أو هذه التثنية : إنهما صحيحان ، أو غير صحيحين ...

لا تحاول أن تقرأ هذا الشعر وأنت مرتبط بشيء من هذا ، ولا أن تقول إذا جئت تقرأه لم هذا كذا ، أو ليس هذا بصحيح . فالشاعر النبطى يريد أن يخضع كل شيء من أجل استقامة وزن بيته وكفى !!

والعامى لا يعنيه من هذا البيت إلا أن يجده سليم الوزن ،
مؤدياً للمعنى الذي يفهمه ، وإن كان لغرابة اللفظ - أي لفظ -
وانتقائه . وابتكار المعاني عندهم وزن ، واحتفاء !!

وليس معنى هذا أنهم يسبرون دائماً في طريق مخالفة
للغتهم . ولكن قد تجد ما ذكرناه بين الفينة والأخرى . وإلا
فان كثيراً من ألفاظهم وأساليبهم سليمة . أو ترجع إلى أصل
سليم ، بل لربما تجد البيت ينطق به بلفظ عامى . وإذا
أرجعته إلى أصل عربي جاء على أحسن ما يرام لغة ووزناً !!

ثالثاً .. يعترضك ألفاظ ، وجمل باللغة العامية ، يريد لها
وزن البيت تكتب على صفة خاصة ، لا تمت بصلة إلى الرسم
الإملائي ، وهنا يذهب فيها الكتاب كل مذهب ، ويرسمها كل
على حسب ذوقه ، وإدراكه ، فمثلاً قول القاضى :

يا مسل قلب كل ما لثم الاشفاق
من عام الاول به دواكيك واخفوق^(١)

لو أردنا أن نكتب هذا البيت متبعين فيه قواعد الرسم لجاء هكذا..

(١) يا مل قلب : أصلها يا من لقلب أى من الذي يغيث هذا القلب . كل ما لثم
الاشفاق : أي كل ما أقبل الليل والتأم الشفق . عام الاول : العام الذي مضى منه
سنة . دواكيك : أفكار وهواجس . خفوق : خفقان .

يا من لقلب كلما التم الأشفاق
من العام الأول به دواكيك وخفوق

ولكننا عندما نأتي لقراءته على هذا الرسم نجد أنه لم يبق
فيه وجه شبهة تدل على أنه بيت شعر ، ولو سمعه العامى على
أنه بيت شعر نبطى لضحك ملء رثتيه ..

أما كتاب شعر النبط حيث لا يجدون قواعد يتبعونها ،
ويستقيم معها وزن البيت ، فمنهم من يكتبه هكذا : يا ملقب
كلما التم .. الخ ، وبعضهم يكتبه هكذا : ياما للقلب .. الخ ،
وبعضهم يكتبه مثل ما كتبتة . ولا تنس ما بين شاعر النبط
وبين الهمز من عداء أصيل ، لا يسيغه إلا في الضرورة ، ولا يمر
به إلا لمام . ولا تعجب إذا وجدت الكلمة مشددة وهى غير
كذلك أو بالعكس ، أو لم تجد تاء التأنيث ، ولو من ذات
حر - كما يقول ابن مالك - أو وجدتها والكلام لا يتطلبها ،
أو صدع سمعك لغة البراغيث - وياما أكثرها - أو حصرت
قاعدة الأسماء الستة كلها في الواو رفعا ونصباً وجراً . فلا تعجب
فكل هذا فداء لسلامة وزن البيت ! !

رابعاً . . قل أن تجد قصيدة نبطية إلا وهى مبنية على
قافيتين ، قافية ملازمة لعجز الشطر الأول ، من البيت ، ثم

القافية المعتادة ، غير أن القافيتين – غالباً – بل لا يشذ عن هذا إلا نادر ، تكونان من حرف واحد ، إلا أنهما يختلفان من حيث الحركة فتكون الأولى – مثلاً – مكسورة ، والثانية مرفوعة أو بالعكس ، وكثيراً ما يختلفان أيضاً في التأسيس (وهو الف من أصل الكلمة لا يفصلها عن الروي إلا حرف واحد متحرك) (كما عرفه العروضيون) وهو في الشعر العربي كالف (الأوائـل) في قول المعري :

وإني وان كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائـل

ومثله في الشعر النبطي قول (العريني *) :

أنا دواي المسترفات المواضي
نوف الردوف إلى يعرفن المراض (١)

(*) هو ناصر العريني نسبة إلى العرينات من قبيلة سبيع وبلاده الدرعية . كان ذا ديانة وصلاح ، ولديه ادراك لا بأس به ، في علوم الشريعة يشف عن ذلك شعره المؤدب الرصين .. فهو شاعر مبدع يمكن الخاقه بشعراء هذا الفن الكبار إلا أن شعره لم يجد رواة يحملونه إلى الناس ، وهو شاعر انطوائي ، ليس له صلة بملوك ، وليس له نقله تروج شعره ، وليس ممن يحاول التكسب بفنه .. توفي حوالي سنة ١٣٣٥ هـ .

(١) دواي : علاجي . المواضي : ذوات الوضاعة والحسن . نوف الردوف : نايبات الأرداف . إلى : اللاتي . يعرفن : بفتح العين . المراض : الامراض .

فجاء التأسيس في الأولى في ألف (المواضي) ولم يأت في الثانية .

خامسا .. من الصعب حصر الشعر النبطي في أوزان محدودة ، بحيث توضع لها تفاعيل ، ويستطيع الدارس عن طريق اتقان هذه التفاعيل أن يلم بأوزان الشعر النبطي .

ولقد حاولت - عن طريق التتبع والاستقراء - حصر أوزان هذا الشعر فلم أصل - بعد - إلى نتيجة . ثم عمدت إلى مجموعة شعر لأحد شعراء النبط ، هو ابراهيم بن جعيثن (*) ، وهو من المكثرين ، وممن يتلاعبون بأوزان هذا الشعر ، ويتفننون في ضروبه ، فوصلت إلى ما يقرب من عشرين وزنا ، ولما أقارب نهاية الديوان ، فكيف بجميع الديوان ثم كيف بجميع شعراء النبط قديمهم وحديثهم ؟ !

(*) هو ابراهيم بن عبد الله بن جعيثن ، من بلدة التويم ، في مقاطعة سدير من نجد ، يمتاز شعره بالسهولة ، والوضوح ، ويمثل البيئة التي يعيش فيها ، أصدق تمثيل ، وقد برع في تصوير خلق المرأة ، وطبائعها ، كما عالج أحوال زمنه الاجتماعية ، على نحو ما درج عليه حميدان الشويعر .

ويعد من المكثرين في شعر النبط ، وله ابتكارات ، واتجاهات ، في اوزان الشعر ، وأغراضه ، وقد عاش مائة سنة وستين ، فهو من المعمرين ، وتوفي في بلدة التويم عام ١٣٦٢ هـ .

وإليك هذه الأوزان ، التي استخلصتها من بعض ديوان
(ابن جعيشن) :

- ١ - البارحة وانا بطيب رقادي
استارقت عيني وطال سهادي (١)
- ٢ - بديت بذكر ربي في جوائي
ترى إلى يذكره ما قط خائي (٢)
- ٣ - سمر الليالى شائبات وجوعها
دنيا تبدل كل يوم طبوعها (٣)
- ٤ - قلت آه من صرف النيا والتعائيس
وجرح بلاجي مهجة الروح قايس (٤)
- ٥ - عن الدار ياهل الهجن بالله ودوني
عن الشوم والادبار والماقف الهون (٥)

-
- (١) رقادي : نومي . استارقت : لازمها الأرق .
(٢) بديت : بدأت . جوائي : شعري . ترى إلى : ان الذى ما قط خائي :
ماخاب قط .
(٣) سمر الليالي : الليالي المظلمة . شائبات : مؤلمات . وجوعها : مصائبها .
طبوعها : طبائعها .
(٤) صرف النيا : تقلب الدهر . التعائيس : جمع تعاسة . بلاجي : بصميم .
قايس : مكين .
(٥) ياهل الهجن : ياهل الابل ، ودوني : ابعدوني . المشوم : الماقف .
الهون : الموقف الدنيء .

- ٦ - بالله ياهل الهجن عوجوا روسها
 واصحوا لمس احبالها بحلوسها (١)
- ٧ - بدا القيل من جفنه جفا لذة رقاده
 والنفس في ميدان الأفكار مياده (٢)
- ٨ - خط لفاني مع طروش العتيما
 جامن بعيد فوق كوم علاكيم (٣)
- ٩ - الشعر رياض ما سومه
 يلقاه الواعي من نومه (٤)
- ١٠ - ولحد يري عيبه ولو كان عايب
 ولحد يري فيما يقول نقوص (٥)

-
- (١) ياهل الهجن : يا أهل الابل . عوجوا روسها : احرفوا اعناقها وقفوها واصحوا : تنبهوا لمس احبالها : لشد نسعها . بحلوسها : باقتابها .
- (٢) بدا القيل : شرع في الشعر . من جفنه : الذي جفنه . جفالذة رقاده : نومه مياده : منطلقة .
- (٣) خط : رسالة . لفاني : وصلني . طروش : ركب مسافرين . العتيما : وقت صلاة العشاء (العتمة) . جا : جاء . فوق كوم : على نوق سمان علاكيم : شديداً .
- (٤) رياض : جمع روضة . ماسومة : اصابها مطر الوسمي . يلقاه : يجده . الواعي : المتنبه .
- (٥) ولحد يري عيبه : لا أحد يدرك ما فيه من عيب . عايب : ظاهر عيبه . ولحد يري : ولا أحد نقوص : نقائص .

- ١١- مما جرى جالى على الشعر ولوال
 للقليل دق التيل راعى المكينة (١)
- ١٢- يا سحاب بالغضب جاله نزيز
 فاوله مثل النعام اللي يحاز (٢)
- ١٣- دع عذول الغى واعزم واستعد
 بالذي يحماك عن كيد الخبيث (٣)
- ١٤- قال الذي حابر كشرت هواجيسه
 مما يري ضاعت أفكاره وتقييسه (٤)
- ١٥- حملتك في كره وكره وضعتك
 ووسعت لك حضنى وصار سرير (٥)
- ١٦- عنقه كما عنق الفريد الجافل
 تال النهار انذار من مقاييله (٦)

-
- (١) جالى : صار لي . ولوال : بلبلة . للقليل : للشعر . دق التيل : ارسل اشارته
 اللاسلكية . راعى : صاحب . المكينة : الآلة .
- (٢) يا سحاب : يا لسحاب . جاله : صار له . نزيز : دمدمة . فاوله : في أوله .
 إلى يحاز : الذي يطرد .
- (٣) عذول الغى : اللأثم في الهوى . يحماك : يحملك .
- (٤) حابر : حائر . هواجيسه : هواجسه . ضاعت : ضلت . تقييسه : تقديره .
- (٥) في كره : كرها . حضنى : حجري . والدة تخاطب ولدها بذلك .
- (٦) عنقه : جيده . كما : كأنه . الفريد الجافل : الظبي منفرداً ازعج وهنا يتلع
 جيده . تالي النهار : آخر النهار . انذار : اذير . مقاييله : جمع مقيل .

١٧- امس الضحى دك بي هوجاس

والقلب كنه على مله (١)

١٨- البكرة إلى تبوج الدو لاقتني

تمشى على هونها يبري لها الحاشي (٢)

وهكذا تنثال الأوزان على المتتبع لها كلما أمعن في التتبع
ويبدو أن شعر النبط يقارب الزجل حيث قيل عنه : « إن من
لا يعرف سوي الف وزن فليس بزجال » .

وهذه النماذج التي أوردناها - وإن كان يمكن أن يلحق
بعضها ببعض في الوزن بحيث تكون أوزانا محدودة .. إلا ان
ان ما نعرفه عن كثرة أوزان هذا الشعر - ليس من السهولة
حصرها في أوزان معلومة ، وقواعد ثابتة .. يرجع إليها كمقاييس
لأوزان هذا الشعر .. على أن هناك قسما كبيرا من أوزان هذا
الشعر ، يمكن ارجاعه إلى أوزان الشعر الفصيح - بتصرف
يسير - أو بغير تصرف ، وبسلامة أجزاء أبياته لغة وقافية -
وهذا ما عقدنا له فصلا خاصا في هذا الكتاب - وبدون سلامتها
كما هو واضح في النماذج التالية :

(١) امس الضحى : وقت الضحى بالأمس . دك : نزل . هوجاس : هاجس .
كنه : كأنه . مله : الرمل أحرق بالنار .

(٢) البكرة : الناقة الصغيرة . تبوج الدو : تفري الفياي . لاقتني : قابلتني . على
هونها : رويدها . يبري . يتبعها . الحاشي : الفصيل الصغير . يكني هنا عن المرأة ذات
الطفل الصغير .

فقد جاء على وزن البحر الطويل قول بركات الشريف (*) :

دع العذل عني يانصيحى وخلنى
فشرواك ما يرضى هوانا لصاحبه

وعلى الوافر قول ابن جعيثن :

أري سلمى تطاولنى غشاها
تعاتبنى وتجهد في عتاني

وعلى المتدارك قول محسن الهزاني (*) :

لم يزل بالعطى فوق بحر الندي
باسطا للملابطن كف الكرم

(*) هو بركات بن مبارك بن مطلب من أشرف مكة وحكامها . ومن الفرسان المشهورين . والشعراء المجيدين . له شعر رصين . ضمنه كثيراً من الحكم والأمثال ، وما يحمل في صدره من زعامة وطموح ، وأنفة وشمم .. وشعره وإن كان لا يوجد منه لدى الرواة إلا القليل ، إلا أن هذا القليل أهله لأن يكون في عداد الشعراء الكبار . عاش في آخر القرن العاشر وأول القرن الحادي عشر ..

(*) هو عبد المحسن بن عثمان الهزاني ، من بني هزان الحلي المشهور في التاريخ ، وكانت له الزعامة والكلمة النافذة في قومه . وكان شاعراً مجيداً إلى أقصى درجات الاجادة ، ولم أر من شعراء النبط — قبله ولا بعده — من تقدمه . خصوصاً في الغزل والوصف .. فلقد أبدع ايما ابداع ، وجاء بصور وابتكارات ، في منتهى الروعة والجمال ! ! لولا ما داخل شعره من صنعة البديع ، وترف الشعر ، والتلاعب بالألفاظ . وذكر الأحوال الجنسية ... ويعتبر مؤسس هذه المدرسة التي سار على نهجها الشاعر ابن لعبون ، واضرابه والتي تعني بالغزل ، وادوار السامري .

مات في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، بعد أن ترك أثراً كبيراً في هذا الميدان .

وعلى البسيط قول البديوي :

ولا تطع من ضعيفات عزائمه

فكل طبع إلى راعيه ميال

وعلى الرجز قول ابن جعيثن :

يشمومة يازين نوجة ريحها

يمشى بها عبد قطف زملوقها

وعلى الكامل قول أبي حمزة العامري :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا

وفروجنا تأبى عن الفحشاء

وعلى الرمل قول ابن لعبون (*) :

يا منازل مى عن قبة حسن

من يسار وعن قبر طلحة يمين

(*) هو محمد بن حمد بن لعبون المدلحي الوائلي ، ولد في بلدة (حرمة) من مقاطعة سدير ، وكان أبوه اديباً ومؤرخاً ، نشأ الابن في حجر والده الاديب ، وتذوق الأدب وعني به ، وكان ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي سبباً في نبوغه وبروزه في هذا الميدان . حتى أصبح شاعر الهوى والشباب . يسيل شعره رقة وعذوبة ، وسلاسة وملاحة ، وقد أبدع في الناحية الغزلية وامتع ، واصبح رعيم هذا الاتجاه ، وحامل رايته .. وقد ادخل على ادوار السامري اصواتا وانغاما عجيبة ، سميت باللعبونيات ، وكان لها شأن في التلحين والغناء ، غني بتسجيلها وغناها بما عرف بغناء الخليج الفارسي . وبالحملة فابن لعبون من أبرز شعراء النبط ، واجودهم ، وقد اكسبته نقلته إلى الخليج العربي حيث الانطلاق والتسامح تغذية لهذه الملكة ، وتبريزاً في هذا الميدان . توفي بالكويت سنة ١٢٤٧ هـ .

وبالتتبع والاستقراء يمكن العثور على ما يوافق سائر أوزان
الشعر الفصيح ، كما يمكن العثور على ما يوافق الموشحات ،
كما في هذا البيت لابن جعيثن :

افتتنت بحب غطروف غنـوج
صافي الخـدين متلول الدليـق
وغير هذا مما يتفق وأوزان الموشحات والأزجال ...

نمـوذج

ولعله من الأنسب للقاريء ، أن نضع بين يديه قبل الايغال
في بحوث هذا الشعر ، قصيدة من جيده ، ونقوم بشرحها ،
ابتغاء تقريب بعيدة ، وتذليل ناشزه . ولعله بالأشباه ، والنظائر ،
يقارن اللفظ باللفظ ، والبيت بالبيت ، والمعنى بالمعنى ... ومن
ثم يكون بيده مفاتيح ما غلق ، وحلول ما اعتاص .

ولما كان الشاعر النبطي محمد آل عبد الله القاضي (*) من
أئمة شعراء النبط ، وله فيه القدح المعلى ، واليد الطولى ،
ويمتاز أسلوبه بالجزالة ، وسعة الأفق .. آثرنا أن نختار إحدى
قصائده الوصفية ، وهى القصيدة التى وصف فيها القهوة ،
ففى هذه القصيدة متعة وطرافة ، ورقة وحلاوة . قال :

(*) هو محمد بن عبد الله القاضي ، أحد مشاهير الأسرة المعروفة في بلدة عنيزة
من القصيم ، والشاعر المبدع ذو الحكمة والدراية ، وأحد زعماء شعر النبط ، أمتاز شعره
بالمثانة والقوة ، وجودة السبك ، وحسن الصياغة ، وروعة الديباجة .. وكان شعراء
النبط كل منهم يجيد في اتجاه خاص ، ولا أرى هذا الشاعر إلا قد أجاد في كل اتجاه
سلكه .

يا مل قلب كل ما التم الأشفاق
 من عام الأول به دواكيك وخفوق (١)
 كنه مع الدلال يجلب بالأسواق
 وعامين عند معزل الوسط ماسوق (٢)
 يجاهد جنود في سواهيج الاطراق
 ويكشف له اسرار كتمها بصندوق (٣)

(١) تقدم شرح مفردات هذا البيت قريباً في صفحة ٥٨ .
 يشكو الشاعر من هذا القلب الذي له عامان . كلما أقبل الليل ، والتأم الشفق ،
 ساورته الافكار . وأحاطت به الهموم . وكانت لياليه كلها نابغية .. فمن لهذا القلب
 بشكيه . ومن لهذا الليل يخفف أحزانه وآلامه ؟ !

(٢) كنه : كأنه . مع الدلال : مع السمسار . يجلب : يعرض للبيع . معزل
 الوسط : وسطه ضامر بين نابين هما كتفه وردفه ، فلهذا أصبح مجسماً . ما سوق : مرهون .
 ويمضي في وصف قلبه الوهان ، بأنه كالْبضاعة في يد السمسار يعرضها على الزبائن
 فهو — دائماً — في خفقان ، واضطراب ، منذ عامين كما تقدم في البيت الأول . أما
 عامان آخران فهو لدي البهكنة ، ممثلة الجسم ، ضامرة الوسط ، هو عندها مرهوناً
 لا ينفك .

(٣) سواهيج : جمع سواهج وهو الاغراق في التفكير . الاطراق : من أطراق
 برأسه إذا حز به أمر ، وراح يفكر فيه .

لقلبه في عالم التفكير ، والخيال ، انطلاقات وتحليقات ، تسمو عن حوله ،
 وترتفع به إلى عالم الكشف . والادراك ، فيظل في شبه مد وجزر ، وكر وفر ، مع
 جنود تجلب عليه بخيلها ورجلها ، ومع هذا فهو يجاهدها ويحالدها ، ويكشف له
 تفكيره عن أسرار ، وأخبار ، هو لا يظهرها ، ولا يفكر في اظهارها ، بل لقد أقفل
 عليها صندوق سره ، وطوى عليها مكنون نفسه :

وللسر مني موضع لا يناله صديق ولا يفضي إليه شراب

الى عن لي تذكر الاحباب واشتاق
بالي وطاف بخاطري طاري الشوق^(١)

دنيّت لك من غالى البن ما لاق
بالكف ناقيها عن العذف منسوق^(٢)

احمس ثلاث يا نديمي على ساق
ريحه على جمر الغضى يفضح السوق^(٣)

-
- (١) إلى : إذا . عن : بدا . بالي : خاطري . طاري : طاريء :
- ولست ممن يستسلم لهذه الخواطر والاحاسيس : وكفى . بل إذا عن لي ذكر ،
الاحباب . ودارت بخاطري ذكريات الألف ، وأحلام الماضي ، وهزني الشوق لا
وحر كني الطرب . إلى من أحب . فلي عند ذلك سلوة ولخاطري جلوة .
- (٢) دنيّت : قربت . غالي : ثمين . البن : حب القهوة . ملاق : مازاق وطاب .
ناقيها : منقيها . العذف : الخلط الرديء . منسوق منقى .
- إنني الجأ إلى أداة السمر . ومولدة الفكر . ربة الكيف . وأول ما يقدم للضيف .
إنها القهوة . أدني لنديمي من بنها ما نقيته بكفي . وما غلا ثمنه . وطاب مشربه .
وراق في أعين الناظرين ، وجاء لذة للشاربين .
- (٣) أحمس : أقل . ثلاث : ثلاث قلوات . على ساق : متواليات . ريحه :
رائحة هذا البن إذا قلى . جمر الغضى شجر يشبه الاثل ينبت في الرمال ، يضرب المثل
بخرارة جمره . يفضح السوق : بمعنى تنتشر رائحته في الطريق الذي حوله ، فالتعبير
بالفضح مقصود به أصل الكلمة ، وهو مجرد الذبوع والانتشار :
- فيأمر نديمه بثلاث قليات متتابعات . ليطول مجلس السمر . ويطيب لهم الكيف ،
ولتعبق رائحة هذا البن جميع الطريق ، الذي حولهم متى ما جعل يقلبه على هذا الحمر
الملتهب .

واياك والنية وبالك والاحراق

واصحا تصير بحمسة البن مطفوق (١)

الى اصفر لونه ثم بشت بالاعراق

وغدت كما الياقوت يطرب لها الموق (٢)

وعطت بريح فاخر فاضح فاق

ريحه كما العنبر بالانفاس منشوق (٣)

(١) واياك : احذر . النية : النية قليلة الاستواء — بالك : بالك : احذر . واصح : تنبه .

تصير : تكون . خمسة البن : بقلى البن . مطفوق : مرتعشاً ، مستعجلاً .

ومادام خيراً باعداد القهوة . عليماً باحوالها . واسرارها . فلا بد أن يبت نديمه
بنصائحها . حتى تجيء القهوة . ولا كقهوة الاعشاء ! ! فلا تكون نية لا طعم ولا
غناء فيها . ولا تكون محترقة قد ذهبت النار بجوهرها وخاصيتها ، ولكن بين بين .
وإذا كنت تريد كذا فابصر بقليلها وتأني في تحريكها حتى تأتي لك على ما تريد .

(٢) إلى : إذا . لونه : لونها . بشت : نضجت . الاعراق : جمع عرق وهو

ما يتصبب من الحيوان لشدة الحر . فاستعمله هنا في القهوة لما يندى منها عند القلي .
كما : كأنها يطرب : يعشقها . الموق : البصر .

وحيث افاد نديمه بكيفية قليلها . فلا بد أن يدلّه على اشارة نضجها . وهي أن

تصفّر . ويعاوها شيء من الزيت يشبه العرق . وحينئذ تكون كالياقوت نضارة
وجمالاً . تعشق العين رؤيتها . ويبهج القلب منظرها .

(٣) عطت : تضوعت رائحتها . بريح : برائحة . فاخر : جيد . فاضح : منتشر .

فاق : غلب غيره . ريحه : رائحته . كما : كأنه . العنبر : نوع من العطر . الانفاس :
جمع نفس وهو ما يستنشقه الانسان وتدفعه رثاه من الهواء . منشوق : مشموم .

إن هذه القهوة حينما تغلى وتصبح بهذا اللون الذي ذكره ، فسوف تعبق رائحتها ،
ويتضوع شذاها . ويملاً ما حوله ، فكأنه من اذكي العطور ، ومن أحسن ما شتمته
الأنوف .

دقه بنجر يسمعه كل مشتاق

راع الهوى يطرب الى طق باخفوق^(١)

ولقم بدلة مولع كنها ساق

مصبوبة مربوبة تقل غرنوق^(٢)

خله تفوح وراعى الكيف يشتاق

الى طفح له جوهر صح له ذوق^(٣)

(١) دقه : اسحقه . بنجر : هاون . وكانوا يتخذونه للقهوة من المعدن الصافي اندى لصوته . راع : صاحب . إلى : إذا . طق : دق . بخفوق : بانغام خاصة .

وبعد أن يتم لك في هذه القهوة ما تريده من لون . ورائحة . وقلي معتدل . انقلها إلى طور ثان . وهو السحق . ولكن في آلة ذات جرس ورنين . تشجي السامعين . وتلهب قلوب العاشقين . متى ما حذقت التوقيع . وبرعت في الجميع ..

(٢) لقم : ضعها بدلة : إناء من الصفر تصنع فيه القهوة . مولع : نوع المعدن . كنها : كأنها . ساق : ما بين الركبة والقدم للآدمي . مصبوبة : مذابة في قالب . مربوبة : محلو صداها . تقل : تقول و المراد تشبيهها . غرنوق : طائر مائي أبيض :

وبعد أن يتم لك سحقها . ضعها في انائها اللينق الذي كأنه في بياضه . وانتصابه . ساق جميلة . أو غرنوق يز هو ببياضه وناقته ز هو الطاووس .

(٣) خله : اتركها . تفوح : تغلى . راعي : صاحب . إلى : إذا . طفح : طفا . جوهر : فقايع . ذوق : مذاق .

أصغر قموره كالزمرد بالاشعاق

واكبارها الطافح كما صافي الموق (١)

زله على وضحا بها خمسة ارناق

هيل ومسمار بالاسباب مسحوق (٢)

مع زعفران والشمطري الى انساق

والعنبر الغالى على الطاق مطبوق (٣)

(١) قموره : فقايعه . الزمرد : نوع من الأحجار الكريمة . بالاشعاق : بالاشعاع
الطافح : الطافي . كما : كأنه . صافي الموق : أجمل العيون !! .

وإذا وضعتها بهذا الاناء الممتاز ، فاتركها تغلى ، وحولها أصحاب الكيف قد طاب
سمرهم ، وازداد أنسهم ، فاذا صبغ لونها ، وطفت فقايعها ، ما بين صغار كأنها
الزمرد ، وكبار كأنها صافي حديق العيون الحور ، فهنا قد صح ذوقها ، وطاب
طعمها . .

(٢) زله اسكبها . على : في . وضحا : كناية عن الدلة البيضاء — اناء القهوة —
أرناق : أصناف . هيل : حب الهال . مسمار : قرنفل . الاسباب : الاصناف .

(٣) الشمطري : نبت طيب الرائحة . إلى انساق : إذا جرى . الغالي : الثمين .
الطاق الكامل . مطبوق : مضاعف .

وإذا طاب منها ريحها وطعمها ، واصطبغت بصبغتها الشقراء الحميلة ، فحولها
من مصفاة رائقة ، إلى مصفاة الاخيرة ، حيث تجد أمامها خمسة أصناف ، من الافاويه
العطرية ، والازهار الريحانية ، هي الهال ، والقرنفل ، والزعفران ، والشمطري ،
والعنبر ، قد ضوعفت فيها هذه الأصناف ، فضافت إلى طيب طعمها ، حسن نكهتها ،
وجمال منظرها . .

فلى اجتمع هذا وهذا بتيفاق
صبه كفيت العوق عن كل مخلوق (١)
بفنجال صين زاهى عند الارماق
يغضى بكرسيه كما اغضاي غرنوق (٢)
الى انطلق من ثعبته تقل شبراق
أو دم جوف امزع منه معلوق (٣)

(١) فلي : فاذا . تيفاق : اتفقت الاصناف . صبه : اسكبها . كفيت العوق : دعاء له بأن يكفي ما يعيقه ..

وحينئذ انتهى بك المطاف بعد هذه الأدوار التي مرت بك ، في وصفها ، من القلي ، إلى السحق ، إلى الغلي ، إلى التصفية والتعطير ، وقد بلغت بها المبلغ الذي يراد منك ، فكفيت ما يعيقك ، اسكبها على الحاضرين ، وأدر كوؤوسها بنظام وخفة ورشاقة (٢) بفنجال : فنجان وهو كأس القهوة . صين : مادة خزفية صافية . زاهي :

زاه الارماق جمع رمق وهو عندهم البصر . يغضي : يغض طرفه . بكرسيه : بصحنه . كما : كأنه . اغضاي : اغضاء . غرنوق : طائر تقدم تفسيره قريباً .

ولا يفوته أن يصف الكأس التي تدار فيها القهوة ، فهي من معدن جميل نعشقه النفس ، ويزهو في أعين الناظرين ، ولكأنه في كرسيه إذ يطفو عليه الحباب ، غرنوق يتوق برأسه ، ويغضي بعينه .. وفي هذا البيت الايطاء ، وهو تكرار القافية قبل اجتياز سبعة أبيات ، إذ تقدم لنا وصفه (للدلة) بالغرنوق ، وهذا معيب — أيضاً — عند شعراء النبط ..

(٣) إلى : إذا . ثعبته : رقبة اناء القهوة (الدلة) تقل : تقول هو . شبراق : مادة حمراء قانية جوف : قلب . امزع : انخل معلوق ما يتصل بالفؤاد كالكد والطحال والكلاء .. الخ .

فاذا أخذ يسكب في هذه الكأس ، رأيت هذه القهوة تنتقل من فم الابريق إلى الكأس ، وكأنها هذه المادة القانية الاحمرار — الشراق — ولكأنها دم الجوف انخل منه ما حوله ، وما ابدع ما يشكله منظر هذه القهوة في فنجان الصين الابيض اليق

خمر الى منه تسلسل بالارياق
وعليه من ما صافي الورد مذلول (١)
راعيه كنه شارب ريق ترياق
كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق (٢)
يحتاج من خمر السكرى الى فاق
طفل تمر شفاه والعنق مفهوق (٣)

(١) خمر : كالخمر . الى منه : إذا هو . الارياق : جمع ريق . من ما : من ماء .
مذلول : مهراق :

(٢) راعيه : صاحبه . كنه : كأنه . ريق ترياق : صافي الخمر . كأس الطرب
إنه لكأس الطرب . ذوق مذاق .

إن هذه القهوة لتشبه الخمرة في تسلسلها في ريق محتسبها . سيما وقد اهريق عليها—
علاوة على الأصناف الخمسة المتقدمة — من ماء الورد الصافي فكأن شاربها قد عكف
على بنت الكرم يرضع كأسها ، إنه الطرب والسرور لمن ارتشف من هذه القهوة ،
الحميلة الفائقة .

(٣) إلى فاق : إذا أفاق . طفل : عادة تمر : ترتشف . شفاه : شفيتها . مفهوق :
متلع .

لم يحتاج محتسبي هذه القهوة بعد أن يفوق من خمرتها المسكرة . إلا إلى عادة حسناء
يرتشف من ريقها ، وينهل من رضاها ، فيكمل انسه . ويطيب مناه ..
والقاضي من شعراء الغزل . واهل الرقائق الحميلة . والنسيب العذب . وقد
روهن ان يقول قصيدة كاملة لا يتعرض فيها للغزل . فبدأ هذه القصيدة : ولما استمر
في قرضاها سلطوا عليه إحدى الفاتنات فتعرضت له فاختمت القصيدة بهذه القطعة الغزلية
الرائعة ! !

عبث يميل بحبته ما بعد ماق
وهو يزاهى باهر البدر بشعوق^(١)
بين اشفتيه الى غنج حق براق
عجل رفيفه بالطها يعطى اطبوق^(٢)
سطر كتب من حبر عينه بالأوراق
خديه صادين ونونين من فوق^(٣)

(١) عبث : مرح . حبته : فبلته . ما بعد ماق : ما تكبر قط . يزاهي : يشابه .
باهر : عظيم النور . شعوق : شعاع .

هي عادة متناهية الحسن ، ذات عنق اتلع جميل ، ولم تكن بثقيلة ظل ، ولا غليظة طبع ، بل مرحة ، لعب طروب ، ذات ظرف ، ولطف ، تميل إليك بقبلتها ، وتبدأك بها ، ولم تكن متكبرة ولا متجافية ، ولكنه ظرف الملاح ، ودلال الجمال ، وليس الحسن قد اعطاها بعضه بل قد استبدت به ، واستأثرت على لداتها ، وليخش بدر التم ان تنازعه البهاء وتقاسمه الاشراق ..

(٢) اشفتيه : شفتيه . الى غنج : إذا مزح ولعب . حق براق : شبوب برد من بارق مشتعل . رفيفه : وميضه . الطها : المزن يغشى السحاب . يعطى : يشكل . طبوق : طبقات .

ولله هذا الثغر الاشنب ، يفتر عن برد كأنما نثرته مزنة ذات أطباق ، يضحك بين طياتها بارق لا يهدأ وميضه ، ولا يخبو اشتعاله .

(٣) حبر : مداد . الاوراق : ورق الكتابة . صادين ، ونونين : وحرفا الصادو حرفا النون . عيناه سوداوان ، وخدها أبيضان ، ومن سواد عينيه كتب شعر صدغيه على خديه حرفي الصاد ، وعلى حاجبيه حرفي النون .

والقاضي خالف الثعالبي حيث سماها الثاني واوات . إذ يقول :
إن الواو التي تأتي بعد (لا) النافية لتفرقها عن (لا) الدعائية أحسن من واوات الاصداع ، على حدود الملاح !! أما القاضي فيزعمهما صادين ..

كن العرق باخودها حمر الارناق

ينثر على الوجنات باللون مشعوق^(١)

بالعنق كن المسك والخذ براق

والمشخص بصدره كما الشاخ مدقوق^(٢)

يمشى برفق خايف مدمج الساق

يفصم حجول ضامها الثقل من فوق^(٣)

(١) كن : كأن . الارناق : اليواقيت وما شابهها . مشعوق : مضىء .

(٢) كن : كأن . براق : بارق . المشخص : قطعة الذهب . مدقوق : مصوغ .

وكأن العرق المتحدر على وجنتيها ، ياقوت منثر يتلاقى اشعاعه مع اشعاع هذين الخدين الأبيضين الحميلين ، أما نحرها وجيدها فكأن المسك ينفع منهما ، وكأن الخد بارق يضيء من جنبات مزنة وطفاء ، ويتدلى على نحرها عقد حوى سمطه أنواع الجواهر وللأليء ، ينحدر من جيد يزيده جمالا وملاحة ..

(٣) خايف : خائف . مدمج الساق : ملمومة مكتتزة . حجول : جمع عجل

وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها . ضامها : ضيق عليها . الثقل : العبالة والرداحة .

ومشيتها مترفقة رزينة ، كأنما عناها الأعش بقوله :

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

فهى بهذه المشية الهادئة تخشى على حجليها المضمينين ينقصمان ، من شدة الاكتناز والامتلاء ، وتترفق على قدمين مترفين ، يأخذان معنى قول النابغة :

ليست من السود اعقاباً إذا انصرفت .

الى حصل لك ساعة وانت مشتاق

فاقطف زهر مالاق والعمر ملحوق (١)

فيلا حضر ماقلت عندي فالارزاق

بيد كريم كافل كل مخلوق (٢)

وصلاة ربي عد ما بارق حاق

على النبي الهاشمي خير مخلوق (٣)

(١) إلى : إذا . حصل : انفق . ساعة : فاعل حصل . لاق : راق . ملحوق : مدرك .

وإذا مد إليك الدهر يد المسألة ، ساعة منه ، فاهتبل الفرصة ، وتغرق غفلاته ، واقطف الزهرة الزاهية ، والثمرة اليانعة ، فلا بد للزهرة أن تذبل ، وللثمرة أن تيبس ، ولا بد للعمر أن يأفل نجمه ، ويصوح عوده :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكونا (١)

(٢) فيلا : فاذا .

فاذا ملكت هذا فلا علي بعدئذ فقد كملت لذتي وطاب أنسي ، اما رزقي فهو بيد من كفل جميع الخلائق ، واعتنى برزقهم ، وإليه الحأ ، ومنه أعوذ ، وإليه الود .

(٣) عد ما : عدد ما . حاق : لمع وبرق .

وإذا انتهيت من خواطري وأفكاري ، المودعة في هذه القصيدة ، فليس علي إلا أن اكرر صلاتي وتسليمي ، ما أو مض البرق في أعجاز المزنة ، على خير مخلوق تحدر من أصل كريم هاشمي قرشي .

(١) أوردنا هذا البيت على اللغة الفصيحة في (إن) إذا تقدم خبرها مع ان رواية البيت المشهورة بضم (سكون) .

نظرة إجمالية في هذه القصيدة

استهل الشاعر قصيدته ببث شكواه ، والرثاء لقلبه ، فهو معمود لهذا القلب الذي له عامان لم تمض فيهما ليلة إلا وهو غرض لسهام المصائب ، وحبس لحرارة الحزن ، فيا لهذا القلب كأنما هو في يدي سمسار يقلبه بين يدي الزبائن .. وحيناً عند مولهته وفاتنته ، رهين الحرمان ، وربيب الهجر ، ولطالما دخل في غيبوبة معتمة يجاهد فيها جنود الهموم ، ويجالد جيوش الأوهام ، وتظهر له تجليات ودفائن . أودعها تابوت سره ، وطوى عليها جوانحه ...

وهو إذا رجعت به الذاكرة إلى اويقات الصبا ، وملاعب الأنس ، ووصال الأحبة . واستعرض ذلك الماضي الحافل ، بالذكريات الجميلة ، والأحلام الساجية ، فهو لا يستسلم لها ، ولا يستكين ، بل يختار من نداماه من يطمئن إليه ، ويأنس بحديثه ، فيقدم له من صاف البن ما راق ونقا ، ويملي عليه درساً في القهوة ، من خبير عالم بأسرارها ، متقن لصنعها ، قد محضته التجربة فيها الدراية التامة ... فعليه أولاً أن يقلبها قليلاً معتدلاً ، ثم يسحقها ، ويضعها في إناء تغلى فيه بقدر ،

وهكذا حتى يقدمها طيبة الطعم ، عبقة الرائحة ، حسنة المنظر .
إذا طابت العقار لشاربيها . وجد أصحاب القهوة في هذا اللون
منها ، لذتهم ، وكيفهم ، وأنسهم ..

وله بعدئذ أمنية هي منتهى أمله . وغاية قصده . لتطيب
له هذه القهوة ويلذ مشربها ، فهو يحب لهذا الشراب الطيب
مزاجاً . ومزاجها من ظلم عادة فتانة لعوب طروب . ذات دلال
وجمال . عنقها أتلع . وثغرها أشنب . وكأنما يشع من جبينها
بارق وضاء ، وكأن صدغيها المعقوفين على وجنتيها ، البيضاوين
حرفا صاد . وكأن حاجبيها الأزجين حرفا نون . كتبنا من
سواد عينيها الفاحم . فجاء آية في الجمال ، والإبداع .

أما عرقها المتحدر على وجنتيها ، فالياقوت ينتشر على صفحة
بلور . وله طريقة في الخطو تخجل القطاة في مشيتها ، وربما
يخشى على حليته الممتلئة بساقين بضين جميلين تنفصم من
شدة الامتلاء .

هذه هي بغيته ، فاذا حصل هذا فسوف يختلس غفوات
الدهر ، ويهتبل سوانح الفرص ، ولا بد للعمر من نهاية ،
ولللذة من كدر . .

وإذا نظرنا إلى هذه القصيدة من الناحية الفنية ، وجدناها
تمتاز بحسن الصياغة ، وسلاسة اللفظ ، ودقة الوصف ، وسمو
المعاني ، وإن كانت تنقصها وحدة القصيدة ، حيث يريد لها
البحث تدور في فلك واحد ، وتعالج موضوعا مستقلا ، لا صلة
له بغيره .. إلا أن الشاعر هنا معذور ؟ !

أولا : لأنه نشأ في عصر كان الشعر فيه يسير على هذا
النمط ، ويجري على هذه الوتيرة ، فكان الشاعر المصري ، أو
العراقي ، أو الشامي - آنذاك - يتغنى بالمنحنى والغدير ، وعنده
النيل أو الفراءة أو بردى ، ويذكر الخرامى والعرار ، ولديه
الجنان الفيح ، والحدائق الغناء ، ويركب الفرس والناقة ،
وعنده القطار ، وآلات البخار .

وثانيا : لم يكن شاعرنا هذا يخرج من معنى ويلج في آخر
بدون استئذان ، أو بلا سابق انذار ، بل قد تعرض في قصيدته
هذه إلى ثلاثة مواضيع هى :

أولا : بث شكواه ، واظهار لوعته لقلبه المعذب الحائر ..
ثانيا : وصفه الشامل للقهوة ، وكيفية صنعها ، ومبلغ
احتفاء العربي بها .

ثالثا : خروجه إلى النسيب ووصفه للحبيب ..

وفي هذه الأغراض الثلاثة ينتقل من غرض إلى غرض :
بتخلص حسن ، ومعنى دقيق ، ففي خروجه من الغرض الأول
للثاني نراه تقريبا مهد له بقوله :

الى عن لى تذكّار الاحباب واشتاق
بالى وطاف بخاطري طاري الشوق
دنيت لك من غالى البن ما لاق
بالكف ناقيها عن العذب منسوق
فنجده دخل إلى هذا الموضوع ، بأن جعله سلوة لخاطره من
الهموم ، وردئا له من الأحزان .

أما الموضوع الثالث فقد ولجه بمعنى يشابه المعنى السابق ،
فهو حينما راقّت له هذه القهوة ، وطاب مشربها ، وشعر بالأنس
والسرور يسريان في كيانه ، ويدبان في أوصاله ، لم يبق عليه
إلا أمنيته الكبرى ، ومدار تفكيره ، فاراد أن يمازج هذه
هذه القهوة بطريقة محبوبته المعسلة ، ورضابها العذب . فيقول :

يحتاج من خمر السكاري إلى فاق
طفل تمر شفاه والعنق مفهوق

وأظن أن في هذين التخلصين الجميلين ما يشفع لشاعرنا .
ويدراً عنه نقد الناقلين !

وفي هذه القصيدة . من المعاني السامية . تعرض الشاعر
لموضوع وصف القهوة ، وهو موضوع لا أظن أن أحداً من الشعراء
- شعراء النبط - سبقه إليه . وإن كان ثمة أحد فببيت أو
ببيتين ، أما هو فقد أبدع وأمتع في وصفها . وليس من يقلد
ويحاكي ، كمن يبتكر ويفن ، استمع إليه وهو يصف فقاقيع
القهوة ، الطافية عند الغليان .

أصغر قمورة كالزمرد بالاشعاق
وكبارها الطامح كما صافي الموق

أليس هذا مما يدل على خصوبة خيال وسمو تفكير ؟ !
وتخيل كيف وصف القهوة ، تنطلق من رقبة إبريقها إلى
كأسها بدم قان انطلق من وريد ، أو انفجر من جوف مخلوع !!

الى انطلق من ثعبته تقل شبراق
أو دم جوف امزع منه معلوق

أسلوب القصيدة في شعر النبط

نحن نعلم أنَّ لكل عصر من العصور ، أسلوبه الخاص ،
في بناء القصيدة فالعصر الجاهلي في لغته ، وتفكيره ، ومحيطه ،
وأغراضه ، التي ينظم فيها .. غير عصر صدر الإسلام ، وهذا
غير عصر بنى أمية ، والعصر العباسي يخالف ما تقدمه ،
وما قبل عصر النهضة يخالف ما قبله ، والعصر الحاضر يخالف
الجميع ...

وهذا ما يشير إليه الأستاذ أحمد حسن الزيات بقوله :

« كان الشعر في الجاهلية لسان دفاع ، وحمى ذمار ، ومسجل
محامد ، وفي الدولة الأموية داعية دين ، ودعامة ملك ، وناصر
مذهب ، ومؤيد فرقة ، وفي الدولة العباسية نديم خليفة ،
وسمير أمير ، وأليف كأس ، وصريع غانية (١) » .

وإذا نظرنا إلى العصر الذي ساد فيه الشعر النبطي ، وانتشر ،
وتأثرت فيه عموم الأوساط في الجزيرة العربية ، وجدنا أنه
يستقي تقاليده ، ومناهجه ، وأساليبه ، مما قبل النهضة الحديثة ،

(١) تاريخ الأدب ص ٢٤٨ .

ومعنى هذا أن أسلوب التجديد الحديث ، لم يجد سبيله إلى مسالك الشعر النبطى ، ولم يتأثر به ، لا من قريب ، ولا من بعيد ، وهذا يرجع إلى أمور منها :

١- إن الجزيرة العربية بحكم وضعها السياسى - منذ زمن ليس ببعيد - ويتبعه الوضع الثقافى ، والاقتصادى والاجتماعى . لم تكن لديها القابلية لتلقى هذا الجديد ، فى الشعر العربى ، وكان الشعراء والنظامون فيها على قلتهم لا يتأثرون فى شعرهم إلا بما تمليه عليهم دواوين الأدب القديم .

وقليل هم الذين اقتبسوا بعض الاشعارات من أسلوب الشعر الحديث ، على سبيل النشوء والارتقاء ، إبان رواج الشعر النبطى ، فكان فى شعرهم شىء من الخضرمة ، فمن أين للنبط - والحالة هذه - التأثير بالتجديد ؟ !

٢- فى الوقت الذى وجد التجديد سبيله إلى الجزيرة العربية ، وأصبح له هواة ، وأنصار ، نجد فى الشعر النبطى قد أخذ فى التقلص ، والاضمحلال ، وأن الحكام ، والمجتمعات التى كانت تغذى ملكاته ، وتجزل هباته ،

قد عزفت عنه ، ولا نستطيع أن نقول إن هذا العزوف
إلى الشعر العربي . فلو كان الأمر كذلك لما وجدنا
شعرنا العربي لا يزال يتخبط في الطريق . ويعشو عن
الجادة . ولكانت لنا شخصية شعرية يعتد بها بين
الأمم !!

ولكننى أعتقد أن الذي أحدث العزوف عن الشعر
النبطى ، والسير البطىء نحو العربي ، هو الهدوء .
ودنيا الركود واليأس . بعد أن كان نقيض هذه
الناحية هى الشعلة التى تستنفر الشعراء . وتورث
الخلق . والابتكار . والإجادة . هذا بالنسبة إلى الشعر
النبطى . أما بالنسبة إلى العربي ، فالثقافة الضحلة .
وعدم استقلال الأديب السعودي ، أو الجزري على
الأصح . ونظرة دائماً إلى الغير عندما ينظم . يضاف
إلى هذا رداءة الاستهلاك وبرود التلقى .

٣- ان نظامى الشعر النبطى هم - فى الغالب - ليسوا من
الطبقة المثقفة والمستنيرة . حتى يتأثروا - عن طريق
القراءة والسماع - بكل جديد ويبرز ذلك فيما ينظمونه
بل هم طائفة من سواد الناس ، امتازت بدقة الاحساس .

وشىء من الذكاء والتجربة الاجتماعية ، وإن كان
لبعضهم ثقافة جعلتهم يتأثرون في شعرهم بالشعر
العربي القديم ، كما سنعقد له فصلاً خاصاً من هذا
الباب إن شاء الله ، إلا أن هؤلاء ليسوا بكثير .

وإذاً فيصح لنا أن نبيح لأنفسنا القول بضيق دائرة هذا
الشعر ، ودورانه في فلك خاص ، وبيئة خاصة ، يفقد خاصيته
إذا فارقهما ، ولا أدري هل في هذه النتيجة التى وصلنا إليها رد
على ابن خلدون في قوله باستقلال الشعر عن اللغة ، أولاً .. ؟ !
انظر صفحة ٥٠ من هذا الكتاب .

ومما تقدم ندرك أن بناء القصيدة في الشعر النبطى ، يستمد
من تكوين القصيدة العربية - في الغالب - بالغزل والنسيب ،
أو براكاب الركب ، ويمر بالمفازات الموحشة ، الممتدة الآل ،
وقد يتخلص إلى غرضه ، أو لا يتخلص .. يقول الدكتور
طه حسين :

« والقصيدة العربية الشعبية الآن ، كالقصيدة العربية
القديمة ، تبدأ بالغزل القليل البسيط المؤثر ، ثم تنتقل إلى
وصف الإبل والصحراء فتطيل في ذلك ، ثم تصل إلى غرضها ،

من مدح . وفخر ، وغيرهما ، من فنون الشعر .. (١) » .

ونحن ندرك أن الأمر كذلك ، إقرأاً لمحسن الهزاني من
قصيدته الرباعية الآتية :

هافت غصون القلب يا زيد والون
من فرط نار الشوق والوجد والون
على عماهيج لى أو من والون
نهار شدن الحنا فوق الاغصان(٢)

* * *

سالت مدامع ناظري فوق خدي
وابديت للجهال مكنون سدي
نهار عاينت الحنايا تشدي
على ظعون الترف مياس الاردان(٣)

* * *

(١) الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص ٢٤ .

(٢) هافت : ذبلت . ألون . قوسن . ألون الثانية : الأنين . عماهيج : مائلات
لينات الاعطاف . أو من : أو مأن وهو من لى اليدين بالاشارة .

(٣) ناظرى : عيني . مكنون سدى : دخيلتي وسري . الترف : المترف . مياس
الاردان : ضافي الثياب مسترسلها .

طفل سلب عقلى بجيد وقصة
وامبيسم يا حظ ابو من يمصه
وقريدة فيها الرايف وحصة
ومغيزلات غزيل حين ينعان^(١)

* * *

لج الهوى بي واشتعل في فوادي
ومن المحبة همت في كل وادي
ومن الوله يوم ارتحال البوادي
غديت ادور جوف الاطعان حشوان^(٢)

ويمضى في تغزله ووصف وجدته وأنينه ، وشجوه وحنينه ،
إلى أن ينتقل إلى الخطوة الأخرى في بناء قصيدته وهى إركاب
الركب فيقول :

يا على واركب فوق حر شمالا
من نبت ثجاج البطاحي تما

(١) طفل : عادة . قصة : لمة شعره . مبيسم تصغير مبسم وهو الثغر . يا حظ أبو
من يمصه : ما أسعد من يترشفه . قريدة : حلية تلبس في العنق . الرايف والحصة :
أحجار ثمينة تنظم في العقود . مغيزلات : أعين ظي .

(٢) أدور : أبحث . جوف الاطعان : وسطها . حشوان : جمع حاش ، وهو
فصيل الناقة .

واقول يا من فوق كوره تعلا
 عج راس نضوك لى ولو كنت مشتان (١)
 اوقف تحمل رسالة من قبالى
 للى شعب فى غزل عينيه بالى
 قل له إذا ما جيت والبيت خالى
 ألف يوديك السلام ابن عثمان (٢)
 وقد يبدأ القصيدة بشكوى حاله والرثاء لقلبه وذكر صروف
 دهره وتقلباته .. اقرأ لابن سبيل :
 يا ذعار انا قلبى من العام حوله
 إلى اليوم ينقص ما بقى إلا قليله (٣)
 مثل الشعيب الى ثقافت محوله
 مسن جنابه يابس حنضليله (٤)

-
- (١) شمالا : شمالال البطاحي : جمع بطحاء . تملا : اكتنز من الشحم . كوره :
 قبة تعلا ركب . مشتان : مشغول .
 (٢) أوقف : قف . من قبالى : من قبلى . شعب : فتن ، فى غزل عينيه : بغزل
 عينيه بالى : خاطري . والبيت خالى : الواو واو الحال . الف : مفعول مقدم ليوديك ،
 ومعناه يوديك . ابن عثمان : هو الشاعر محسن ابن عثمان الهزاني .
 (٣) ذعار : منادي بيئه شكواه .
 (٤) الشعيب : الوادي . إلى ثقافت محوله : الذى تتابعت محوله جمع محل وهو
 الجذب . مسن : مسنت . جنابه : أرضه . حنضليله : شجر الحنضل وهو أصبر
 النباتات على العطش .

وأحياناً يفتتح القصيدة بالصلوات والتوسلات كما فعل
العوني :

يا الله يا والى على كل والى
يا خير يدعى لكشف الجليمة^(١)

والعرينى :

يا الله يا باني الحرم في تهامة
كشاف ضر ايوب فتاح الابواب
وقد تبدأ القصيدة بذكر الابل ووصف مجاهل الطريق ثم
تنتقل إلى مدح الممدوح .. الخ .

اقراً لمحمد بن لعبون :

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينباج والليل غريب^(٢)
مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب
تريضوا يا ركب ما انتم باجانيب^(٣)

(١) خير : وزان قيم . الجليمة : الأمر المضل المحير .

(٢) ما سرتوا : ما نأف فيه وفيها معني الاستفهام . بيوسف ليعقوب : المراد التشبيه
بيوسف ويعقوب نبيي الله بجامع الوله والشوق . ينباج : يتنفس . غريب : أسود غدا
في الالهاب .

(٣) مقدار : ظرف متعلق بـ (تريضوا) بمقدار شرب الكأس . تريضوا :
ريضوا . ما أنتم .. : ما أنتم باجانيب اتحاشا ايفافكم .

ما يستدير الدور منكم لمنيوب
الا وقد خطيت رسم المكاتيب^(١)

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب
تضحك على الدايه فدنوا يعايب^(٢)

يشدن لعيدان لها القوس مكروب
وخلافهن ضراب نبط النشاشيب^(٣)

هجن هجا هيح برى حالها الدوب
من كثر ماراحن وماجن مناديب^(٤)

تنفى مناسمها الحصا تقل حالوب
غادر شبوبه ساهرات نحاحيب^(٥)

-
- (١) منيوب : مشغول . رسم المكاتيب : مضمون الكتب .
(٢) إلى : إذا . افتر : ضحك . تقل خرعوب : مثل الغادة الحميلة تضحك لمريبتها دنو يعايب : ادنو إبلاً سريعات .
(٣) يشدن : يشبهن . عيدان : اعواد . مكروب : مشدود ، والمراد انهن ضامرات ضراب : فعال ، كثير الضرب شديده . نبط حذف . النشاشيب : النشاب وهو تشبيه الحصا تنفيه مناسم هذه الابل بالنشاب ينطلق من القسي .. تشبيه رائع لم يسبق عليه .
(٤) هجاهيچ : سريعات . الدوب : مواصلة السير . راحن وجن : ذهبن وجئن . مناديب : مندوبات والمراد أهلهن .
(٥) تنفى : تزيح . تقل حالوب : مثل شبوب البرد . غادر شبوبه : القى برده . ساهرات النحاحيب : السحاب يسري ليله كله وله هزيم بالرعء .

ويمضى في وصف هذه الإبل ، حتى يستكمل جميع
الأوصاف الحسنة فيها ، وبعده يفضى إلى المرتبة الثانية وهى
وصف المجاهل التى يمر بها هذا الركب :

مع صحصح كنه قفى الترس مقلوب

يفرح به الجنى على فقدته الذيب^(١)

تاخذ به الشريه زمانين برتوب

وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب^(٢)

بقفر كلاه انبوب ساقه على انبوب

زرق العسق بحماه مثل المغاليب^(٣)

حتى إذا انتهى من الطريق ومجاهله ، وما به من كلاً

(١) صحصح : أرض مستوية . كنه : كأنه قفى الترس مقلوب : ظهر المجن .
يفرح به الجنى .. الخ عندهم خرافة تقول ان الذئب إذا ادركه السغب خرج له جنى من
الأرض فيطارده حتى يتمكن منه ويأكله وهذا الصحصح الذي لا عوج فيه ولا امّا
تطمئن فيه الجن لانهم لا يطمئنون إلا حيث القفر الخالي من الانس .

(٢) الشرية : الحنضلة . زمانين برتوب : عامين وهى إذا القيت تقفز قفزاً .
وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب : وعامان آخران تظل ساجية في سيرها من شدة
استواء هذه الأرض وطولها وهذا من الاغراق والمبالغة الشديدة .

(٣) بقفر كلاه انبوب ... الخ يقول إن هذا القفر قد نما عشبه وكلؤه حتى صار
أنابيب بعضها فوق بعض ، وصارت البراعم عند ما تمتد كأنها المخاط في قوة
اندفاعها .

مشتبكة ازهاره . عبق أريجيه وصل إلى بلدة جميلة يريد أن
يمدح صاحبها .

وإذ فرغ من المدح البلدة التي أَلَم بها ، فلا بد أن يتعلق
بسبب للدخول على مدح الممدوح ، وهنا نجد ابن لعبون قد
تخلص تخلصاً جميلاً يحسده عليه كثير من شعراء العربي ، بله
النبطي ، فلو رآه قائل هذين البيتين :

تقول في قومس قومي وقد أخذت
منا السرى وخطى المهرية القود

امطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ؟ !
فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجود

لشهد له بالسبق وأقر له بالأفضلية : فهو يقول في هذه
التحية التي يحملها الركب ولا نعلم - بعد - لمن يحملها :

تغمز معانيها حشاشات وقلوب
غمز المعالي لابن ضاحي حواجيب^(١)

(١) معانيها : فاعل تغمز . وحشاشات وما عطف عليه مفعول به . حواجيب :
حواجب .

الي صبر عند البلاكنه ايوب
يوم العذارى ذاهلات الجلابيب^(١)

تصور كاعبا حسناء قد شغفت حبا فبرح بها الجوى ،
وتعلق قلبها بمحبيب ذهبته كلما رأتها جعلت تلعب بحاجبيها ،
وتغمرهما غمز الغزل المرح ، إنها المكارم كلما افتض بكرةً من
أبكارها غمرت له أخرى ، فنال منها مأربه ، ووصل إلى مناه ،
وهكذا هذه التحية تغمر القلوب والحشاشات مثل غمز حواجب
المعالى لابن ضاحي !!

وبعد أن أفاض الشاعر في مدح ممدوحه كان قد استكمل
مراحل قصيدته فأنتهى به المطاف .

وأحيانا لا يعول الشاعر النبطي على التخلص بل يبدهك
بالانتقال المفاجيء بدون مقدمة أو استئذان ، وهذا قد يقع من
الشاعر نفسه فتخالف بعض قصائده البعض الآخر ، وهو أمر
ليس الشاعر النبطي بدعاً فيه ، بل لقد سبقه العربي إلى ذلك
وإلى بعض التخلصات التافهة ، فأبو الطيب المتنبي - وهو من

(١) إلى : الذي . كنه ايوب : كأنه ايوب نبي الله في صبره على البلاء ، وقد
تحدث القرآن عن صبره . يوم العذارى : ظرف متعلق بصبر . ذاهلات الجلابيب :
ذاهلات عن اكسيتهن من شدة الروع !!

هو - في قدرته على التخلصات النادرة ، مثل قوله في المغيث العجلى :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها
من أين جانس هذا الشادن العربا

فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى
ليث الشري وهو من عجل إذا انتسبا

نراه في قصيدة أخرى يفاجئنا بمفاجأة لا تليق بأبي الطيب ،
ففى قصيدته النونية التى مدح بها سعيد بن عبد الله الانطاكى ،
أراد أن يتخلص فلم يحالفه التوفيق فقال :

لو استطيع ركبت الناس كلهم
الى سعيد بن عبد الله بعـرانا

حتى تنذر عليه من تنذر فقال : أيركب حتى أمه ؟ !
وقبله لم يحاول التخلص زهير بن أبي سلمى ، وهو ما هو
في شعراء الجاهلية ، انتقل إلى مدح هرم بن سنان مفاجأة
بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم
خير البداة وسيد الحضر

واذن فلا لوم على الشاعر النبطي ، أن يستعمل كلمة ،
(وخلاف ذا) كما استعمل شاعر الفصيح : (دع ذا) فهذا
راكبان بن حثلين يقول :

وخلاف ذا يا راكب فوق هياف
بتيل ساج ومقتفيه الولامي^(١)

بعد قوله :

عسى لهم بآيات من حج واطاف
عز لحاضرهم وللحى دامى^(٢)
وكما نرى القصيدة العربية تعنى بحسن المطلع وتنفر من
قبحه إذ حمد النقاد لآبي الطيب قوله في حسن المطلع :

فدينناك من ربع وإن زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا
تزلنا عن الأكوار نمشى كرامة
لمن بان عنه أن نلم به ركبا

(١) وخلاف ذا : وبعد هذا . فوق هياف : على سفينة سريعة خشبها من الساج .
ومقتفيه الولامي : مستدبرته الرياح . وهذا يكون أسرع لجريه .
(٢) بآيات من حج واطاف : بآيات الله الذي يحج ويطاف له . دام : دئما
لا لا ينقطع .

وذمواله قوله :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا
ثم انصرفت وما شفيت نسيسا
فكذلك نجد الشعر النبطي يتفاوت في هذه الناحية ، فبينما
نري الشاعر محمد بن لعبون يستهل إحدى قصائده بهذا المطلع
البارد :

قبل امس انا حيران وامس مساييم
واليوم مشتاق وباكر اباسيم^(١)
إذا بنا نري الشاعر ابن جعيثن ، يستهل قصيدته بمطلع
حلو ممتاز :

البارحة ليلى عسى الله يعود
يازين وصل الليل من بين الاحباب^(٢)
وجريان القصيدة على هذا النحو هو الأعم والأغلب وإلا فقد
تسلك مسالك أخرى لا تلتزم فيها شيئا مما ذكرنا ولا تتقيد به .

(١) قبل امس : أي اليوم الذي سبق امس الدابر مساييم . مضرب عن الأكل
والشرب غازف عنهما .

(٢) يعود : يعيده . يازين ما أحلى . من بين : ما بين .

وهكذا كل ناحية سلكتها القصيدة العربية ، نجد القصيدة
النبطية تسايرها فيها ، كحسن المقاطع ، والنهايات ، ونصح
الممدوح أحيانا واستعطافه ، وختم آخر القصيدة أحيانا بالصلاة
على النبي (عليه السلام) كما يفعل قدماء الشعراء .

وبالجملة فالشعر النبطي هنا صورة من العربي في سابق عهده.

* * *

بين الشعر النبطي والعربي

سبق أن تحدثنا في فصل سابق عن فنون الشعر العامي ، كالزجل ، والموال ، ونحوهما ، وتحدثنا عن صلة الشعر النبطي بهذه الفنون من جهة ، وانفكاكه عنها من جهة أخرى ، وألمنا بشيء عن صلته الوثيقة بالشعر العربي ، من حيث أسلوبه ، وأغراضه ، ومناحيه .. ونعود الآن لنوفي هذا الموضوع ما يستحقه من درس وتحقيق ...

لا نجد فرقاً ينأى بالشعر النبطي ، ويخرجه عن محيط العربي ، غير اللغة حيث تجدها - غالباً - في الثاني سليمة في نطقها ، سليمة في اصطلاحها ، سليمة في رسمها ، وفي الأول تساير العامية ، في جميع خصائصها ... أما إذا نظرنا إليهما من الناحية الشعرية ، فلا نكاد نجد فرقاً يذكر .

فالأغراض التي طرقها ويطرقها الشعر العربي ، نجدها بكاملها في الشعر النبطي .

وأسلوب القصيدة ، وبنائها في الشعر العربي ، يتجلى بكامله في الشعر النبطي .

والتأثير الشعري ، عاطفياً كان ، أو حماسياً . أو روحياً .
يبدو جلياً في شعر النبط .

وما نستطيع أن نقف عليه من أحوال أمة - أي أمة - في
تصوير مشاعرها ، وإبراز حقائقها ، عن طريق شعرها ،
وأدبها ، نستطيع أن نصل إليه عن طريق هذا اللون من الشعر ..
ولكى ندعم هذا القول ، نحاول أن نورد نماذج عن :

١- أغراض الشعر .

٢- تصوير البيئة واستجلاء حال الأمة :

١- الشعر النبطي وأغراض الشعر :

وحيث أن الوصف والنسيب لهما الصدارة في الشعر النبطي ،
وتتفرع عنهما نواحي خليقة بالبحث ، والاستقصاء ، لهذا فإننا
سوف نخصص لكل منهما فصلاً مستقلاً ، ونتناول هنا بقية
الأغراض ..

١- المدح :

من أبرز الأغراض التي طرقها شعر النبط المدح ، لما تقضى
به حال البيئة ، ومنهج الأمة الاجتماعي ، ويعتبر العوني في

مقدمة المادحين ، لما يقضى به منهجه في الشعر ، وبيئته المتلقفة
لهذا النوع المغذية للملكة الشاعر فيه .

قال في إحدي أعتذارياته ، وفيها يعتذر من الإمام
عبد الرحمن آل فيصل آل سعود عن بعض هفوات وقعت منه :

عبد العزيز حجاب نجد عن الروم

ابنك نجيبك هدم صولات من صال^(١)

عز الرفيق وذل من ينقل الزوم

لظام هامات العدى متلف المال^(٢)

حر إلى منه شهر وادرج الحوم

عقبان نجد عن مراميه تنجال^(٣)

سبع ضرورم يقصم العظم ملحوم

حراب ضراب حمول وزعال^(٤)

(١) الروم : الافرنج ومن على شاكلتهم . نجيبك : من انجبتة . هدم : هدام .
صولات : ثورات .

(٢) الرفيق : الصديق . الزوم : الكبر والغطرسة . لظام : صيغة مبالغة من لطم .
متلف المال : أي سخي .

(٣) حر : صقر . إلى منه : إذا أنه . شهر : حلق . ادرج الحوم : ذرع الفضاء
مستطعلا . عقبان : جمع عقاب . مراميه : مواطنه . تنجال : تجلو .

(٤) سبع ضرورم : سبع ضار . ملحوم : نعت لسبع والمراد انه موفق لانشاب
انيابه بفريسته . حراب ضراب : صيغتا مبالغة من حرب وضرب . حمول : شديد
التحمل حيث يحسن الحلم . زعال : شديد الانفعال والتأثر حين يحسن الغضب .

ريف على العانين نصر المظلوم

سو على المسوين قصاف الاجال^(١)

وله من رباعية مطولة ، شبيهة بالملحمة ، سرد فيها قصة
المعركة الكبيرة ، بين ابن سعود ، وابن رشيد المعروفة عند أهل
نجد بـ (البكيرية) ، وكان إذ ذاك سلما لابن سعود حربا على
ابن رشيد قال :

الميمنة دارت وصارت خفيفة

زاحت على الاسلام صارت خفيفة^(٢)

والترك لاقتهم موارث خفيفة

ما خايروا يوم ان بعض العرب خار^(٣)

(١) ريف على العانين : ربيع للمحتاجين . سو : سوء . المسوين : المسيئين .
قصاف الآجال : قصام لاعمار اعدائه .

(٢) خفيفة وخفيفة فيه الجناس أن صح تغاير المعنى ، والمعنى ان ميمنة الجيش
تافهة .

(٣) موارث خفيفة : أهل وادي خيفة ، وخيفة هو ابن بجيم بن علي ابن صعب
بن بكر بن وائل .

ولولا أن أكون كقاضي جبل لسقت من الادلة الثابتة في التاريخ ما يدهش من
شجاعة هذه الطائفة . خايروا ترددوا في الاقدام . خار : نكص .

عنوي هل العوجا تعداهم اللوم
أركوا جموع الحضر والبدو والروم^(١)
يوم انهم خانوا بهم تالي اليوم
استعصموا بحدود عطبات الازكار^(٢)
ولابراهيم الحيدان الضرمي^(*) ، من قصيدة يمدح فيها
سمو الأمير فيصل ابن عبد العزيز ولي العهد :
فكيف اشتكى حر الظما والقوايل
والعد يجهش كوكبه كنه السيل^(٣)
حلحيل حمال الحمول الثقايل
برايه إلى راجت عقول المغاليل^(٤)

-
- (١) عنوي : أعني هل العوجا : أهل وادي حنيفة ، والعوجا شعارهم في الحروب
تعداهم اللوم جانبهم الملام : أركوا : ثبتوا أو ردوا . الحضر : الحاضرة . البدو :
البادية . الروم : الترك .
- (٢) خانوا بهم : خانوهم . تالي اليوم : آخر اليوم . استعصموا : لجأوا . عطبات
الاذكار : وبيلة المضارب والمراد السيوف .
- (*) هو شاعر مقل . ولم يشتهر بالشعر كما اشتهر غيره . ولكن له نفحات
شعرية جميلة . تدل على شاعرية أصيلة ، وذوق أدبي جميل ... وهو فكه المحضر ،
طبيب المعشر ، توفي حوالي عام ١٣٧٥ هـ .
- (٣) القوايل : الهواجر . العد : الماء الغمر . يجهش : يفور . كوكبه : منبعه .
كنه : كآنه .
- (٤) حلحيل : كيتس حاذق . الثقايل : الثقيلة . براية : برأيه . إلى : إذا .
راجت : زاعت المغاليل : الحردين .

للجود في مقرر حجاجه دلائل
إلى ادبرت هذي وهذي مقابيل^(١)
تلقى لهم في المجد كسب النفايل
في ما قف فيه ارتفاع وتنزيل^(٢)
إلى أن قال :

يوم أبرهة جاب الطواغيت صايل
وليت قبض نفوسهم طير ابابيل^(٣)
ولراشد الخلاوي^(*) يمدح محمد الربيعي ابن عم منيع
بن سالم من آل عريعر :

-
- (١) مقرر حجاجه : جبينه . دلائل : دلائل امارات . إلى : إذا . ادبرت هذي ..
الخ : المراد يوم الكر والفر .
(٢) تلقى : تجدد . النفايل : الحلائل . ماقف : موقف . ارتفاع وتنزيل : خفض ورفع .
(٣) أبرهة : هو طاغية الاحباش الذي جاء لهدم البيت ، والمراد به هنا هو قرن
الامير فيصل الذي انتدت لحربه . جاب : أتى . الطواغيت : الحند المعتدى . طير
ابابيل : هو الطير الذي انزل على جند أبرهة - أصحاب الفيل - وقصتهم في القرآن ،
معروفة ، والمراد به هنا هم جنود الممدوح ، وفي هذا تشبيه ضمني لطيف .
(*) راشداً الخلاوي أحد فحول هذا الميدان ، والمعروف بطول النفس ، ورصانة الأسلوب
وسعة الاطلاع ، ولا سيما في علوم الفلك ، ومواقع النجوم ، وقد ضمن ذلك بعض قصائده .
وله حكم وامثال ، ونظرات في الاجتماع ، وفلسفة في الكون ، تستغرب أن
تصدر عنه ، وهو ربيب القفار والقلوات .
وله مدائح خالدة في ممدوحه منيع بن سالم ، من امراء آل عريعر حكام الأحساء
وما جاورها في عصره ، ولم تمدنا المراجع التي بأيدينا بشيء عن وقته الذي عاش فيه ،
إلا أننا نتوخى أنه عاش ما بين القرنين التاسع والعاشر ، ولولا ما لشعره من أثر جيد لما
بقي يروى إلى يومنا هذا وهو لم يدون .

عن الشين أبعد من سهيل إلى الثرا
وللجود أقرب من جبين لحاجب

ونفس إذا حدثتها اريحية
شيطانها عند المروات غايب^(١)

أبو كلمة وإن قالها ما تغيرت
كنك على ماقال بالخمس قاضب^(٢)

ولحميدان الشويعر^(*) في الأمير عبد الله بن معمر :

(١) المروات : جمع مروءة ، والمراد هنا البذل والعطاء .

(٢) أبو كلمة : صاحب كلمة كنك : كأنك . بالخمس قاضب : كأنك مطبق
على وفاء وعده بخمسة الأصابع .

(*) حميدان الشويعر من أسرة الشواعر التي تنتمي إلى قبيلة بني خالد ..
وليست هذه النسبة تصغير شاعر لحميدان كما توهمه بعضهم .

عاش في بلدة القصب إحدى قرى الوشم من نجد ، وبرع في شعر النبط ، ولا سيما
في الهجاء ، وتصوير البيئة الاجتماعية ، حتى طبقت شهرته سائر بلدان نجد .. ويعرف
شعره بالسهولة والوضوح .

ولم يتحاش في بعض قصائده عن الاسفاف المشين في النواحي الجنسية ، وفي
تصوير بعض الأحوال الدنيئة ، التي لا تنصرف لها همم أوساط الناس بله سراهم ..
وتعجب أن يجمع بين هذا وبين حكم غالية ، ونظرات فاحصة لزمه وأهله ، ولكن
ما نعرفه عن بشار ، والخطيئة ، وأضرابهما .. يبطل هذا العجب ، فهذه من مفارقات
الشعراء ، توفي حوالي سنة ١١٦٠ هـ .

تفيض على دار و كار و مركب
و حكم نظيف ما يصافي مناجسه (١)

رفيع الثنا عبد الله بن معمر
انيس وحيش لين كفى تخامسه (٢)

خذ العدل من كسري ومن حاتم السخا
ومن احنف حلمه ومن عمرو هاجسه (٣)

ذكر فيه فارس خصلتين من الثنا
وزدت بثلاث واربع ثم خامسة

نسر الضحى يلقي الغدا حول بيته
وذيب العشا يلقي العشا في مداوسه (٤)

(١) تفيض : تخرج . كار : منهج خاص في الكرم مناجسه : جمع نجس وهم أهل الشر .

(٢) عبد الله بن معمر جد هذه الأسرة المعروفة الآن ..
وكان أميراً على العينة وما جاورها . أنيس وحيش فيه الطباق من علوم البديع .
لين كفى تخامسه : والمراد حتى اقبله واصافحه .

(٣) كسرى : هو كسرى انو شروان الذي قتل ابنه في العدل . وسخا حاتم .
وحلم الاحنف ، ودهاء عمرو بن العاص . معروف مشهور .

(٤) نسر الضحى .. الخ : في البيت المقابلة .

وهو مثل شط النيل مهوب نقعه
إلى غط فيها والغ قيل ناجسه^(١)

ولابن لعبون :

أسطى من الضرغام وامضى عزائم
واقطع من الصمصام واكرم من الديم
معطى الجسائم ومهيبوب النسائم
عوق الخصيم وشوق من كنها الريم^(٢)

٢- الهجاء :

والمدح والهجاء رضيعا لبان ، أو فرسارهان ، لا ينفك
أحدهما - غالبا - عن الآخر ، في زمن رزق الشاعر فيه من شبابة
لسانه ، وقوته عصارة ما يوحى به شيطانه ، وقديما قال المتنبي
. وعداوة الشعراء بثئس المقتنى

وأمامى الآن من هذا الغرض ، قصيدة لابن لعبون يهجو
بها أحد أمراء العراق ، في زمنه ويتناول بالهجاء بلاد ذلك
الأمير ، يقول منها :

(١) مهوب نقعه : ليس بضحل . إلى غط : إذا لامسها .
(٢) الجسائم : الهبات الجسيمة . عوق الخصيم : هلاك العدو . شوق من كنها
الريم : زوج كاعب كأنها الظبي .

العبد عبد هافيات عموقه
 إن جاع باق عمومته وان شبع ماق^(١)
 والحر حر ينهضنه سبوقه
 والبوم يمسي بين الاطلال خفاق^(٢)
 بع بالهجير وصال حي تشوقه
 دار عساها للرزايا بتيفاق^(٣)
 دار بها الوالد كثير عقوقه
 واللي يعقونه مصلين الاشراق^(٤)
 راعي الوفا منهم عميله يبوقه
 وتلقاه حلاف مهين وملاق^(٥)

-
- (١) العبد : القن . هافيات عموقه : ساقط نسبه . باق عمومته : سرق أسياده ماق : طغى وفسق ، وهذا يشبه قول أبي الطيب :
 لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبد لا نجاس مناكيد
 (٢) سبوقه : أطراف أجنحته . البوم : الخفافيش . خفاق : متردد .
 (٣) عساها : لعلها . بتيفاق : باتفاق مع الرزايا .
 (٤) إلي : الذين . مصلين الاشراق : طائفة الشيعة ، و (آل) في (الوالد) للجنس .
 (٥) راعي : صاحب . عميله : معاملته . يبوقه : يسرقه ويخونه . تلقاه تجده ملاق : صاحب ملاق .

ما بين شقاق ورافي شقوقه
وشمات مخلوق وعصاي خلاق (١)

يا مال هطال صدوق حقوقه
مترادف ميناه طاق على طاق (٢)

تفتقر عن مثل الدحاريج موقه
أربع ليال مدلجات على ساق (٣)

تلقى العذارى حسر في رقوقه
اللي لميع خدودهن مثل الاوراق (٤)

(١) شقاق : مفسد مخرب . رافي شقوقه : مرقع ثيابه . شمات مخلوق : شامت بالمخلوقين . عصاي : عاص لربه .

(٢) يا مال : لعل هذه الدار لمطر مغرق . ميناه : طباق سحابه . طاق على طاق : طبقة على طبقة .

(٣) تفتقر : تتنفس . الدحاريج : الحجارة الملمومة الكبيرة . موقه : عيونه التي التي يهمل منها . مدلجات : دأمة الهملان . على ساق : متتابعات .

(٤) تلقى : تجد . حسر : حاسرات . رقوقه : مناطق المياه الضحلة . اللي : اللاتي : لميع خدودهن : بريق وجناتهن . مثل الاوراق : كصحائف . الكاغد .

ويحكي أن دعوة الشاعر استجيبت في هؤلاء فذهبت تلك البلاد في الغابرين إلى يومنا هذا !!

أما الشاعر سليمان بن علي(*) صاحب الداخلة فله هجاء
مر ، على الرغم من سهولة شعره ، وسلاسته ، فما رأيت في
المتأخرين مجيداً في الهجاء مثله .

قال يهجو بعضهم ويصف أنفه الأفطس الضخم :

جل الخالق يا خشم له

لو هو يشوفه ما شاله(١)

فيه حنفة فيه جنفة

وفيه صدفة مله ، ماله(٢)

وصف اعرفه باقوله

لا شك اسرع ما تلقى له

كنه قين حمار قاحل

له زمان في مزبالة(٣)

(*) هو سليمان بن علي الناصري التميمي من أهل بلدة الداخلة من وادي سدير ،
ويعتبر بقية جيل طواه الزمن غنى بالأدب الشعبي وقرضه .

فشاعرنا من ذلك الرعيل .. وهو ظريف ، طيب المعشر ، فكه المحضر ، ذو
ديانة وصلاح وغير متبذل بأدبه وظرفه ..

ويميل في شعره إلى الاوزان الخفيفة السهلة ، وشعره سهل فكه ... وله في الهجاء
لذعات مؤلمة ولمسات قارصة ..

(١) يشوفه : يراه . ما شاله : ما حمله .

(٢) فيه حنفة : ميلان ، ومثلها الحنفة والصدفة .

(٣) قين حمار : حافره ، قاحل : كبير .

فيه خروم وامثلم
والارضه شبت في جاله (١)

كنه كسره صاع ناقص
منكسر في يد كيه (٢)

لا تشمت به واحمد الله
عسى ما حالك بحاله (٣)

ولحميدان الشويعر هجاء لاذع مر ، قال من قصيدة يهجو
فيها أحد الأمراء في زمنه :

يا حكايا جرت يا عيال الحلال
امرها مشتبه والاديب نشره (٤)

من حصان بلود جذت به يديه
ادبر غاربه خارب السكره (٥)

(١) شبت في جاله : أكلت جانباً منه .

(٢) كنه : كأنه .

(٣) تشمت : بتشديد الميم .

(٤) حكايا : حكايات . عيال الحلال : أولاد الحلال . الاديب : يقصد نفسه ،

نشر مضمون هذه القصص بشعره .

(٥) من حصان : متعلق (بجرت) في البيت السابق . بلود : بليد . جذت به

يديه : عاقته عن الحري . أدبر غاربه : ذو دبر . خارب السكره : خارب الجسم .

يا شويخ نشا من طيور العشا

ضاري بالحساسات والقرقرة (١)

فارس بالقهاوي وانا خابره

بالخلا تاخذه طيرة الحمرة (٢)

تاجر فاجر ما يزكى الحلال

لو يجي صايم العشر ما فطره (٣)

عاطل باطل فيه من كل عيب

لو تبي منه بول فلا يظهره (٤)

-
- (١) شويخ : تصغير شيخ تصغير تحقير . طيور العشا : الخفافيش ونحوها .
ضاري : معتاد . الحساسات والقرقرة : أصوات منكرة تسمع من طيور الظلام .
- (٢) القهاوي : المجالس والمتديات . وانا خابره : وانا أعلمه . الخلا : البر .
تاخذه : ترعبه . طيرة الحمرة : فرة الحمرة ، وهي طائر صغير ذليل .
- (٣) الحلال : المال . صايم العشر : هي العشر الاواخر من رمضان ، وهي وقت
الانقطاع للعبادة ، والمسابقة لنواحي البر ، أما هذا فلا يستطيع أن يفطر صائماً واحداً (وهي
نهاية البخل والندالة .
- (٤) عاطل : من مكارم الاخلاق . باطل : تكاثر منه الباطل حتى صار هو باطلا .
لو تبي : لو تطلب ، وهذا يشابه قول بعضهم :

لم ادر يوماً بان الدخن فاكهة حتى نزلت على دار ابن عمار
قوم إذا نزل الاضياف ساحتهم قالوا لا مهم بولي على النار
ولا تبولين كل البول مطلقة بل ارسله مقداراً بمقدار

يا ضبيب الصفا ما تجي إلا قفا
ما تجي إلا مع النخش والنخجرة (١)

٣ - الرثاء :

وهنا حرارة الدموع ، ووقد الضمير ، ولفح النشيج ،
تنبعث من شعر مصدره الطبيعة ، ودافعه الوجدان ، ليس للعمل
ولا للصنعة فيه نصيب .

هذ هو نمر بن عدوان (وتروي لابن مسلم) يقدم عصارة
قلبه ، وذوب مهجته ، لقد فارق الفه ذات الأطفال الصغار ،
فرجع الحنين ، وأكثر الأنين :

لى ونة من سمعها ما يناما
كنى صويب بين الاضلاع مطعون (٢)
وإلا كما ونة كسير السلاما
خلوه ربه للمعادين مديون (٣)

(١) ضبيب : تصغير ضب . ما تجي الاقفا : ما يخرج من جحره إلا القهقري ،
لان الصفا لا يسمح له بالخروج الطبيعي . ما تجي : ما تخرج . النخش والنخجرة :
الوكز والوخز .

(٢) كنى : كآني . صويب : جريح .

(٣) كما : كآني . السلاما : عظم الساق . خلوه : تركوه . ربه : رفقته

مديون . مدين .

وإلا فونة راعبي الحماما

غاد ذكرها والقوانين يرمون^(١)

تسمع لها بين الجرايد حطاما

ومن نوحها دلى الحمام ينوحون^(٢)

عليك يا الي شرب كاس الحماما

سرف بتقدير من الله ماذون^(٣)

خطوه في قبر هياما هداما

وقاموا عليه من الترايب يهيلون^(٤)

يا حفرة يسقى ثراك الغماما

مزن من الرحمة عليها يصبون^(٥)

(١) راعبي . بفتحة فكسرتين : أنثى الحمام فاقدة الفها . غاد ذكرها : ضال .
القوانين : القناص . يرمون : يقنصون الحمام بالرمي .

(٢) الجرايد : جريد النخل . حطاما : سجع وهديل . من نوحها : من أجل
نوحها . دلى : جعل .

(٣) يالي : يا الي . سرف : حال . ماذون : مقدر .

(٤) خطوه : جعلوه . هيام هدام : موحش منهدم . قاموا : جعلوا . الترايب :
الترب .

(٥) حفرة : المراد القبر : يصبون : تمطر .

عسى البختري والنفل والخزاما
ينبت على قبر هوى فيه مدفون^(١)

اخذت انا واياه سبعة عواما
مع مثلهن في كيفية مالها لون^(٢)

والله كنه يا عرب صرف عاما
يا عونۃ الله صرف الايام وش لون^(٣)

ولقد كان مصلط الرعوجى ، صديقاً صادقاً ، والفاموافقا
لشاعر الغزل والنسيب محسن الهزاني ، فاختطفت يد المنون
أولهما ، وطفق الثاني يسامر النجوم ، ويشكو حرارة الفراق ،
ويضمن لوعته رباعية تفيض حسرة وعبرة :

(١) البختري ، والنفل ، والخزامي ، كلها من نبت مراعي الجزيرة ورياضها .
وكلها طيب الرائحة . هوى : نزل .

(٢) عواما : أعوام . كيفية : لذة . مالها لون : ما يعادلها لذة .

(٣) يا عرب : جملة معترضة . صرف : قدر . يا عونۃ الله : يا معونة الله وهو
استعمال جميل حلو النغمة والحرس . صرف الأيام وشلون : تعجب من سرعة مرور
الأيام وكيف أن تلك اللذة مضت كاللحم .

يابيض كبن الحلى والعشارق

وابكن اخو نوضا مروي المطارق^(١)

خيالها وان جملوها المعارق

ولحق الوسيق ورد الاول على التال

وان زرفل المظهر وارخو لعنة

والجيش هربد والرمك يشعفنه

واهوى على ركن من الخيل كنه

(جلمود صخر حطه السيل من عال)^(٢)

وان زرفل المظهر واقفوا مع الريع

ولحقن باهلن عالجات المصاريع

(١) البيض : النساء . كبن : اتركن . العشارق : نوع من الحلية . اخو نوضا : اخا نوضا ، ومن عادتهم أن يضيفوا الرجل إلى اخته . أو إلى ناقتة ، أو فرسه ، أو بلاده . إذا كان ينتدب بشيء من ذلك فيقال — مثلاً — اخو نوضا ، راعي البلهاء . راعي الخرداء ، راعي العوجاء .. وهكذا . مروي المطارق : مروي الرماح من دماء الاعداء . خيالها : فارسها ، والمراد الخيل وكثيراً ما يعيدون الضمير عليها ولو لم تذكر لتبادر الذهن إليها . جملوها المعارق : وضعوا عليها السروج . الوسيق : ما يأخذه العدو من مال المغار عليهم .

(٢) زرفل : أسرع . المظهر : الابل تحمل الهودج والامتعة . لعنة : الشكائم . الجيش : الابل . هربد : امعن في العدو . الرمك : الخيل . يشعفنه : يدعرنه . ركن : طائفة . وعجز البيت مضمن وهو لامرئ القيس .

ومن الغير مالت وجيه المداريع

فلا بوجهه يعلم الله ميا^(١)

مرحوم ياما قد حمى من مرنة

واركى سنان الرمح بقطيئنه

ياليت غضات الصبا ما بكنه

ولا عليه الترب يامسندي هال^(٢)

مرحوم يا مروي حدود الهواري

يا من بوجهه للمروة مواري

يمينه اكرم من هبوب الذواري

واثقل من الراسى على حد الاجهال^(٣)

(١) اقفوا مع الريع : أدبروا مع الثنية في الجبل . علجات المصاريع : لائكات الشكائم والمراد الخيل . الغير : الذعر . وجيه المداريع : وجوه لابسي الدروع . فليس وجهه بمائل حينئذ .

(٢) مرحوم : يامرحوم تفاؤل بالرحمة له . مرنة : ملمومة من قطعان الماشية لصوتها رنين . أركي : اتكأ بقطيئهن : جمع قطاة وهي مؤخرة ظهر الفرس . غضات الصبا : الكواعب . بكنه : بكينه . يامسندي : يامشكاي . هال : أهيل .

(٣) الهواري : السيوف . للمروة : للمروعة . مواري : علامات . هبوب الذواري : الرياح الذاريات . الراسى : الجبل الراسى . على حد الاجهال : في وقت بلوغ السيل الزنى والحزام الطيبين .

حللت ياما ضيف ليل قرينه
وكم عود زان في الملاقا سقيته
وكم ابلج خلف السبايا رميته ..
عليه شقن العماهيح الاطوال^(١)

أما أبو نهية فكان من سراة الدرعية وأعلامها في عهدها
الزاهر إبان كانت هي العاصمة لدولة آل سعود الأولى . ولكن
القدر شاء أن يراها هذا الشاعر اطلالا متهدمة وخرائب قد
التهمت النيران وأصبحت أثراً بعد عين بنكبة الأتراك لها ..
فارس لها عبرة دامية ، ودمة محرقة :

سهرت وكل العالمين هجيح
يتغريد ورق بالغصون سجيح^(٢)
من الشوق لى قال الغنا هز راسه
ومن الولع يشتاك كل وليع^(٣)

(١) حللت : انت محل مما أتيت . لفعالك الحميدة . عود زان : عود رمح .
الملاقي : في اللقاء . أبلج : شجاع أغر الجبين . السبايا : اسم لجماعة الخيل . شقن :
شقن . العماهيح : النساء الطويلات المائلات في مشيهن . الاطوال : جمع طول وهي
الاكسية الملفوفة ، وكان من عادة المرأة في البادية أن تمزق كساءها حزنا على الميت .

(٢) هجيح : هاجعون . ورق : جمع ورقاء . سجيح : ساجع - مغرد - .

(٣) لى قال الغناء : إذا رجع الغناء . الولع : وزان (وله) وزنا ومعنى . وليع :

- حرمنى لذىذ النوم بتغريد صوته
 واجبتنه بدمع بالعيون جميع (١)
 وناديتهن يالورق بسك من الغنا
 عساك تبكى يا حمام فجميع (٢)
 تبكى وليف لك وتلقى سواته
 منتاب سواي يا حمام مريع (٣)
 ابكى على عوجا ربينا بربعها
 صغار كبار نشري ونبيع (٤)
 ما كن صار فيها للحكم منصا
 ولا قصر من يم الطريف رفيع (٥)
 ولا شدت الركبان منها لغيرها
 ولا بركت فيها الطروش قطع (٦)

(١) جميع : منحدر .

(٢) بسك : حسبك . عساك : لعلك . فجميع : مفجوع .

(٣) وليف : الف . تلقى سواته : تجد مثله . منتاب سواي : لست مثلي . مريع : مروع .

(٤) عوجا : اسم الدرعية . ربينا : نشأنا . صغار وكبار . الخ : أحوال من فاعل ربي .

(٥) ما كن : ما كأن . للحكم منصا : للملك مقصد . الطريف : الحي الذي

يسكنه آل سعود وذووهم وهو في قمة جبل هنالك بمثابة قلعة .

(٦) شدت الركبان : رحل المسافرون . بركت : اناخت . الطروش : السفر .

قطع : قطعان .

- ولا كن مشى باسواقها خرد المها
(١) من كل عذرا كالغزال تليع
دار الى جاها الغريب يوالف
(٢) جنابها للممحلين ربيع
لو جدا يا دار خذلان مرة
(٣) صبرت مير الشق فيك وسيع
ياما سفكنا فيك من ساخن الدما
(٤) وياما وطننا بالمداس صريع
وياما انجلا عن روسنا فيك غبوة
(٥) لكنها غيم السحاب نقيع
قعدت اسايها ودمعى ودمعها
(٦) على الخد يجري والفؤاد يميع

-
- (١) خرد المها : النساء الحميلات . تليع : طويل العنق جميلة .
(٢) إلى جاها : إلى ائامها . يوالف : يألفها . جنابها : ربيعها . للممحلين : للمجدين
(٣) الحدا : الشأن والأمر . مير الشق : لكن الفتق . وسيع : واسع .
(٤) ياما : كم مرة . المداس : المجال في الحروب .
(٥) غبوة : قتر وعثير . لكنها : لكأنها . نقيع : ناعم .
(٦) اسايها : أسائلها . يميع : يذوب .

فان طابت الأيام والقدر سابق
فسور ما ناوي اليك رجيع^(١)
وان حالت الاقدار بينى وبينك
فاودعتك المولى خيار وديع

٤ - الفخر والحماسة :

لم يزل الشعراء منذ العصور القديمة ، يتراشقون بالهجاء ،
ويتبادلون النقائص ، وليس بدعاً أن نرى شاعرين ، نبطين ،
يسلكان هذه الجادة ، فيعمد الشاعر ابن ربيعة ، لينال من
عرض الشاعر ابن لعبون ، فيجيبه الأخير بقصيدة منها هذا
الفخر :

حنا هل الوادي وحننا المناعير
وحنا ودينا جارنا من جداره^(٢)
خطلان الايدي كالاسود الهزابير
مقابس للحرب وان شب ناره^(٣)

(١) سور : لابد . ناوي : ناوي . رجيع : رجوع .

(٢) حنا : نحن . الوادي : لعله وادي سدير فان لعبون سديري . المناعير : الشجعان .
ودينا : من الدية . من جدارة : بسبب جداره حينما سقط عليه عز عليهم ذلك فساقوا ديته .

(٣) خطلان الايدي : طوالها وهي صفة محمودة في الرجال . الهزابير : جمع

هزبر . مقابس للحرب : مشعلين لها .

منداتهم يشبع بها السبع والطيـر
 بيـوم تغبت شمسها في نهـاره^(١)
 حريـبهم لو كان دونه نواطير
 لا بد ما يفعـج صباـح بغاره^(٢)
 خـذ ماتراه واخل عنك الخماكير
 من شق جيب الناس شقوا وزاره^(٣)
 أما محسن الهزاني . فيرجع بقومه بنى هزان ، إلى وائل :
 فمن دونه ، فخراً ، وحسباً ، ونسباً ، فيقول :
 ديرة شيوخ من عرائين وايل
 لها بالقنا يوم الملاقا وقايع^(٤)
 كم واحد تخشى الخماسين باسه
 جعلناه قوتا للنسور الهلايع^(٥)

-
- (١) منداتهم : نداوة — مكان معركتهم . تغبت : احتجبت . والمراد يوم الكريهة
 (٢) حريـبهم : محاربهم . نواطير : حراس . صباح : صباحاً .
 (٣) الخماكير : الترهات والتوافه . جيب الناس : جيوبهم . وزاره : إزاره .
 (٤) ديرة : بلدة . شيوخ : أمراء . عرائين : جمع عرنيين . وهي الأنوف .
 وائل : هو وائل المنحدر من ربيعة وأبو القبائل الكثيرة المتفرعة من ولديه بكر وتغلب .
 القنا : الرمح . الملاقا : الوغى . وقايع : جمع وقعة والمراد هنا شدة بأسهم في الحروب
 (٥) كم واحد : كم شخص . الخماسين : فخذ من قبيلة الدواسر ويجوز أن
 المراد به الجيوش . الجيايع :

بأموالنا نشري من الحمد ماغلا

وبارواحننا يوم التلاقي نبايع^(١)

وبالمن ما نتبع عطانا ولا بعد

على الغيظ قلنا ذابه البر ضايع^(٢)

ويفخر سعود بن مانع التميمي الذي سطا على فئة من
عشيرته نابذته وناصبته العدا في قارة سدير فاستأصلهم ونزح
واتخذ حوطة وادي بريك وطنا له .. فيقول :

دع الهون للهزلى ضعاف المطامع

وشم للعلى بالمرهفات اللوامع^(٣)

وصادم مهمات المعالى فربما

تنال العلى فالعز للذل قانع

(١) بارواحننا : متعلق به (نبايع) الآتي ومعني نبايع نبذل .

(٢) بالمن متعلق به (نتبع) . عطانا : عطاءنا هباتنا . على الغيظ : لا نقول لاحد
ولو غضبنا عليه أن البر بهذا ضائع ، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة : (الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(٣) الهزلى : الضعاف الزميين . شم : اطمح . المزهفات اللوامع : السيوف .

ويمضى :

- قلته ولى نفس عن الظلم نزهة
طموح لهفات الرجال النواجع^(١)
يانفس دوسى كل خطر مهول
وقاسى عظيماات الامور الفنايع^(٢)
لا تتقى الاخطار يانفس واشدهي
ما زاد باعمار الحريم التقانيع^(٣)

* * *

- سطيت بصبحا بعد ماناموا الملا
بشبان أمضى من ليوث الشرايع^(٤)
سطيت بها وانا بها غير مرخص
اذا الغير في رخص للاوطان بايع^(٥)

(١) قلته : الضسير يرجع إلى هذا الشعر . ولى نفس : الواو للحال . نزهة : نقية . النواجع : بعيدة المرمى .

(٢) دوسى : أركبي . مهول : وزان معول . والمراد كبير . الفنايع : الفضائع .

(٣) اشدهي : طالبي بما هو أكبر . التقانيع : لبس القناع .

(٤) صبحا : هي القارة . بشبان : مع شبان .

(٥) وأنا : الواو للحال . في رخص : برخص : وللاوطان : متعلق ببائع .

- عشرين مع عشرين عداد سطوتي
 على الالف او ظنى عن الالف طالع (١)
 كثرت فيها ليعه الحزن واصبحت
 على الخد شبان وشيب صرايع (٢)
 على مايزين الوجه من واضح النقا
 اذا رامها غيري بشين الخدايع (٣)
 بسيف هند صارمات حدودها
 تبوج من رود الدروع المنايع (٤)
 بعزم صبور جازم غير واهى
 ولا ناب لاقوال الرديين سامع (٥)
 اشرف على العليا بعزم يقوده
 وفتكى باوداج المعادين باضع (٦)

-
- (١) عداد سطوتي : عدد هجماته . على الالف : على الف مقاتل أو يزيدون .
 طالع : زائد .
 (٢) ليعه : فجيعه . على الخد : على الأرض وهو متعلق بصرايع والمعنى صرعاء .
 (٣) واضح النقا : نقاء العرض والازار . الخدايع : الخدع .
 (٤) تبوج : تفرى . ورد : محكم . المنايع : المنيعه .
 (٥) ولا ناب : ولست . الرديين : المقرفين .
 (٦) اشرف : أسمو . باضع : بالغ .

مضينا الى الداعي ملبين كلنا

كما أشبال ضرمات الاسود البواسع^(١)

رحلنا من الوادي سريع على النقا

نحث النضا من نازح البعد شاسع^(٢)

ضربنا ببيض الهندهامات ضدنا

ونزلنا بلاد العزملقى المجامع^(٣)

وليننا وعفيننا وحق لمثلنا

إذا سعى ساع بالاحسان شافع^(٤)

نعفوا ونحن في مراعى الاهنا

الى عاد ماندرى من الناس وازع^(٥)

(١) الداعي : داعي الحرب . كما اشبال : كأشبال . ضرمات : ضواري .
البواسع : السواغب .

(٢) الوادي : وادي سدير . على النقا : بلاعب اقترفناه .

(٣) ضدنا : عدانا . ملقى المجامع : وادي بريك حيث تلتقى الاودية هنالك .

(٤) عفيننا : عفونا ، وهذا البيت يشابه قول الشاعر العربي :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

(٥) في مراعى الاهنا : في خشيته . الى عاد : مادام . ندرى : نخشي . وازع :

سلطة .

وسكنى بها سكنة قريش حجونها
غصب على من كان للمال جامع (١)
أما النجيدى فيقول :

قطعانا ترعى بها سر وجهار
ومن دونها نروي الغلب والرهيفة (٢)
وقطعانا ما ترتعى دمنة الدار
ترعى صحاصيح الفياض النظيفة (٣)
ما هي سواف مسعر عقب ما نار
اللى نكس وأطراف رمحه نظيفة (٤)

(١) سكنة : سكنى . حجونها : يقصد مكة . يشير إلى قصة سكنى قريش لمكة واجلاء جرهم منها . واتيانه بلفظ الحجون فيه إشارة إلى القصيدة التى قالها شاعر جرهم بهذه المناسبة ومنها :

كألم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب منى كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى قبل كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر
(٢) قطعانا : جمع قطع وهو الهجمة من الابل أو الفرقة من الغنم . الغلب والرهيفة .
الرماح والسيوف .

(٣) دمنة الدار : ما ينبت في الاعطان من ردىء النبات . صحاصيح الفياض :
نقى الرياض .

(٤) سواف : اساطير . مسعر : يعرض برجل هذا اسمه . نار : شرد . اللى
نكس : الذى نكص . اطراف رمحه نظيفة : كناية عن جبنه وان سلاحه لم يلطخ بدم العدو

والجار لا بده مقفى عن الجار

وكل تذكر ما جري من وليفه (١)

زود على هذا لك الله لنا كار

عن جارنا ماقط نخفى الطريفة (٢)

نرفا خماله رفية العش بالغار

ونجعل له النفس القوية ضعيفة (٣)

هـ - الحكمة :

وتحتل الحكمة في الشعر النبطى ، مكاناً رحباً : قل أن

تجد شاعراً إلا ويضمن قصائده أو كثيراً من قصائده ، طائفة

من الحكم الرائعة ، والتجارب الصائبة ، حتى لناخذك الدهشة ،

لابن الوبر ، وحليف السرى والسفر ، تفتت تجاربه عن هذه

الحكم ، وهو لم يقرأ كتاب ، ولم يكتب بقلم !! إقرأ

الأبيات الآتية لمبارك بن مويص :

(١) لا بده : لا بد أنه . مقفى : مفارق . وليفه : الفه .

(٢) زود على هذا : زيادة عليه . لك الله : جملة معترضة دعائية وفيها معني

التعجب . كار : تقليد وعادة . الطريفة : الشيء الطريف العزيز .. الخ .

(٣) نرفا : نرفوا . خماله : عيبه ، نستره كما يستر الطائر عشه في الكهف .

سود الليالى ما دري عن بطونها
يمسن أناثي ويصبحن ذكور (١)

* * *

حيدور تأخذ بنت قن مهرج
يجيك من عش الخبيث نسور (٢)

فلا ثعل جاب اقطم صيده المها
ولا قنى من عش الحمام صقور (٣)

ولا تاتي العيلات من باب قوة
والاظلام لا تكشف لهن جحور (٤)

ولا توري العدوان غاية حذايقلك
فغايات حذاق الرجال بحور (٥)

(١) بطونها : مخبأها . والمراد يمسن اناثي ويصبحن ذكور : تشكلها بالحوادث وتقبلها من شأن إلى شأن .

(٢) حيدور : حذارى . تأخذ : تتزوج . قن : هو هنا البخيل . مهرج : كثير الكلام : يجيك : يأتيك . عش الخبيث : وكره . نسور : جمع نسر وهو طائر خبيث من الحوارح . والمراد ان ابنائك سوف يكونون من نوع بيتهم فلا يأتيك من وادالا سيله .

(٣) الثعل : هو الثعلب . جاب اقطم صيده المها : لم يلد الثعلب وهو الذى يعيش على الختل والحيل اقطم يصطاد بقر الوحش ابدا . قنى : اقتني . عش الحمام : وكره . (٤) العيلات : التعدى على الغير . من باب قوة : لانك قوى . الاظلام : كناية

عن المخبات . جحور : جمع جحر .

(٥) توري : ترى العدوان : العدى . حذايقلك : كياستك ومعرفتك . فان غيات

الاكياس بحور لا يدرك لها قعر .

ولمحمد بن عبد الله القاضي ، قصيدة كاملة كلها حكم ،
ووصايا ، وتجارب نجتزئ منها بما يلي :

ولا يفتخر من جاد جده وخاله
(هي بالهمم لا بالرمم) مثل ما قال (١)

الجمر يمسى كالخلاص اشتعاله
ويصبح رماد خامد طافي بال (٢)

* * *

كم خير ما نال فيها سواه
وكم ثور هور ساعفت له بالاقبال (٣)

وكم عاقل به حاذق راس ماله
عقله وكم بهلول عقله جمع مال (٤)

(١) جاد : نبيغ و كمل . هي بالهمم : الضمير يعود على غير مذكور والمراد المكارم والمعالى . مثل ما قال : أى في المثل السابق (هي بالهمم لا بالرمم) .

(٢) الخلاص : الحديد المحمى حتى يحمر . خامد : خائب . طافي : منطفيء .
بال : بالي .

(٣) خير : كريم . فيها : أى الدنيا . ثور هور : ثور حظيرة . ساعفت له : وافقت وانقادت .

(٤) به : بها . بهلول . بهلوان .

السبع رزقه من جيفها ختاله
وجند ضعيف مرغد رزقه اشكال (١)

وللعزي :

لا تأمن الدنيا ولا ترتهى به
تقبل وتعطى عند الاقفاي عرقاب (٢)
إن أدبرت قصت محوص قطيبه
وإن أقبلت فادنى شريط لها جاب (٣)
ولراشد الخلاوي :

من لا يحصل باول العمر طوله
فهو عاجز عنها إذا صار شايب (٤)
ومن خاب في أول صباه من الثنا
فهو لازم في تالي العمر خايب (٥)

-
- (١) جيفها : جمع جيفة . ختاله : مخاتلة . جند : شيء كثير . مرغد : في رغد من العيش . رزقه اشكال : متنوع لكثرتة وطيبه .
(٢) ولا ترتهى به : ولا تغتر بها . الاقفاي : الادبار . عرقاب : رفس بمؤخرة العرقوب مأخوذ من رفس الدابة إذا ضربت بمؤخر رجلها .
(٣) قصت : قطعت . محوص قطيبة : حبال قوية . شريط : حبل دقيق ضعيف .
(٤) طولة : مجد أو سمعة حسنة .
(٥) فهو لازم : فلا بد انه في آخر عمره مفلس .

ولحميدان الشويعر :

ترى يا ولدي من ثمن الخوف ماسطى

والانجاس ماخلوا سبيلك طوع^(١)

فلا يلزم القالات من لا يشيلها

ولا تحمل أرقاب الحريم دروع^(٢)

وترى المقابر نصفها من حريمها

لو كان في وسط البيوت منوع^(٣)

وله أيضاً :

اتبع ما قال الوهابي

وغیره لياك تقربها^(٤)

الدنيا روضة نوار

سيور الريح تطير بها^(٥)

(١) ترى يا ولدي : انه يا ولدي . ثمن : قدر . الانجاس : الاشرار . ما خلوا : ما تركوا . طوع : طائعين .

(٢) يلزم القالات : يكون كفئتها . يشيلها : يحملها . الحريم : النساء .

(٣) منوع : مناعة ولكن البيوت لا تنجي من القدر ولو كانت تنجي لما كان نصف من في القبور النساء .

(٤) الوهابي : هو المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . لياك : احذر .

(٥) روضة نوار : روضة مزهرة معشبة . سيور : لابد .

وله أيضاً :

الأرنب ترقـد ما تـوذي

ولا شفت الناس تخليها^(١)

والسبع المـوذي ما يرقـد

ما يوطا بأرض هو فيها

وله أيضاً :

لا تطلب صلح من جاهل

لين الحرب تشور تفقه^(٢)

ويرش قـبـور برجـال

ونعـايه واشين حـرقه^(٣)

ثم أـعـذل فيهم يا عاذل

تخلي لك الأرقاب صدقه^(٤)

وللمهادي :

ترى الدار كالعذرى إلى عاد مابها

حر غيور كل من جانا بها^(٥)

(١) توذى : تؤذى . شفت : رأيت . تخليها : تتركها .

(٢) لين : حتى . تفقه : بندقيته .

(٣) نعاية : بكاء .

(٤) تخلى : ترك . صدقة هدرا .

(٥) ترى الدار : ان البلاد . الى عاد ما بها : إذا صار ما بها .

وللجليف من قصيدة طويلة يمدح فيها مقرن بن قضيب
من آل غرير بنى خالد . قال منها :

واعرف بأن الطير سعده ريشه

وان قص ماله حيلة يحتالها^(١)

وإن قصت اليمنى الشمال تحسفت

وتندمت يمنى تقص شمالها^(٢)

فان الممالك ما تجيك براحة

إلا بشر تاغب محتالها^(٣)

ما تركد الاعقب ضرب جماجم

بالسيف وايمان هفت لوصالها^(٤)

وقطايح ووقايح وقلايح

وصرايح وفضايح تعبى لها^(٥)

(١) اعرف : اعلم . يحتالها : يجريها .

(٢) تحسفت : تندمت .

(٣) ما تجيك براحة : لا تنقاد بسهولة . محتالها : مبتغيها .

(٤) ما تركد : ما تهدأ . الاعقب : الابد . ايمان : جمع يمين . هفت لوصالها :

طربت لها .

(٥) قطايح ووقايح .. الخ : احوال خطيرة ومراكب وعرة ومشاق ومتاعب دونها

خرط القتاد .

وصدايم وصرايم وعظايم
وهضايم وحرايم تبيري لها
فالى بليت وعدت يوم خايف
من ميلة الدولات عقب عدالها^(١)
فاجعل معا حرف الشريعة مثله
حرف من الباطل يصير أزكى لها^(٢)
فالحق في كتب النبي محمد
والسيف عن عيالاتها يبرى لها^(٣)

٦ - الأمثال :

والأمثال والحكم صنوان ، وللمثل في اللغة العامية مكانة
ممتازة . فكما تسمعه من شتى طبقات الرجال ، فكذلك تسمعه
ولو من الكاعب في بيتها والخفرة في خدرها ، وقد التقط الشعر
النبطي من ذلك ما سمحت به العامية ، ووافق الوزن ، ويلاحظ
اننا نجعل المثل العامي بين قوسين في البيت أو الأبيات ..
يقول ابن سييل :

-
- (١) فالى : فاذا بليت . عقب عدالها : بعد اعتدالها .
(٢) معا حرف الشريعة : مع حكم الشريعة . يصير ازكى لها : يكون أتم لها :
والضمير يعود إلى الدولات ... وفي هذا تجاوز الشعراء وتحاملهم الخاطيء .
(٣) عن عيالاتها : عن جنفها وميلائها . يبرى لها : يصاحبها .

يا ناس (خلو كل وادي ومجراه)
قلتوا كثير وقولكم ما لقيته (١)

وقول الآخر

قم يا رعاك الله قرب سبوقه
ثم ارفعه عن دار (غاقة وغرناق) (٢)
وله أيضاً :

وصرت بوحشة من ريم رامـا
ومن فرقاه (مثل الخاز باز) (٣)
وله أيضاً :

اضحى الوفي عقبه (مواعيد عرقوب)
حاشاه هو مدي حقوق المواجيب (٤)
ولابن ربيعة مع شيء من التحوير في المثل :

-
- (١) خلوا : اتركوا . كل وادي ومجراه : كل على شاكلته .
(٢) قرب : ادن . سبوقه : ناقة سابق . ارفعه : انأها ، والمراد النفس . (غاقة وغرناق) كما يقال : هي ابن بي ، وفلان وعلان . والمثل يضرب في مجانبة غوغاء الناس وسوقتهم .
(٣) الريم نوع من الظباء لونه أبيض بخلاف الادمى فلوته أحمر وراما موضع مشهور بالظباء . (الخاز باز) : الذباب في طينته والمثل يضرب في الحيرة والارتباك .
(٤) عقبه : بعده . مواعيد عرقوب : مثل عربي مشهور في قصة الانصاري مع أخيه . مدي : مؤدي . المواجيب : الواجبات .

(تري ذهاب النمل سعيه بتطير)

خذ راسها يا الى تنعزت قاره^(١)

ولابن لعبون :

(كم أدخل الحبس من مظلوم)

(وما جاك من وادي سيله)^(٢)

وله أيضا :

والصدق يبقى والتصنع جهــــالـة

(والقد مالانت مطاويه بتفال)^(٣)

ولحميدان الشويعر :

خلي (مقضاة ابن درمة)

دمــــه مختلط بعــــرقه^(٤)

(١) ترى : اعرف أن . سعيه بتطير : إذا نبت ريشه وهم بالطير ان فقد دنا حتفه .
ياللي : يا الذي . تنعزت : التجأت . قارة : هضبة .

(٢) الحبس : السجن . ما جاك : ما جاءك . وما هنا مبتدأ . وسيله فاعل جاء وقبله
(الا) محذوفه .

(٣) مطاويه بتفال : بصاق ، وهو يضرب في الاخذ للامر عدته .

(٤) خلي : ترك . (مقضاة ابن درمة) مقضاة : تأثر .

ولجبر بن سيار :

(كم طمع منه السلامة مكسب)

وكم مكسب منه الغنيمة تنجلي^(١)

ولجبارة الصفار :

(لو أدري بيوم الرشد عقلت ناقتي)

وسايلت عن خبث الليالي وطيبها^(٢)

ولسليمان بن علي :

(تري المربوط اخو المطلق)

(ما في الفار الطاهر كله)^(٣)

(١) يقول كم طمع يوقعك في مشكل تكون السلامة منه مكسبا كما أن هناك مكاسب الغنيمة ولا شك فيها .

(٢) لو ادري بيوم الرشد : أي لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . سايلت : سألت .

(٣) ترى : إن ، ولهذا المثل قصة شعبية مضحكة ، وذلك ان هناك رجلا يدعى ابن غيثار ، له حماران ، يعمل عليهما وقت العمل ، ويربطهما إذا انتهى عمله ... وذات يوم انفلت احدهما من الرباط ، فنفس في الحرث ، وأكل ما أكل ، وأفسد ما أفسد .. أما الآخر فكان موثقا ، وليس له حيلة إلا الشهيق ، والنهيق . فجاء ابن غيثار وحماراه على هذا الحال ، فاوجع الحمار المربوط ضربا ، وترك المفلت الذي قطع الرباط ، وأفسد الحرث !! فقيل له ان المنفلت أولى بالضرب من المربوط ، فقال : ان المربوط أخو المطلق : فذهبت مثلا شعبياً !!

ولمحمد بن عبد الله القاضي :

ولا يفتخر من جاد جده وخاله

(هي بالهم لا بالرّم) مثل ما قال (١)

وللبديوي الوقداني من رباعية طويلة :

كم كلام راح من أجله نفوس

وانت ما تأخذ على نقله فلوس

لا تفتش (كل حب فيه سوس)

كم تخوض الناس في (قال وقيل) (٢)

ولابن جعيشن :

فلا ييأس العاقل والايام تنقضي

(ولابد صياد الفهود يصاد) (٣)

(١) سبق ان شرحنا مفردات هذا البيت قريبا .

(٢) راح : ذهب . قال وقيل : أصل هذا قطعة من حديث (.. وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) ثم أصبح مثلا في ألسنة الناس . والمراد به الكلام العائم الذي لا طائل تحته .

(٣) الواو في الايام : واو الحال . ولا بد صياد : ولا بد ان صياد .. الخ . الفهود : جمع فهد وهو من الوحوش الكاسرة .

ويقول العوني :

(حاشا ولي العرش يخلف عوايده

يركب على سرج الحصان حمار) (١)

ولحميدان الشويعر :

والذي يرتجى الفضل عند اللثام

مثل (مستفز صاح في مقبرة) (٢)

وله أيضاً :

لولا رجاله راح ماله صلحة

ودقوه دق (مثل دق ام الجرا) (٣)

ولابن جعيشن :

ما يفك من الهوي كثر السكات

(كل طير بالموده له لعيب) (٤)

(١) حاشا ولي العرش : ان ولي العرش والمراد الله تعالى . عوايده : عوائده : عاداته . فيركب .. الخ والمعنى لا يغير سنن كونه .

(٢) مستفز : مستصرخ . وأهل المقابر لا ينجدون المستصرخ .

(٣) لولا رجاله : لولا طائفته وعشيرته . راح ماله صلحه : ذهب ماله هدرأ .

دقوه : ضربوه . دقا : مصدر مبين للنوع . ام الجرا : الذئبة الخبيثة يمنعها حب جراها من الفرار فيلتئم عليها الناس ويوسعونها ضربا .

(٤) ما يفك : ما ينجي . كثر السكات : كثرة السكوت . بالموده : في الموده .

له لعيب : له مشاكل ومجانس .

ولمحمد بن صالح القاضي :

يا قلب هود يا قليل الرحامي

(برق عدتك نواه لا تستخيله) (١)

وهكذا نجد أن كل من أغراض الشعر العربي قد وجد مكانه في الشعر النبطي بصورة رحبة فسيحة ولولا خشية الإطالة لأوردنا كل ما تناوله الشعر النبطي من غرض تناوله العربي من قريب أو بعيد أو كثير أو قليل ولأفسحنا المجال في الأغراض التي تناولناها بإيراد نماذج أكثر وصور أوسع ، ولكن حسبنا أن نشير وحسب القاريء أن يتذوق ويتنقل .

(١) هود : ارفق . قليل الرحامي : قليل الرحمة . نواه : نوّه . لا تستخيله :

لا تشيمه .

٢ - تصوير البيئة في شعر النبط

يذهب كثير من أئمة الأدب العربي ، ومنهم الدكتور طه حسين . إلى أن ما نستطيع أن نقف عليه من أحوال المجتمعات ، ودراسة البيئات ، وفهم أحوال الأمم ، عن طريق الأدب الشعبي ، أكثر فائدة . وأعظم شمولاً واحاطة ، مما يمدنا به الأدب العربي ، سيما في مثل زماننا هذا ، أو ما قبله بقليل ، حيث داخل الفصحى ما داخلها من تغيير وتبديل ، وقلت العناية بها أصلاً ، لظروف سبق أن شرحناها في كتابنا هذا^(١) وهي لا تنأى عن إدراك القاريء وفهمه... ولأن الأدب الشعبي ، ينبع من صميم المجتمع ويستمد حياته من البيئة العامة ، فلا غرابة أن يمثلها أصدق تمثيل ، ويجلوها للمتبع في بساطة واحاطة . بخلاف الأدب الفصيح ، فهو يسمو - غالباً - لا سيما في شرقنا العربي - عن الطبقة الشعبية العامة ، في نطقه ، ومحيطه ، وربما غرضه ..

ولولا ما يؤديه التمثيل ، وقلة من الصحف ، والكتاب ، وبعض برامج الاذاعات ، لأصبح أدبنا في ناحية ، ونحن في

(١) أنظر صفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

ناحية أخرى ، وعلى هذا فهل يصح أن يسمى ذلك الأدب الساكن في المريخ ، أدباً لأمة تسكن الأرض إلا على رأي من ذهب يزعم أن ، الفن للفن ، وهى النظرية ، الأدبية ، الشاذة ، فذلك لا بحث لنا معه ، وإنما نحيله على ما أزهد به هذه النظرية ، أئمة الأدب ، وقادة الفكر ، من رجال الشرق والغرب .

وإذا كان الأدب العربي المصري منذ فجر النهضة العربية ، الأخيرة ، إلى يومنا هذا ، يعتبر هو زعيم الآداب العربية ، غير مدافع ، فهل يتسنى لنا أن ندرك من خلاله حقيقة المجتمع المصري ، أو بعض حقيقته ، بقدر ما يعطى الأدب – بجميع فنونه – فكرة عن أمة ؟ !

أعتقد أنه ليس في المستطاع ذلك ، بل لو أن الأديب المصري عنى بالأدب الشعبى ، ودونه ، وغذاه ، لأمكن ادراك هذه الحقيقة .

وإذاً فأدبنا – إن صح ان لنا أدباً مستقلاً يعتد به – من باب أولى ، في عدم تصوير مجتمعنا ، وإبراز حقيقتنا ! !

وشعراء النبط ، كاخوانهم شعراء الفصحى ، يختلفون قوة ،

وضعفاً ، وقرباً وبعداً ، بحسب صلتهم بالمجتمع ، واندماجهم فيه .

فالعوني شاعر الملوك والأمراء ، وصاحب المذهب الخاص في المحماسة والسياسة ، ليس كحميدان الشويعر ، الذي حمّله الفقر والبؤس ، على مفارقة بلاده وأهله ، إلى بلد العراق ، ليحصل على قوته هناك ، كحارس ، أو عامل ثم يرجع يذرّع نجداً ، ويواجه من قراها ، ومدنها ، مامدحها عليه ، أو ذمها ، فمثل هذا هو الذي قد انغمس في البيئة إلى أذنيه ، وعرف أسرارها ، واكتوى بنارها .. فجاءت تعابيره تجلو لنا ذلك المجتمع في في مرآة صافية ، إلى جانب ما رزقه حميدان من قوة المعارضة ، وشدة الذكاء ، ودقة الاحساس ، والشاعرية الأصيلة .. فهذا مع التجربة الطويلة ، والخبرة الواسعة . جدير بأن يكتب لحميدان الخلود ، وينظمه في سلك النوابغ !!

ورا كان بن حثلين ، الذي عاش في البادية أميراً ، وقضى شطراً من عمره خارج الجزيرة أسيراً ، ليس هو كابن جعثن ، شاعر البيت وما يحويه والسوق وما يجري فيها ، وصاحب النقلة والتسيار ، وربيب البوادي والحضار ، وشعر الجميع خير دليل للمتأمل ، وأكبر شاهد على ما نقول .

وإذا أردنا أن نلتمس لحميدان ، وابن جعيش ، ونحوهما
مشابهاً أو مشابهين من شعراء الفصحى وجدناهما يلتقيان مع أبي
دلامة ، وأبي نواس وابن سهل ونحوهم من وجوه ، وهى الذوبان
في الشعب ، والتأثير فيه ، والتأثر به وعدم التحاشى من ذكر
الأشياء التافهة والمخجلة ، والاسفاف في كثير من المواضع ،
ويلتقيان بالبهاء زهير ، وابن نباتة ، وابن العتاهة ، ونحوهم
من وجه هو السهولة ، والبساطة .

فهذا هو حميدان يضيق ذرعاً ببلدته (القصب)^(١)
محدودة الرزق ، ضيقة العطن بأبنائها ، لا سبيل بها إلى ادراك
العيش ، إلا وسيلتان هما استجمام الماء في الحفر حول البلدة
ذات السبخات فيظلون في انتظاره حتى يتجمد ملحاً ، فيقومون
بتصفيته ، وتصديره .

ويصور حالة هذا الملاح ، تكسب بشرته - وبخاصة لحيته
ووجنتيه - لوناً خاصاً هو الشعوثة والاشهيباب ، فهذه هى
العلامة الفارقة للقصبى .

(١) القصب إحدى بلدان الوشم وتقع في الجنوب الشرقي لشقراء عاصمة الوشم
وبها معدن ملح يمون كثيراً من بلدان نجد ، وأرضها زراعية خصبة .

أما الوسيلة الأخرى للرزق فهي جنى ورق الأَرطى - القرظ -
وإعداده للدباغة ، وهذا هو سبيل رزق القصبي :

أَنَا مِنْ قَوْمِ تَجْرَتِهِمْ
أَرطى الضاحي ودوى الغيرة^(١)

دايم شهب حـ لا قمهم
واحدهم يشرب ما بيـره^(٢)

وفي نظر حميدان أن غالب أبناء زمنه ليسوا جديرين ،
بالتزويج ، ويعز عليه أن يلقي الرجل بابنته في أحضان ثور
ينسب إلى البشر ، ويجدر بالأب إذا جاءه هذا الخاطب أن يدني
منه الهراوة ، ويقرع بها رجله ، ويقول له ما يقال للثور
(قف) بفتح القاف وتشديد الفاء . ولعلها محرفة عن فعل
الأمـر (قف) ، فهذا الرجل لا يساوي الاجراءات التى تتخذ
للعرس ، كالعقد ، وقرع الدف ، والوليمة ، وما إلى ذلك ..

(١) تجرتهم : تجارتهم . أَرطى الضاحي : الارطى هو القرظ ويستعمل ورقه في
دبغ الجلود . والضاحي : كثبان رمل بعريق البلدان تخترق بلاد الوشم من الشمال إلى
الجنوب وطرفها الجنوبي يسمى بطريف الحبل . دوى الغيرة : دواء التخمة وهو الملح
واختار هذا التعبير ليدل على البساطة والسذاجة .

(٢) حلاقمهم : رقابهم . واحدهم : أحدهم ، فهم شهب ويكثرون من شرب
الماء من تأثير الملح .

لى جائـور يـخطـب بنتـك
فاضرب رجـله قـله قف(١)

والله ما يسـوى ملكـتها
ولا يسـوى قـرع الدف(٢)

والله ما يسـوى ضيفـتها
ولا يسـوى ظـلف وخف(٣)

لماذا يا حميدان ؟ !

يذهب إلى أنه سوف يخرجها من دار أبيها ، ثم يذيقها
الجوع ، والهزال وإذا قدر أن تسلم من ضربه لها ، فثق أنها
لا تسلم من نفخه ، ونفثه والنهاية أن تعود إلى بيت أبيها
تحمل أثقالها وأثقالا مع أثقالها !!

يظهر بنتك مـن بيتـك
ويذوقها جـوع وحف(٤)

(١) الى جا : إذا جاء .

(٢) يسوى : يساوي . ملكتها : عقد نكاحها .

(٣) ضيفتها : وليمة عرسها . ظلف وخف : مما يذبح أو ينحر في وليمة

عرسه .

(٤) يزوقها : يذيقها . حف : قلة الأدم .

ان سلمت من ضربه بيده

ما سلمت من بف وتف^(١)

يروحن حيل واملاط

ويجن لقح ومردف^(٢)

أما نظرته إلى رجال زمنه ، فنظرة تفصيلية تعطي كل ذي حق حقه ، ويخرج عليك بخليط تستغرب أن يلم به حميدان ، مع أن هذه الأصناف كلها تمر عليك تحت محك التجربة ، وعلى اشعاع مجهر الزمن .. ولكن في فترات متقطعة ، ينسى بعضهما بعضاً !! فتعال معي لترى في مجتمع حميدان من يدعي الزعامة . والرئاسة ، ومع هذا فلم يقدم ثمنا لذلك ، فهو يريد ادراكها رخيصة كما يقول أبو الطيب :

ومن الجماعة شايخ متشيخ

أما النوايب يتقى عنها ورا^(٣)

(١) بيده : بكسر الباء وسكون الياء وكسر الدال . يده . بف : هوزم الشفتين وضمهما واخراج الهواء من بينهما دفعات وهو بمعنى الأف . تف : هو حكاية البصاق

(٢) يروحن حيل واملاط : يذهبن خاليات البطون والظهور . ويجن .. الخ : محملات البطون والظهور .

(٣) من الجماعة : من البلدة : شايخ : سائد : متشيخ : مصطنع السيادة . النوايب : المكارم . يتقى عنها ورا : يستتر عنها .

وتجده كالمذعور إذا مشى في السوق ، مخافة ضيف لا يقوى
على الفرار منه :

إلى مشى بالسوق الاله ملوذع

عن خاطر يقضب قطا به من ورا(١)

ولتري أيضا حاملا لنائبات نفسه ، متحملا لنائبات غيره ،
كل يوم وبيته يغص بالأضياف ، إذا لم يبحث عنهم بحثوا
هم عنه ، فهو دائماً كالشريعة يعرفها الورد :

ومن الجماعة حامل متحمل

ما فات يوم ما لضيف ما قرا(٢)

إن ما يدور الضيف دور بيته

وهو سواة العد عد يذكر(٣)

ولا يعوزك أن تري من يزهو كالديك ، ينص عنقه ،
ويتعاضم ، ويتملكه الزهو والخيلاء ، أما لماذا ؟ فلا شيء إلا أنه
كالدف صوت عال وبطن خال :

(١) إلى مشى : إذا مشى . الاله ملوذع : وإذا هو مذعور . عن خاطر : عن
ضيف . يقضب : محرف يقبض . قطابه : مجمع اكسيته من خلف .

(٢) حامل متحمل : حامل عن نفسه متحمل عن غيره . ما فات يوم إلا وقد قرأ ضيفاً

(٣) يدور الاولى بالتخفيف والثانية بالتشديد والمراد يبحث في كليهما . سواة

العد : كمثل العد وهو الماء الغزير للوارد . عد يذكر : مشهور عند كل أحد .

ومنهم سواة الديك رزة عنقه

ما زان له زول بفعل يخبرا^(١)

وله شبهه . إلا أنه من النوع المتطرس ، المتعالى ينفخ
نفسه كالضب يتنسم الريح ، وإذا مشى مشى مختللاً متبخترًا .
قد كسى ثوبه جزءاً من الأرض ، وكأنه يحمل الطباق السبع .
والواقع يقول إنه أخف من ريش الحمر ، قد جهلت نفسه قدره
فرأى غير منه ما لا يرى :

ومن الجماعة كالضبيب المنتفخ

متبختر يسحب ثوبيه من ورا^(٢)

كن الضعيف شایل سبع الطباق

هو مادرى انه خف ريش الحمرا^(٣)

وكما يتسايد ذاك . ويتعاضم هذا ، فهناك من يتعالى أيضاً ،

(١) سواة الديك : كمثل الديك . رزة عنقه : بتشديد الزاى والمراد نهضة عنقه .
ما زان له زول : ما زين هيكله فعل جميل يذكر من أفعال الكرام .

(٢) الجماعة : المواطنين . الضبيب : تصغير ضب وهو حيوان من الزواحف
يألف الحزون ويقال انه يصمد للهواء ويسمح له بملء جوفه . ثوبيه : تصغير ثوب .
من ورا : من خلف :

(٣) كن الضعيف : كأن الضعيف - استهزاء . شایل : حامل . سبع الطباق :
سبع السموات . هو ما درى : أهو ما علم . خف ريش الحمرا : كمثل ريش الحمرة -
وهو طائر صغير ذليل - في الخفة .

ويجعل نفسه في رتبة عالم ، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب ،
أشياء ؟ ! نعم ليصل بتدينه ، وتعاله إلى أهوائه ، وأغراضه ،
وهي دعوي صاحبها دعى :

ومن الجماعة من ينط بمرتبته
في الدين لو هو ما يخط ولا قرا^(١)

يدرق بدين الله دين غادر
والله علام لما هو أضمر^(٢)

ويقتفى ابن جعثن آثار سلفه حميدان ، وينفرد باهتمامه
بشئون المرأة ، أمّا ، وزوجة ، ومدبرة ، ومربية ، وعاشقة ،
ومعشوقة ، فلقد بلاها ، وأبدي فصيحها :

ففى النساء - كما يقول - منحوسة ، مشثومة ، دائما
ولسانها رطب بالسباب ، والعتاب ، ويندر ألا يراها أمامه
حجر عشرة :

فيهن القشري اللغوية
قبلها قدامه زومة^(٣)

(١) ينط : يمتطي . لو هو : لو كان .

(٢) يدرق : يختل . دين غادر : كاذب .

(٣) القشري : الشرسة : اللغوية : ذات اللسان السليط . قبلها : دائما . قدامه

زومة : أمامه منفعة ساخطة .

فهى دائماً كالضبع فى هدرمتها ، وهريرها ، فتريه مالايرى
من أنواع الاعنات ، والضيق :

فهى فيهن ضبعة غابة

فى الظهر توريه نجومه (١)

وكما تكون فيهن هذه الأصناف الخبيثة ، ففيهن أيضاً
جماليات الخدود ، والشفاه ، تطرد عنك الهموم ، وتجلي عنك
الغموم ، فتلك لا تتردد فى التزوج منها ، إن لم تكن معدومة :

فيهن زينة خد ومبسم

فى الليل تسليه همومه (٢)

هذيك اخطبها يا صاحي

أخاف يقال معدومة (٣)

وكثيراً ما يصف الرجال ، ويبين ما فيهم من محاسن ،
ومعائب ، ثم ينتقل إلى النساء ، فيضفى عليهن ما يراه بهن ،

(١) ضبعة غابة : انثى الضباع . فى الظهر توريه نجومه : فى الظهيرة تربه النجوم
على خلاف المعروف ، والمراد تتفنن فى إيذائه حتى تخرق له العادات .

(٢) زينة خد : حسنة خد وثرغر . فى الليل تسليه همومه : تنسيه همومه فى الليل
حيث تتداعى هنالك .

(٣) هذيك : تلك . أخطبها : أطلب الاقتران بها . يا صاحي : يا صاحي منادى
مرجهم . اخاف يقال معدومة : أخشى ان يقال ان مثل هذه معدوم .

فهو يرى أن الزيجة بهن مغامرة كمغامرة من غاص في لجج البحر .
يطلب اللؤلؤ ، فاما أن يأتي به وإما أن تأكله حيتان البحر :

هذي وصاتي للرجال احفظها

واحفظ وصايا البيض يا مثوبها^(١)

كل عليهن غايص في غبغة

يجيب حص أو يأكله شاذوبها^(٢)

وما دام هذه حالة النساء ، فتنبه لهن ، وخذ الحيطة والحذر
معهن . ولا تلين لهن جانباً ، أو يرين منك ضعفاً . فكن دائماً
معهن كالثعبان ، يخيف حتى سلخه المتجرد منه :

بالك تلين للعداري جانب

خله تهاب الداب هي وسلوبها^(٣)

ولم تضمن عليه التجربة ، أن يرى في محيطه من هي مثال
النصح ، والاخلاص ، ولكنها مجفوة ، مبغضة . لا يحدث

(١) وصاتي : وصيتي . وصايا البيض : من إضافة الصفة إلى الموصوف . مثوبها :
يا مثاب على هذا الصنيع .

(٢) غايص : غائص . في غبة : في لجة . يجيب حص : يأتي بلؤلؤ . يأكله
شاذوبها . يأكله كلب البحر .

(٣) بالك : احذر . خلّه : اتركها . الداب : الثعبان . هي وسلوبها : هي وسلخها
المنفصل عنها .

فعلها الجميل ، إلا رد فعل عليها ، فحتى ما تطعمه ، تجد فيه منة ، ولكن الصبر خليك بأن يورثها الدار ، ويأخذ لها الثأر :

وفيهن من تنصح وهى مجففة

والى عطاها وجبة منوا بها^(١)

ترى بغيض الدار هو وراثتها

ان كانها تصبر فهو من صوبها^(٢)

والقهوة هى الأداة ، لاجتماع الرجال ، وتبادل أنواع الطرف ، والأحاديث ، ولكن نوعا من الرجال رآه ابن جعثن سلك بالقهوة غير هذا المسلك ، فهو يخبىء أواني القهوة ، ومع ذلك لا يخجله هذا التصرف . أما إذا أراد دخول بيته لعمل القهوة ، جعل يقبل ، ويدبر ، ويختل ويتلصص ، ويتصيد ، كأنه ناصب فخ ينتظر وقوع الصيد فيه ، وفي حين يجد الفرصة للدخول يرتج الباب ويشمر عن يديه :

خطوى المعاميل توزا

راعيها ما شاف خلافة^(٣)

(١) الى : إذا عطاها : أعطوها . وجبة : المرة من الاكل .

(٢) ترى بغيض الدار : ان المبعض في الدار يرثها . ان كانها : ان كانت تصبر .

فهو من صوبها : فهو من نصيبها .

(٣) خطوى المعاميل : بعض آنية القهوة . توزا : تخبأ راعيها : صاحبها . ما شاف

خلافة : ما رأى خطأه .

الى هم يقهوي نفسه
نوى في ماله باتلافه (١)
تلقاه يكوبع في العير
قلبه ما يسكن رجافه (٢)
كنه حبال له حقة
حط الحبة في مطرافه (٣)
ساعة يدخل صك المجرا
وعقد شلحاته واطرافه (٤)

وهنا يشرع في اعدادها ، وتنقية مويتهها ، وحبوباتها .
أما وقوده فهو ما تتركه عاملة الآنية ، من سعف النخل . وبئس
الوقود . ولئلا يخرج صوته للناس يحاول كبت السعال ، فكأنه
سار في أرض موحشة ، مخوفة ، ويعلم أن الدخان مما ينم عليه .
فلا يترك له متنفساً ، يخرج معه . والمشكلة الآن مشكلة سحق

-
- (١) الى هم : إذا هم . يقهوي نفسه : يسقي نفسه القهوة .
(٢) تلقاه : تجده . يكوبع : يتخبأ ويختل . في العير : بكسر العين وتشديد الياء
جمع عائر . وهي الزوايا . رجافه : رجفانه .
(٣) كنه : كأنه . حبال له حقة : ناصب فخ . حط الحبة : جعل الطعم . مطرافه
شص الفخ .
(٤) صك المجرا : أغلق الباب بمغلاقه الكبير . عقد شلحاته : شمر اكمامه
وأطراف ثيابه .

القهوة ، لكن الهاون عنده ككلب زارع الخضار ، لا يجهر
بنباحه ، وإنما ينأى ، وينغم ، وفي الوقت الذي يهتدي اللص
بنباح الكلب ، على الفريق الحلول . فهذا الكلب هو الذي
يتلصص على اللصوص وفي هذا تشبيه بارع :

عفى ماها وحبيباته

ووقوده خوص السفاقة (١)

حتى الكحة ما يظهرها

كنهه سار في مخافة (٢)

من خوفه يظهر دخانه

يرقى ويغطي كشافه (٣)

كن نجيره كلب مخضر

يحوف الحاييف ما حافه (٤)

(١) عفى : نقى . ماها : ماءها . حبيبات : أى حبيبات القهوة . خوص السفاقة :
سعف صانعة الآنية ونحوها منه .

(٢) الكحة : السعال . كنهه : كأنه . في مخافة : في حالة خوف .

(٣) يظهر دخانه : يخرج دخانه . يرقى : يصعد السطح . يغطي كشافه : يغطي
المنور لئلا يخرج منه الدخان فينم عليه .

(٤) كن نجيره : كأن هاونه . كلب مخضر : كلب زارع الخضرة - الفاكحة -
يحوف الحاييف : يسرق اللص والاص لا يسرقه .

ويري في جيله أناسا عظام الهياكل ، عظام المظاهر ، ولكن
الله جعل لهم من أكسيتهم دروعا تجنبهم ، عما تنطوي عليه
أجنحتهم من خبل ورقاعة ، ولو عرفوا هذا من أنفسهم ، وسكتوا
لكان خيراً لهم ، ولكن ألسنتهم تنم عما خلف هذه المظاهر ،
فيبدو ما في العيبة من خيبة :

يا ما من زول وش كبره
ساتره الله ثم هـدومه (١)
يظهر لك نقصه من زوده
في المجلس هرجه وعلومه (٢)

ويصور لنا ابن سبيل (*) جانبا من عادات البادية وكرمها

(١) ياما من زول : كم من شخص . وش كبره : كبير جدا . هـدومه : ثيابه .
(٢) زوده : زيادته . هرجه : كلامه . علومه : اخباره .

(*) هو الشاعر الوجداني البليغ عبد الله بن حمود بن سبيل من بلدة نفى هجرة
الرباعين أمراء الروقة من عتبية وشاعرنا من قبيلة باهلة وهو وان كان حضريا إلا أن
احتكاكه بالبادية جعل من شعره صورة حية من صور البادية في لغته وأسلوبه وتصويره
لاحوالهم ووصفه لبيئتهم .

كما وأنه قد تأثر بهم وأولع بفاتنات البادية وجمالهن الطبيعي وجهن العذري فجاء
شعره حافلا بوجدده وهيامه بهن .

وجل شعره جاء في الغزل والتشبيب ووصف وجده وحنينه وشجوه وأنيته .
وشعره يعد من أقوى شعر النبط وأسلسه عبارة وأصدق لهجة وأوضحه بيانا ..
توفي عام ١٣٥٧ هـ عن عمر يناهز الثمانين عاما .

وخصائصها تتمثل في أنهم لم تنزل رباعهم تغص بالطارقين الذين لا يصدرون هم وابلهم إلا بعد طيب نفس وخير قرى .. فجفانهم قد أعدت للفضل فلست ترى بها إلا أذنان الضأن . تأتي اليها الناس الجفلى سبعة اثر سبعة وكلهم يصدرون عن شبع ويظل في هذه الجفان من الشحم ما يكفى لدهن المزايدات وتظل مقدمة بيت الشعر تقطر دهناً من كثرة ما يمسح بها الأضياف أيديهم .. أما رماد نارهم فكأنه تراب بئر واسعة من كثرة ما يوقدون ، وكأن سنا هذه النار - يراه الطارق من بعيد - ضوء صباح ، وهاون قهوتهم لا يهدأ صوته ، و(المحماس أداة تحميم البن دائماً ملتهبة ، ولا بد أن يحشى فيها البن ثلاث حثيات من كيس وضع بجانبها مترع بالبن ، وبمجرد ما يلقيها يضع الأخرى ، لذا فان من بالنادي سوف ينال منها مأربه ولو كان نازحاً في مؤخرته :

رباعهم مدهل هل الموجفات

ولا شدن الا مستردات وبدان (١)

(١) رباعهم : محاسنهم . مدهل : مرتاد . الموجفات : الابل شدن . فارقن :

مستردات وبدان . مطعومات مستعيدات قواهن .

أهل صحون للفضائل مواتي

يرمى بهن أذئاب حيل من الضان^(١)

ندوة بثر ندوة يجون سبحات

ولا يفهق الا محترى السور شبعان^(٢)

الراوية تدهن من الفارغات

والبيت يا كف مقدمه دثر الايمان^(٣)

ومنارة كنه نثيلة هبابة

ونار سناها مثل صبح الى بان^(٤)

مركى دلال نجرهن ما يبات

محماسهن دايم على النار حميان^(٥)

(١) أهل صحون : ذوو جفان . مواتي : معدات لها . حيل : سمان لم يهزلهن الحمل .

(٢) ندوة بثر ندوة : زمرة بعد زمرة . يفهق : يرفع . محترى السور منتظر الفضل

(٣) الراوية : المزادة . الفارغات : الفضل . يا كف : يكف يقطر سمان . دثر

الايمان : سهكها من الدهن .

(٤) منارة : رماد النار المزبور إلى جانب موقدها . كنه نثيلة هبات : كأنه

مجموعة تراب بثر واسعة عميقة .

(٥) مركى دلال : ناصب أواني القهوة . نجرهن ما يبات : هاوئهن لا يهدأ .

محماسهن : مقل الشهوة .

من البن يصفق به ثلاث غرزات
تنسف على المبراد والكيس مليون^(١)

وان فرغ الطبخة والى ذيك تاتي
ولا نازح المجلس عليها بشفقان^(٢)

ولم يزل البدوى يرى لنفسه فضل الشجاعة ، والجرأة ،
والذب عن الديار ، وحماية الدمار .. على الحضري بحق أو
بغير حق .. ولم تزل النساء البدويات يرين في الشجعان بغيتهن
ومنتهى آمالهن على ما كان عليه النساء العربيات الأول ..

لذا فان الشاعر بداح العنقري قد استهدف لاحداهن وقد
ابتلى بحبها بأن قالت له انكم معاشر الحضرة ولو كنتم فرسان ،
إلا أنكم فرسان نظرة وجمال ، لا فرسان طعان وميدان .. لذا
فان قصيدته الآتية تصور لنا هذا الحوار ، وتشف لنا عن ظاهرة
يعرفها سكان الجزيرة من أنفسهم وهى اعتداد البدوي وشموخه :

(١) يصفق به ثلاث غرزات : يحثي به ثلاث حثيات . تنسف على المبراد :
تنقى في اناء قبل قليها . وكيس القهوة ملآن دائما .

(٢) الطبخة : المرة من القلى . والى ذيك تاتي : وإذا بالآخرى تجعل . بشفقان :
شفيق .

الله لحد ياما غزينا وجينا

وياما ركبنا حاميات المشاويح^(١)

وياما على اكوارهن اعتلينا

وياما ركبناها عصير مراويح^(٢)

وياما تعاطت بالهنادي يدينا

وياما تقاسمنا حلال المصاليح^(٣)

وراك ترهد يا اریش العين فينا

تقول خيال الحضرة زين تصفيح^(٤)

تري الظفر مهوب للظاعنيننا

قسم وهو بين الوجيه المفايح^(٥)

(١) الله لحد : قسم فيه معني التعجب والتكثير . غزينا وجينا : غزونا وجئنا .
حاميات المشاويح : الإبل .

(٢) أكوارهن : اقتابهن والضمير يرجع إلى الإبل . عصير : تصغير عصر .
مراويح : وقت المرواح .

(٣) تعاطت : تبادل . حلال المصاليح : مال المصلحين في ما لهم بالرعى والسقى ..
الخ .

(٤) وراك ترهد : مالك تجفو . أريش العين : طويل هدها حتى لكأنه الريش .
خيال الحضرة : فارسهم . زين تصفيح : حسن منظر فقط .

(٥) ترى الظفر : ان الشجاعة : مهيب للظاعنيننا : لست للبادية فقط . قسم :
نصيب . الوجيه المفايح : الوجوه الكريمة الكادحة .

البدو واللي بالقري نازلينا
كل عطاء الله من هبة الريح^(١)
يوم الفضول بحلتك شارعينا
والشلف ينحونك سواة الزنانيح^(٢)
يوم انجم رمحي خذيت السنيينا
وادعيت عنك الخيل صم مداييح^(٣)
ويرى أن ما قدمه كافياً لترقيق قلبها واعترافها بالواقع
فيقول :

هيا عطينا الصدق هيا عطينا
وان ما عطيتينا الله لصيح^(٤)
لصيح صيحة من غداله جنيينا
والاخلوج ضيعوها السراييح^(٥)

-
- (١) واللي : والذين . هبة الريح : الكياسة والتوفيق .
(٢) الفضول : قوم . بحلتك : بدارك . شارعين . هاجمين . الشلف : جمع
شلفاء وهو الرمح . ينحونك يصدونك . سواة الزنانيح . مثلها .
(٣) انجمر : انقصم . خذيت السنيينا : أخذت السيف . ادعيت : تركت . صم
مداييح : منصرفات هاربات .
(٤) هيا عطينا : هلمي اعطينا والله لصيح : والله لارفعن عقيرتي بالصباح
تظلمنا منك .
(٥) جنيينا : ابن . خلوج : ناقة فاقدة ولدها . ضيعوها السراييح : أضاعها الرعاة :

ولا يكتفى بهذا بل لابد أن يغزو قلبها من ناحية موطن
الضعف فيه ولدى الشعراء كثير من مفاتيح القلوب :

يا عود ريحان بعرض البطينا
وامنين ماهب الهوى فاح له ريح^(١)

الى ان قال :

لا خوخ لا رمان لهوب تينا
لا مشمش البصرة ولا بالتفافيح^(٢)

وخذ كما قرطاسة في يميننا
وعيون نجل للمشقى ذوابيح^(٣)

صخف بلطف بانهزاع بلينا
يا غصن موز هزعه ناسم الريح^(٤)

ولم يزل العرب يرون في الصنائع والحرف مرتبة قاصرة
لا يمتنها إلا من ليس بعربي أصيل ، فهم أهل كروفر وحرث
وتجارة وتغذية ابل وخیل وغنم ، وهى ظاهرة من الظواهر التى

(١) عود ريحان : غصنه . بعرض البطينا : بوسط الحديقة . وامنين : ومن أى
جهة . فاح له ريح : تضوع له عرف .

(٢) لا خوخ .. الخ هو خير من هذه كلها .

(٣) كماقرطاسة : كورقة بيضاء — كاغدة — للمشقى : للمعنى ذوابيح : ذوابح .

(٤) صخف بلطف : هيف برشاقة . بانهزاع بلينا : يتثنى ويتمايل . ياغصن

موز : بل هو غصن موز يحركه رخاء النسيم .

تكلف فيها العرب شططا ، وجعل من بلادهم سوقا للمنتجات
الأجنبية ..

يصور لنا هذه الناحية محمد بن لعبون في هجائه لعبد الله
بن ربيعة فيقول :

يا عبيد جدامك يفحج على الكير
أصله صليبي يـدق الصبارة^(١)

شطر بصنعه للحذا والمسامير
ودقنه خلاص الكير كله بشراره^(٢)

وهم كذلك يأنفون من تزوج العربي بأعجمية أو مغموزه

(١) يفحج : يجلس بجانب الكير مباعداً ما بين رجليه ، والمراد أنه حداد .
صليبي : تصغير صليبي . والصلب جيل من الناس يقطنون مشارف الشام وسواد العراق
ولعلمهم من يعرف الآن بالنور . يدق الصبارة : يصنع الحديد .

(٢) شطر : حاذق . الحذا : جمع حذوة وهو ما تنعل به الفرس من الحديد .
ودقنه لم يبق فيه الشرر المتطاير من الكير شيئاً .

النسب يصور لنا ذلك ابن ربيعة (*) في رده على ابن لعبون في قصيدته التي منها البيتان المتقدمان :

أَبـوك اخـذ هندية بالدنانير

بيضا وتكرم داخله طهارة^(١)

مرباه في دسبول والجـد بنـجير

شقرا ولطامة خدود خسارة^(٢)

(*) هو عبد الله بن ربيعة من آل وطبان ويتصل نسبه بآل مقرن جد الأسرة السعودية .. وقد نشأ هذا الشاعر في جو مشبع بالفتن والثارات والاحن ، بين أسرته وبين بعض الاسر النازحة من نجد إلى العراق .. وقد وقعت بينه وبين الشاعر ابن لعبون نقائص وقودها ما بين هذه الاسر من شجار ونفار .

وكان هذا الشاعر مثال الاستقامة والحد لهذا شعره خاليا من الترهات والبذاء ورخيص القول .

وهو في شعره يعتبر من أقران ابن لعبون وابن فرج واضراهما .
توفي سنة ١٢٧٣ هـ .

(١) أخذ : تزوج . تكرم : جملة معترضة داخلية طهارة مخبرها خبيث .

(٢) مرباه : نشأتها . ودسبول ونجير : جهتان من بلاد العجم . لطامة خدود :

أي شيعية ..

معاني الشعر العربي .. وشعر النبط

قد تعجب حينما ترى شاعر النبط لم يقرأ كتاباً ، ولم يسمع شعراً ، ولم يعرف عن الأدب العربي قليلا ولا كثيراً ثم يأتي بالمعنى طرقة الشاعر العربي ، فيصوره لك في أجلى بيان ، ويضعه في أجمل قالب ، يجد فيه المتذوق من الجمال ، والطرافة ، ما يجده الأديب العربي في قطعة فنية رائعة .

وإذا ذهبنا نلتمس السر في هذا وجدناه قريباً ، ذلك أن كلا من الشعريين ينظم في أغراض واحدة ، وعلى نمط وأسلوب واحد ، انحدر مع العربي منذ قرون طويلة ، فاذا اختلفت الصياغة ، وتباين السبك ، وانمازت اللغة ، ونتج عن ذلك تصور بعد المعنى عن مشابهه .. فلن نعدم الكثير من المعاني تطابقت ، أو تدانت ، كيف لا وقد وجدنا البيت ، وشرط البيت ، بلفظه ومعناه ..

وفي نظري أنه لا يخلو غرض من الأغراض طرقة الشعراء ، ألا ويوجد بينهما تشابه معنوي فيه . ولكن الشأن في إدراكه ، فالناس يختلفون فيه حسب ثروتهم الأدبية ، وتذوقهم للشعريين ،

وحفظهم للنصوص من كل منهما ، وقوة الذاكرة ، أو ضعفها ،
وتفطنهم لهذه الناحية ، واستحضارها في أذهانهم عند القراءة ،
وعدم ذلك ، وأخيراً فلكل من الناس محفوظ خاص ، يباين
محفوظ الآخر ، فتجد المتتبع لهذا الشيء لديه استنتاجات ،
ومحصول غير ما عند الآخر ، فلقد وقفت على بعض البحوث
لأدباء كانت لهم مشاركة في بحث هذه الناحية من شعر النبط
فقط ، فهم فيما أذكر ثلاثة ، وكل منهم بحث هذه الناحية ،
ووازن بين الشعرين ، وجاءت موازنة كل منهم مخالفة لما جاء
به الآخر ، إلا ما استعان به المتأخر ممن قبله ، أما أنا فسوف لا
أورد في هذا الباب إلا من محصولي ، إلا في النادر الذي شاركت
فيه أولئك عرضاً من غير قصد .

هذا ولا يغيب عن الأذهان ، ان الشعراء يختلفون في تناولهم
للمعاني ، سواء كانوا عرباً أم نبطاً ، فمقتضى الحال الذي ينص
عليه البلاغيون ، لا بد من اعتباره ، ومقدرة الشاعر على إيراد
المعنى في جمل مقتضبة ، وبأسلوب رشيق ، تختلف باختلاف
ملكات الشعراء ومواهبهم .

فعصيان النفس والشيطان معنى تناوله شعراء العربي والنبطي
يحضرني الآن ممن تناوله ، البوصيري ، وبركات الشريف ،

ولكنى أجد بركات الشريف في تناوله هذا المعنى أدق ، لأنه أثبت في بيته أن الشيطان هو الذي يوسوس للنفس ، فيرميها في المهالك ، وان ما تتردى فيه غالباً نتيجة ، لا طاعة الشيطان فيقول :

والنفس خالف رايتها قبل ترميك
تري لها الشيطان يرمى بالاهلاك^(١)

أما البوصيري ، فيجعل كلا من النفس ، والشيطان ، وحدة مستقلة ، لها تأثيرها الخاص ، وفي هذا الأسلوب شيء من التساهل ، وعدم العمق . يقول :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصيح فاتهم

أما عدم الثقة بالناس ، وإساءة الظن بهم ، فقد تناوله كل من الطغرائي وبركات الشريف أيضاً ، ولكن قول الطغرائي أحوط وأشمل فيقول :

لا تأمن أحداً واحذر مكائدهم
وظن شراً وكن منهم على وجل

(١) ترميك : ترديك . ترى : ان . يرمى بالاهلاك : يقذف بها في المهلكات .

أما الشريف فيقول :

تحصن بسو الظن وابصر بحالك

واحذر جليس ضايع الراي يعميك^(١)

والمعالي لها عشاق يطربون لها ، ويخطبونها كما للعداري
كذلك ، وكثيراً ما نرى الشعراء يفوهون بعزوفهم عن الغيد
الحسان ، وينزعون إلى المكارم والمعالي ..

ففيصل بن تركي آل سعود لم يشتق قلبه لهن ، ولم يولع
بالدنيا وحطامها ولكنه أولع بكسب مكرمة ، أو العتب على
صديق فرط فيها :

مفهوم قلبي للرعايب ما اشتاق

أيضاً ولا همه لجمع الدنانير^(٢)

لكن من ربع عليها الردي ساق

عقب الجمایل انكروا نية الخير^(٣)

(١) أبصر بحالك : تفتن لتقلبات دهرك . ضايع الراي : ضعيفة : يعميك : يضللك .

(٢) مفهوم قلبي : ميله واتجاهه . الرعايب : جمع رعبوبة وهي المرأة هائفة
الخصر ثقيلة الأرداف طويلة القامة . ولاهمه : وليس همه .

(٣) من ربع : بسبب جماعة . الردي : التقصير . ساق : وجب . عقب الجمایل :
بعد الجميل . نية الخير : الصنيعة والحدود .

أما الكميت بن زيد فيتناول هذا المعنى ، ولكنه يريد
التخلي عن مظاهر الدنيا ، فقلبه معلق بفئة ، استولى حبها على
شغافه ، فطلق ما عداها ، ولكن بأسلوب رائع جميل :

طربت وما شوقا إلى البيض اطرب
ولا لعبا مني . وذو الشيب يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب

ولا السانحات البارحات عشيّة
أمر سليم القرن أم مر أعضب

ولكن الى اهل المكارم والنهي
وخير بنى حواء والخير يطلب

وللشعراء مع الحمام أحاديث ، ينقمون عليه فيها هديله
وترجيعة ، فالبكاء لا يكون إلا من فقد إلفه ، أو عضته نكبات
الأيام ، وهو من ذلك براء ، فأبو فراس الحمداني قد عض القيد
رجله ، في غيابة السجن ، ويسمع بالقرب منه حمامة تنوح ،
ومن أولى بالنوح من أبي فراس ، وبالفرح والطرب من الحمامة ؟ !

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا لو تشعرين بحالي

ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا
تعالى اقسامك الهموم تعالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت مهموم ويندب سالي
ويطرق هذا المعنى محمد بن لعبون ، لطلل عهد فيه ملاعب
الصبا ، ومسارح الأنس ، أصبح قفرا لا أنيس به الا ما كان
من حمامة تصدح في افئانه ، وتندب على عيدانه :
يفز القلب فيها للصباحة
الى قامت حمامتها تغني (١)
توصيني لاهلها بالنياحة
يعود ان الحمامة خير مني (٢)
وأنا إن كان لى بالنوح راحة
فانا بنوح دهري ما أوني (٣)
وأنا منيب مثلك بالوقاحة
على ذا الطرق طرب وامتهني (٤)

-
- (١) فر القلب : تنبه . الصباحة : مكان . إلى قامت : إذا أخذت .
(٢) يعودان الحمامة .. تعريض بأن الحمامة خير مني أوني مني .
(٣) بنوح : سأنوح . ما أوني : ما أفتر .
(٤) منيب : لست . الطرق : المنوال والوتيرة . متهني : في هناة وهدوء .

ولا رجعت فن في براحه

على نبنوب غصن مرجحني^(١)

والشعر شמוש لا يروضه إلا من أوتي فيه الملكة ، وغذاها
بادمان الحفظ وجودة المحفوظ ، ثم صبر على اقتيادنا فره ،
وتذليل ناشزه ، وإذا لم تتوفر هذه الشروط ، فلنستمع إلى ابن
لعبون يلقي علينا درساً فيه :

لعاد منتب صيرف فيه حلحيل

ولحد عرف لك في طريقه مخول^(٢)

ولا تلم أطراف معناه بالحيل

ولا تحله باي قول تحول^(٣)

كم حاول امثالك بقل التماثيل

فالى عدل معوج قافه ترول^(٤)

(١) فن : صوت : في براحه : في مكان متسع . نبنوب : غصن نام . مرجحني :
مثقل بالثمر .

(٢) لعاد منتب : إذا صرت غير . حلحيل : حاذق . ولحد : ولا أحد . مخول :
مبرر .

(٣) أطراف : باطراف . بالحيل : بالأتقان . تحله : تدرك مراميه . تحول : تشكل .

(٤) بقل التماثيل : قرص الشعر . فالى : فاذا . قافه : قافيته . ترول : اعوج
وانكسر .

ووجه الشبه بينها وبين القطعة العربية المشهورة ظاهر ، إلا أن
هذه تخاطب شاعراً ، وتلك تتحدث عن الشعر من حيث هو ،
والمؤدي واحد :

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعر به فيعجمه

وما شيء يختبر به عفاف الإنسان أعظم من المرأة ، فهي
المغناطيس لقلوب الرجال ، وكلما كان جمالها أكبر كلما زادت
جاذبية مغناطيسها ، حتى لتصبى ذوي الدين والحج ، إلا من
عصم ، يحدثنا سليم بن عبد الحى عن محبوبته (وقد تكون في
نظره فقط) فيقول :

لو شافها اللي طب في حفوة الحج
خطر يعوقه عن هواه العجيبى^(١)

كما قد تناول هذا الموضوع أمرؤ القيس ولكن بأسلوب
غزلى رقيق :

(١) لو شافها : لو رآها . اللي طب في حفرة الحج : الذي نزل في المنخفض الذي
تحت باب الكعبة . خطر يعوقه : جدير أن يصرفه عن حجه وطاعته .

تعلق قلبي طفلة عربية
تنعم بالديباج والحلي والحلل
لها مقلة لو انها نظرت بها
إلى راهب قد صام لله وابتهل
لاصبح مفتونا معنى بحبها
كأن لم يصم لله يوما ولم يصل
وفرص العمر تمر مر السحاب ، ويوصى الشعراء باهتبالها ،
يقول القاضي :

الى حصل لك ساعة وانت مشتاق
فاقطف زهر ملاق والعمر ملحوق^(١)
فهو يصف هذه الفرصة بالزهرة ، في نضارتها ، وحسنها ،
ورائحتها ، ولا بد أن يأتي عليها يوم وقد ذبلت ، أما الشاعر
العربي فهي أقل في نظره من عمر الزهرة ، واسرع تحولا منها ،
فهى كالنسيم العليل تلتذه وتستنشقه ، وسرعان ما يهدأ ويسكن :
إذا هبت رياحك فاغتنمها
فان لكل خافقة سكونا

(١) الى حصل لك : إذا حصل . ملاق : ملاق . العمر ملحوق : مدرك .

والعقل مهما كبر ليس له دخل في كثرة الرزق ، بل هو
بقدر ومشيئة ، لهذا يقول القاضي :

وكم عاقل به حاذق ، رأس ماله
عقله ، وكم بهلول ، عقله جمع مال^(١)
وقد طرق هذا المعنى كثير من شعراء العرب ، يقول أبو
تمام :

ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا
هلكن اذا من جهلن البهائم
ويقول الآخر :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
ولم يكن هناك دليل تعرف به عدوك المتملق ، اصدق من
عينيه ، يأخذ هذا المعنى القاضي فيقول :

وترى بوجه اللي يودك دلالة
وضده بمن يكره تراهن بالاغزال^(٢)

(١) به : بها أى الدنيا . رأس ماله عقله : مبتدأ وخبره . بهلول : ناقص العقل .
عقله جمع مال : مبتدأ وخبره .

(٢) وترى : ان . اللي يودك : الذي يودك . تراهن بالاغزال : ترى هذه الدلالات بالعيون .

والشاعر العربي يقول :

والعين تعرف من عيني محدثها
ان كان من حزبها أو من اعدائها
ولهن ولع وميل إلى ريق الشباب ، ونضارته ، وعزوف
وترفع عن المشيب ومرارته ، يأخذ هذا المعنى ابن عفالق (*)
فيقول :

(*) هو سليمان بن عفالق من أسرة آل عفالق ساكني الاحساء . ويعد من شعراء
الاحساء المجيدين وقد عاش في زمن محسن الهزاني وكانت له معه مساجلات ومدائح .
قال في قصيدة بعث بها إلى محسن :

عجا ضمير من ربع الاوطان رايحه
لها لاعج من فايح الشوق فايحه
خفاف المواطي سالمات من الحفا
برى جسمها ما صابها منه جايحة
إلى أن قال :

جميل النبا ذرب البنانين محسن
سميح المحيا أبلغ الوجهه فالحه
فأجابه محسن بقصيدة طويلة منها :

لها من برى هجر عبير سرى بها
نسيم فأحييا ميت في نوافحه
كتمت الهوى جهدي فأبدت صباقتي
زواعج دموع فوق الاوجان سافحه

توفي حوالى عام ١٢٤٥ هـ .

واصلننى يوم اننى كنت امرد
واقفن عنى يوم بالشيب لزيت^(١)
ويطره علقمة بما هو أنصع بيانا ، وأصدق لهجة :
فان تسألونى بالنساء فاننى
خبيـر بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرأ او قل ماله
فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرح الشباب عندهن عجيب
وعيشة البادية على ما فيها من شطف العيش وخشونته
محببة إلى أهلها ، فهم دائما يحنون إليها ولو نقلوا الى خفض
العيش ووداعة الترف ، لذا كان الحوار بين محمد بن مسلم
الحضري ومحبوبته البدوية ، يحوم حول هذا المعنى :
حلفت لو اعطى الحسا مع خراجـه
عليّ ببيان الحضـر ما يصكون^(٢)

(١) اقفن عنى : انصرفن عنى : يوم بالشيب لزيت : لما وخط الشيب فودي .

(٢) بيان : أبواب . الحضـر : سكان المدن . ما يصكون : ماتلق .

عندي احب من القرع مع دجاجة
هم مجاهيم بالاقفار يرعون(١)

واحب من لبس العبي والعلاجه
شاوية شقرا بها الشوك مدفون(٢)

ومن الحلو عد كثير هماغه
اكرع براسي فيه من غير ماعون(٣)

ومن البدو جلف يربي نعاجه
ولا سماقي من الورس مدهون(٤)

(١) القرع . الدبا : مع دجاجة : يطهى مع الدجاج . هم مجاهيم . مبتدأ مؤخر
خبره (عندي) الهم جمع هيماء وهى الناقة الكبيرة الجسم ، والمجاهيم هى الابل السود.
بالاقفار يرعون : بالقفر ترعى .

(٢) العبي : جمع عبادة . العلاجة : العلاقة : حلية تلبس في العنق وغيره بالخير
لأن لهجتهم العامية تقضي بذلك . شاوية : نوع من العبي الرخيصة بها الشوك مدفون :
مملوء بشوك الحسك والهراس .

(٣) الحلو : القراح . عد : مورد . كثير هماغه أجاج . أكرع برأسى : اعب
برأسى . من غير ماعون : من غير إناء .

(٤) السماقي : الرجل الطويل الابيض . الورس : نوع من الطيب أصفر كانوا
يتضخمون به فيقلب بشرتهم وثيابهم صفراء .

كل يدور رغبته في زواجه

والبدو ما للحضر يوم بيبغون^(١)

ويشبهه تماماً قول ميسون بنت بحدل ، امرأة معاوية بن

أبي سفيان ، حيث تقول :

لبيت تخفق الارواح فيه

احب الي من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني

احب الي من لبس الشفوف

واكل كسيرة في جنب بيتي

احب الي من اكل الرغيف

وخرق من بني عمى نحيف

احب الي من علج عنيف

والشعراء يرون ان شعراً خالياً من المبالغة ، لا روح فيه ولا

اشراق ، ولو كانت هذه المبالغة بالغة حد الاغراق ، فالوصول

بالممدوح إلى حد إيقاف الشمس متى شاء ، واستئذانها منه

(١) كلن يدور : كل يبحث . عينته : جنسه . بيبغون : يريدون . ودخول حرف

الجر على الفعل من سننهم أحياناً .

لتغرب وتطلع ، سائغ في مذهبهم ، لذا ذهب ابن لعبون في مدح
ممدوحه إلى هذا المذهب :

ما عرجت شمس الضحى منه بغروب
الا وله من مطلع الشمس تأويب^(١)
ومن أولى بهذه المبالغة من أبي الطيب ، أستاذ المبالغات ،
فهو يقول في كافور :

ولا تجاوزه شمس إذا شرقت
إلا ومنه لها اذن بتغريب
وبكاء الاطلاع ، واستنطاق الدمن ، أمر معهود لدى الشعراء ،
ولهم وقفات عندها براً بمن سكنها وتذكر ألعهودها ، ويمعن
بعضهم فيقف وقفة من أضاع شيئاً ثميناً في تربها فجعل يبحث
عنه ، ومن هنا يقول القاضي :

واحترت فيها — كنى مذهب لي
قلادة قماش وانفرط ضاع بسهال^(٢)

(١) عرجت : مرت . تأويب : ارجاع .

(٢) احترت : تحيرت . كنى : كأنني . مذهب : مضل . قلادة قماش : عقد
لؤلؤ . ضاع بسهال : فقد في صحصح :

وقبله يقول أبو الطيب :

بليت بلى الاطلاع إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
وكثيراً ما يسلك الشعر مسلك الناصح الأمين ، فيحرك
القلوب ، ويستنفر الهمم إلى مكارم الأخلاق ، خذ - مثلاً -
قول سليم بن عبد الحى :

ما يحتظى بالمرجلة سائر الناس
والجود ما جادون بابه حراريس^(١)

أليس عجز البيت بمثابة تيار كهربائى ، يسري في كيان
الانسان ، فيوقظ أعصابه . وينبّه وجدانه ، ثم أليس هذا
يتفق تماماً مع قول الشاعر العربي :

إذا أعجبتك خلال امري ،
فكن هو تكن مثل من يعجبك
فليس على المجد والمكرمات
إذا جئتها حاجب يحجبك

(١) يحتظى : يخطف . المرجلة : الرجولة . سائر الناس : عامتهم . حراريس :

حراس .

والمعالي لا بد وان لها ثمناً . فيشخصه لنا ابن جعثن في
البيتين التاليين . قال :

طلب العلي ماهر ب زين السواليف
ولا بتسطير الحكي والدفافة^(١)

الا ببذل المال وارشاية السيف
والعلم والشيمة وكثر العفافة (٢)

كما طرق هذا المعنى أبو الطيب بما هو أجزل وأكمل وأنبل :
ولا تحسبن المجد زقا وقينة

فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتضريب اعناق الملوك وان ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك في الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء انمله العشر

ولطالما انخدع من انخدع بغنجهن ودلالهن ، فأطمعه ذلك

(١) زين السوايف : حسن القصص . الحكيم : الكلام . الدفاعة : ضرب الدف .

(٢) ألا يبذل : لكن يبذل : ارخاية السيف : الضرب به . كثير العفافة : كثرة

العفاف .

بهن ، وهن أبعد عليه من القبض على النجوم ، يصور ذلك ابن
جعيثن فيقول :

هيف هواهن الهوى والتكيف
ولا عندهن للي بغاهن مروفة^(١)
نظايف عن طرق الادناس وعفاف
راع الوعايد ماخذن من صروفه^(٢)
ويتناول هذا المعنى الشاعر العربي فيقول :
بيض حرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنى الاسلام
وعسى ولعل تدليه الضارع الوكل ، فما قضت هذه يوماً من
الدهر حاجة يأخذ هذا المعنى العوني فيقول :
ولا تدرك الطولات والمجد بالمنى
قولة عسى تدليه قلب فطيم^(٣)

-
- (١) هيف : جمع هيفاء وهى ضامرة البطن . هواهن : مرادهن . التكيف :
الكيف . للي بغاهن : للذي أرادهن بسوء . مروفة : رافة .
(٢) نظايف : لم تدنسنهن ريبة . عفاف : عفيفات . راع الوعايد : صاحب
وعود الخنى . صروفه : طرقه .
(٣) الطولات : المعالي . فطيم : طفل .

وقبله يصور هذا المعنى الشاعر الحماسى على بن مقرب
فيقول :

ولا تذكرنا عندي لعل ولا عسى
فما بعسى يقضى نجاح لطالب
وللصديق والصدقة حقوق كثيرة ، يحدثنا الشاعر محمد
بن مسلم عن بعضها فيقول :

من الراي سامح صاحبك لا تعاتبه
الى زل او ابطى بشيء تراقبه^(١)

فمن لا يسامح صاحبه عند زلة
خلاه صرف البين من غير صاحبه^(٢)

وقد طرق هذ المعنى شاعر عربي فقال :
فعش واحدا أوصل أخاك فانه
مقارف ذنب مرة ومجانبيه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

(١) سامح : ان تسامح . إلى زل : إذا أخطأ . تراقبه : ترقبه .

(٢) خلاه : تركه . صرف البين : فعل البعد .

والكريم إذا ضاقت به أرض رباً بنفسه وفارقها . وفي
ذلك يقول البديوي :

لا خير في ديرة يشقى العزيز بها
يمشي مع الناس في هم واذلال^(١)

عز الفتى رأس ماله من مكاسبها
يا مرتضى الهون لا عز ولا مال^(٢)

ويأخذ هذا المعنى ابن عثيمين فيقول :

فارباً بنفسك عن دار تذل بها
لو ان حصباءها در ومرجان

وهضاب اليمامة في سموقها وارتفاعها وجمالها وبروز كثير
من رعانها .. تشابه السيوف المصلّاة في أيدي الشجعان ، فيقول
في هذا راكان بن حثلين :

وخشوم طويق فوقنا كن وصفها
صقيل السيوف اللي تجدد جرودها^(٣)

(١) ديرة : بلدة . يمشي مع الناس : يعاشهم . إذلال : ذل .

(٢) من مكاسبها : من أطماع الدنيا . الهون : الذل .

(٣) خشوم : جمع خشم وهو الأنف والمراد هنا الرعان - شماريخ الجبال -

طويق : اسم جبل اليمامة . كن : كأن . صقيل : سيوف صقيلة . اللي : التي . تجدد
جرودها : يعاد صقل قديمها .

وقبله يقول عمرو بن كلثوم :

فاعرضت اليمامة واشمخرت

كأسياف بأيدي مصلتينا

وأوقات المرء ثلاثة ، وقت مضى وانقضى بخيره وشره .

ووقت هو فيه وهوله بحاله التى هو عليها ، ووقت مستقبل وهو

بغيب ما يدري ما خلفه ، وقد تعرض الشعراء عربهم ونبطهم

لذلك .

يقول راشد الخلاوي :

ترى ابرك ساعات الفتى ما بها الفتى

وما فات مات وساعة الغيب غايبه (١)

وقد تناول هذا المعنى الشاعر العربي فقال :

انما هذه الحياة غرور

والجهول الجهول من يصطفئها

ما مضى فات ، والمؤمل غيب

ولك الساعة التى انت فيها

(١) ترى ابرك : ان أشد بركة الأوقات . بها الفتى : متعلق بمحذوف تقديره

ما كان أو نحوه . مات : انتهى .

واسداء المعروف ، وتبادل الحسنى في هذه الحياة الدنيا .
أما الآخرة فلا ينفع أحد أحداً .. يطرق هذا المعنى الشاعر النبطنى
(جري) فيقول :

وان كان ما نفع الفتى في حياته
ترى النفع من بعد الممات قليل^(١)

وقد سبق ان طرق هذا المعنى شاعر عربي فقال :

كلانا غنى عن اخيه حياته
ونحن إذا متنا أشد تغانيا
ولا يخلو جيل من فئة سافلة مردولة ، كأنها موكلة بنقل
مساويء عباد الله لنشرها واشاعتها ، فهى كالذباب لا يقع إلا
على مواطن الداء .. يتناول هذا المعنى حميدان الشويعر فيقول :
تروي الخنى عني ولا تنقل الثنا
كتاتيب سو عن شمالى مراوسه^(٢)

أما الشاعر العربي فيقول :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً
مني ، وما سمعوا من صالح دفنوا

(١) نفع الفتى : من إضافة المصدر إلى فاعله .

(٢) ترى : إن . كتاتيب : جمع كاتب . مراوسة : محافظة . وفيه إشارة الى أن
الملك الذى عن الشمال يكتب السيئات !

وليس شيئاً أنكى من الصديق يقلب لك ظهر المجن ويناصبك
العداء وقد عرف من أسرارك واخبارك ما لم يعرفه العدو مما يجعله
يصيب مقاتلك وينكي جراحك ..

يتناول هذا المعنى الخلاوي فيقول :

احذر حريبك في الملا فرد مرة
واحذر صديق السوالف تحاط به

والعربي يقول :

احذر عدوك مرة
واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق
فكان أعلم بالمضرة

وقيمة نفسك رهن بك انت فانت وحدك الذي تستطيع ان
تفرض ثمنها على الناس فهي حيث تضعها .. يتناول هذا المعنى
الخلاوي فيقول :

ومن هان نفسه للملا هان قدره
حتى تراه الذل يسعى بغاربه

والقاضي الجرجاني يقول :

أرى الناس من دأبهم هان عندهم
ومن أكرمه عزة النفس أكرما
والحياة عند الخلاوي هي العز ، وإذا فقد الشخص فعلى
الحياة العفاء فيقول :

حياة بلا عز محا الله حظها
حياة الفتى ما فاتها العز خايبه
الذل داء للضواري يسلمها
كما سل داء السل معلوق صاحبه
فالحر يختار الفنى دون ذله
والموت أولى من ولات الزلايبه
وقبله يقول أبو الطيب :

ذل من يغط الذليل بعيش
رب عيش أخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام
وإذا كان الجود يأتي عن رهبة وذل فليس خليقاً بأن يسمى
جوداً .. يتناول هذا المعنى سعود بن مانع فيقول :

يهديه لاشرار مداراة شرهم
ومن بر خوف الشر فالبر ضايع

أما ابن المقرب فيقول :

لعمرك ما عز امرؤ ذل قومه
ولا جاد من يعطى عطية راهب

ولو ذهبنا نتبع هذه الناحية لطال بنا البحث . واستبد بنا
الحديث ، ولكن لعل في ما تقدم أصدق دليل على ما إليه
قصدنا ، ومن أجله عقدنا هذا الفصل ..

اتفاق المعاني والألفاظ

ونجد كثيراً من شعراء النبط ، قد تناولوا كثيراً من معاني شعراء الفصيح ، وألفاظهم . وإذا وثقنا أن تناولهم للمعاني في بحثنا المتقدم ، من مجرد توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر ، الا ما ندر . فهل يصح أن نقول هذا أيضاً بالنسبة لطرقهم المعاني والألفاظ معاً ؟ !

قد يخامرنا الشك في وقوع هذا الاتفاق عفو المصادفة ، لاسيما وشعراء النبطي كشعراء العربي ، يحرصون على طرق معاني ، وألفاظ غريبة على السامعين ، احتيالا على اجتلاب قلوبهم ، واستدراار ثنائهم ، في وسط كان الغريب فيه مستحسناً ، والسهل مستهجنأ ، وعندهم ان لا ضير في أن يستمد الشاعر النبطي من الشعر العربي ، بل قد يكون دليلا على مقدرته أن يكون له اطلاع على ذلك الشعر .

ولكن يحول بيننا وبين هذا الرأي أمران :

أحدهما بعد المحيط ، والبيئة ، والفهم ، بين هؤلاء الشعراء ومن وافقوهم في الشعر ، فيبعد أن نرى ربيب الفلوات

والقفار . يلم بشعر المتنبيء أو أبي فراس حتى يتأثر بهما .
ويسرق شعرهما . وتفاوت الزمن بينهما كبير . وندرة دواوين
الأدب إذ ذاك معهودة . والمشتغلون بالآداب العربية - إذ ذاك -
أندر من الكبريت الأحمر .

الأمر الثاني أننا نرى الشعراء العرب قد توافقوا في كثير من
المعاني والألفاظ ، ولم يجرأ أحد أن يقول إنهم قد سرقوا .
إلا ما قضت القرائن عليه أنه من باب السرقة .

فما جاء في البيت التالى :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

مع البيت :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلد

لم يسلك في عداد السرقات .

وكذا البيت التالى :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

مع البيت :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعرف

والبيت الآتي :

لعمرك ما أدري واني لأوجل
على أينما تعدو المنية أول

مع البيت :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
أفي اليوم أقدام المنية أم غد

كل هذا ما قيل عنه إنه سرقة ، فهل ما وقع لشعراء النبط

يعتبر من هذا الباب ؟

أو نقول إن ما وقع لشاعر حضري له بعض الالمام بالأدب

العربي - كابن لعبون - مثلاً - من القسم الأول ، ومالا ، فمن

القسم الثاني ؟

وما وقع للقسم الأول يكون من باب التضمين الذي هو

باب من أبواب البديع . وشعر النبط حافل به ؟ !

أرجح هذا الرأي ، شريطة أن ينطبق عليه حد التضمين ؟ !

ولنورد نماذج مما وقفنا عليه من هذا الباب ، وليكن محل
الشاهد بين قوسين :

يقول ابن لعبون - موافقاً امرأ القيس في شطر بيت :

ينشدننى يوم انتوي الكل برحيل

(هل عند رسم دارس من معول) (١)

ويقول أيضاً :

واقفى مصر كن جاكات شاله

(جلمود صخر حطه السيل من عال) (٢)

كما قد وقع لمحسن الهزاني إيراد هذا الشطر بكامله ، يقول
في احدي رباعياته :

وان زرفل المسوق وارخو لعنه

والجيش هربد والرمك يشعفنه

واهوي على ركن من الخيل كنه

(جلمود صخر حطه السيل من عال) (٣)

(١) ينشدننى : يسألننى . أنتوى . نوى . برحيل : باسكان الراء من أجل الوزن .
من معول : باسكان اللام على الاصل . تبعاً لروى هذه القصيدة .

(٢) اقفى أدبر . كن : كأن . جاكات شاله : جاكيت اسم حصان أو حمل .
شاله . حملة .

(٣) سبق شرح مفردات هذا البيت .

ولمحمد بن مسلم ببعض تصرف يسير :

(فان كنت في كل المشاحي مودب

رفيقك فما تلقا الذي ما تواد به)

والاصل العربي هكذا :

إذا كنت في كل الامور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ولمحمد بن لعبون موافقا لزهير بن أبي سلمى في شطر بيت :

(تبصر خليلي هل ترى من ظعائن)

تقازن بهم فوق الشفا من حزومها^(١)

وللبديوي الوقداني موافقا لحسان في بيت كامل :

(المال يحيى رجالا لا طباخ بها

كالسيل يحيى الهشيم الدمدم البالى)

ولحميدان الشويعر موافقا زهير بن أبي سلمى لفظا ومعنى

ببعض تصرف قال حميدان :

(انا ادري بعلم اليوم وامس بما جرى

وباكر بغيب والامور وقوع)

(١) تقازى : ضرب من السير . دون الحبيب وفوق المشي . الشفي : ما علا من

الحزون .

وزهير يقول :

وأعلم علم اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عمي

وللشاعر (جري) هذا البيت موافقا للشاعر العربي فيه :

(فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل)

وهذا البيت من قصيدة نبطية مطلعها :

يقول جري في حجا راس مرقب
رفيع الذري للرياح فيه زليل

شعر نبطى عـرـبـي

قد تكون ممن وقع له أن قرأ الشعر النبطى بلغته الفصيحة .
بقصد أو بغير قصد . فجره ذلك إلى لعشمة . وتردد . وتحطيم
لوزن البيت .. وأخيراً وقوف واستسلام .. ذلك أن هذا الشعر -
كما قلنا سابقاً - بنى على لغة عامية صرفة . فاذا خرج عن
نطاقها انهار بناؤه . وفست سحنته . ولكن ألا يصح أن يوجد
شئ من هذا الشعر قصد به العامية . وتقرأ بها . ثم تقرأه
بالفصحى فيسلس قياده . ويتفق معك شعراً فصيحاً سليم اللغة
والوزن .. ؟ !

هذا ما وقع . وما وجدناه في تضاعيف الشعر النبطى . وهذا
واقع عفو المصادفة . واللا ارادة .

ومن هذا نستنبط - أيضاً - نزوع الشعر النبطى - دائماً -
إلى العربى . كما قد أثبتناه في مناسبة مرت . ونذكر أن ثمة
صباغة من الفصحى لا تزال ثابتة للعامية الطاغية المتمكنة ..

ويوم تجد هذه البقية مدداً من أبنائها . بحيث تجد نفسها
في السوق . والمنزل . والمدرسة - استحسنانا في بعض الجهات
وواجباً في بعضها .. -

يوم تشق بعود المياه إلى مجاريها ، والفرع إلى أصله .
فهل لرجال التربية والتعليم أن يرونا شيئاً من هذا ؟ ! عسى
ولعل ..

واقراً معى هذه الشواهد باللهجتين ، ثم ارجع كل شاهد إلى
بحره العروضى ..

يقول محسن الهزاني يخاطب خليله من قصيدة نبطية جيدة :

خليلي قم لى فى دجا الليل بعد ما
جفا النوم عينى والبرايا هواجع

فاذا قرأته بلهجة فصيحة ، استقام لك وزنه ، ومعناه ،
ولغته . وإذا قرأته بلهجة عامية ، فهو بيت من قصيدة طويلة
تبلغ الثمانين بيتاً . وعند الرجوع إلى مطلع هذه القصيدة نجده
هو الآخر يقوم شاهداً على ما أردنا ، لولا ما فاته من حلية
التصريع ، وهاهو :

غنى النفس معروف بترك المطامع
وليس لمن لا يجمع الله جامع

ونمضى فى قراءة القصيدة نبطية صرفة ، حتى نقارب
نهايتها ، فنجد البيتين التاليين يتفقان مع سابقيهما لولا عيب
الاقواء ، والشاعر ليس له دخل فى ذلك ، وليس هذا يخل

بقصيدته كنبطية ، لأنه بناها - أصلا - على اسكان الحرف
الأخير ، الذي هو العين .. وإنما أتى هذا العيب حينما أردنا من
هذين البيتين أن يكونا فصيحين وبما لا يسلم لنا بعض
مفرداتهما ، كا (خايح) مثلا في البيت الأول :

إذا ما انقضى النيروز فيها وخوضت
مطافيل غزلان المهاكل خايح

سقاها الحياء في ليلة بعد ليلة
من المزن هتاف حقوق الروامع
أما بركات الشريف فيطالعنا في قصيدته النبطية التي
مطلعها :

عفا الله عن عين للاغضا محاربه
وجسم دنيـف وزايد الهم شاعبه
يطالعنا منها ثلاثة أبيات سليمة مستقيمة ، إلا من مغمز
أو مغمزين ربما لا يرضى عنهما المحقق . يقول :

إذا نبحتنا من قريب كلابه
ودبت من البغضا علينا عقاربه

نحنهـاه باكوار المطايا ويمت
بناصوب حزم صارخات ثعالبه

بيوم من الجوزاء يستوقد الحصا
تلوذ بأعضاء المطايا جخادبه

ونجد بيتاً لابن جعيش ملغزاً فيه للقلم أجاد فيه وأفاد :

ثم افتنى عن سائر ما يهتدي
وهو الذي تهدي الورى من رسمه

ولراشد الخلاوي :

ولا يد إلا يد الله فوقها
ولا غالب إلا له الله غالبه

وله أيضاً :

فلى من قديم العمر نفس عزيزة
أعصر على عصيانها بالنواجذ

وقوله :

مقام الفتى في منصب العز ساعة
ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتمنى تبلغ النفس حظها
ولا بالتبائي فاز بالصيد طالبه

ولأبي حمزة العامري :

تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا
وفروجنا تأبى عن الفحشاء

فشهرت رأس الرمح ثم ركزته
في المهرة المقذولة الشقراء
ولبركات الشريف أيضاً هذه القطعة الجميلة :

فلا تعذلاني عن وقوفي بربيعها
فمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي

أنا من ذوي عبد الحميد بن مدرك
ذوي الضرب في الهامات والنسب العالي

أروم الأمور العاليات بهمة
ويمنعني خذلان قومي وإقلالي

وجزت فجاج الأرض شرقاً ومغرباً
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بعد اجتهاده
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

إلى أن قال مادحا :

عزيز الحجا . بدر الدجا . ركن من لجى
إليه صدوق الواو والعين واللال (١)

فتى لا يرى الأموال إلا ودائعا
لديه سوى سيف ورمح وسر بال

وعدة بولاذ ولدن من القنا
وصفرا علنداة من الخيل مصهال

ولعرعر بن دجين :

جضيعى من الهندي مصقول صـارم
لما ناش من جشل العظام رمـاه

ولزامل الحسينى :

فما الحمد إلا من قديم غريزة
لنا دون كل العالمين سناه

(١) أى أنه صدوق الوعد . ويشابه هذا قول أبي الطيب :

تملك الحمد حتى ما لمفتخر في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
أى ليس لأحد حمد غيره .

ولرميزان (*) :

فحسن بن يعقوب بدا في جبينه
وحكم ابن داود بدا في شمائه

وله أيضاً :

انقل - وقيت - رسالة مكتوبة
ان الكتاب بيان عقل الكاتب

(*) هو رميزان بن غشام التميمي صاحب روضة سدير والشاعر المفلق والحكيم اللبق . فهو يعتبر - في زمنه - من أعلام الجزيرة وحذاقها .. وكان مع ذلك شجاعاً جريئاً استطاع بقوة عزمه ونفاذ حزمه أن يقيم سداً في وادي سدير ليصرف السيل إلى بلده رغم ما وقف دونه من صعاب دونها خرط القتاد . وهنا يقول :

حكرنا لها وادي سدير غصية بسيفنا إلى مرهفات حدودها
جرى لنا في مفرق السيل وقعة إلى حضرها مالك الله يعودها
إلى أن يقول :

بذرت الحساني في الحصاني وغرني
مصافي الحصاني عن مصافي يسودها

يا حيف يا شم العرانيين خلفوا
اراذل عميان تبي من يقودها

موت الفتى موتين موت من الفنى
وموت من اخلاف الذراري جدودها

ومن مات مرث من ذراريه مثله
فهو مثل نار جر عنها وقودها

قتله ابن عمه سعود بن محمد الهلالي عام ١٠٧٩ هـ .

ولمحسن الهزاني :

ابى الله ما يبقى من الخلق واحد
وكل نعيم ما سوى الخلد نافد
فلا تبتغى من غير مولاك مطلباً
فلا عنك يوماً يمنع الرزق حاسد
ولشاعر نبطى آخر :

ومن لا يرد الغيظ بالحلم زينت
له النفس حالات خبيث ورودها
حوى من جليات المعاني سمانها
وخلى المعايا للرزايا تعودها
إلى ان قال :

فلا حملت جرد السبايا متوجاً
ولا حضنت بيض النساء في مهودها
بأوفى جميل من معاني جميله
وأزكى يميناً بالملا في وعودها
ولابن عفالق :

منازل قوم من ذؤابة وائل
لهم شرف عال على من يناوحه

ولما جد القباني :

نديب على الدنيا شقا لو نديبه
على الدين ما مس النفوس عذاب

وقوله :

فما الناس إلا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا
وهذا شيء كثير ويكفى أن تعطينا هذه النماذج فكرة عن
هذه الناحية .

الوصف في الشعر النبطي

يحتل الوصف في الشعر النبطي مكاناً رحباً ، ويأخذ منه بقسط أوفى والوصف هو أكبر الأغراض التي طرقها الشعر سواء كان عربياً أو نبطياً حتى ذهب من ذهب إلى أن كل شعر فهو وصف ، بمعنى أن الغزل وصف للمحجوبة ، والمدح وصف للمدوح ، والهجاء وصف للمذموم ، والرثاء وصف لمحاسن الميت . وهكذا .

وهذا وإن كان يصدق على الوصف عموماً إلا أن ما اصطلاح على تسميته بالوصف هو من البروز والشهرة بمكان يميزه عن غيره من الأغراض الأخرى ، يقول (المبرد) - يعنى الوصف - : « باب كأنه لا آخر له » (١)

والوصف ، كما يقول عنه عبد العظيم قناوي - : « هو عندهم تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الانسانية تحليلًا يصل بك إلى الأعماق . » (٢) .

(١) (الكامل) ج ٣ ص ٨٧٨ .

(٢) الوصف في الشعر العربي ج (١) ص (٤٢) .

فهم يقسمون الوصف إلى قسمين :

١- وصف الظواهر الطبيعية .

٢- وصف الآثار الانسانية .

وكلا هذين القسمين طرقيهما شعر النبط وأوغل فيهما .
فأوصاف الغيث والسحاب وسبابس الأرض ، والفلوات ،
والرياض والأشجار ، والليل والنهار .. وغير ذلك من الظواهر
الطبيعية .. كلها تناولها الشعر النبطي .

كما قد تناول الشجاعة والكرم والمروءة ، والنجدة ، والحب
والهوى ، والناقة والفرس ..

كل ذلك وغيره من الآثار الانسانية . أبدى فيها وأعاد ..
وما أخال الوصف في الشعر النبطي من حيث دقة التصوير ،
وسمو التعبير ، وعمق التفكير ، يقل عنه في الشعر العربي !!
خذ - مثلاً - قول القاضي يصف نجم (المزم) عند
بزوجه :

يرفرف بنوره كل ما بان واختفى

كما عين عمهوج غنوج لعاشق^(١)

(١) يرفرف بنوره : يتماوج ويضطرب . كما عين : كأنه عين . عمهوج : ذات
جمال ودلال . غنوج : مريحة وخفيفة ظل . لعاشق : من أجل عاشق .

وهى ظاهرة مشهورة في هذا النجم ، كأنك تحسه في رأي العين يتماوج ويضطرب . وما اخال الفتاة اللعوب الغنجة ذات المرح وخفة الروح - وخصوصا في المجتمعات البدوية حيث تكون الفتاة على جانب من الانطلاق والتسامح البري .. مع الاحتشام والخفر .. ما إخالها مع عاشقها الغزل الا كذلك ، ترمقه بنظرات متقطعة ، وتصعد بصرها تارة : وتصوبه أخرى ، وتغضه تارة وتحذج به تارة ، وترىغه تارة .

ولا تنس ما (لعمهوج) مع (غنوج) من الموسيقى الشعرية .
ويبدع رميزان في وصفه للحراي ، رمضتها حرارة الأرض ،
فامتطت أعالي الصخور والأحجار ، تتنسم الريح ، وتومىء
برؤوسها لطلب النسيم .. يصفها بمؤذنين في مآذنهم يحركون
رؤسهم بالأذان :

وحرايل بالقيظ تومى روسها

خوف اللظى ينجال عن مهمارها (١)

الى حميت الرمضا مقايلاها الحصا

شروى مطاوعة بروس منارها (٢)

(١) حرايل : جمع حراء . خوف اللظى : مخافة الحرارة . ينجال : ينجلي .

(٢) مقايلاها : جمع مقليل . شروى : مثل . مطاوعة : منتسبين لعلوم الشريعة والمراد هنا المؤذنون في رؤوس المآذن .

أما بركات الشريف فيصف بعض المعارك . ويصور ما يتطاير
من ريش الرماح بغربان اجتمعت على دمنة دار تو ما خلت من
أهلها . فهو يصف هذا الريش بهذه الغربان في طيرانها ووقوعها
واقبالها وادبارها :

وريش القنا حومه كغربان دمنة

على رمم بين السمايين قاطبة^(١)

ويصف ابن لعبون اندفاع براعم الكلاً المشتبك ، بالمخاط
في حديثها واستقامتها فيقول :

قفر كلاه أنبوب ساق على أنبوب

زرق العسق بحماه مثل المغاليب^(٢)

ويصف ابن سبيل نجيباً بقطاه لمحت عقاباً ففرت مخلوعة
اللب فلاقت إعصاراً ساعدها على الطيران مع كون القطاة من
أسرع الطير طيراناً :

(١) ريش القنا : ما يتخذ حول نصل الرمح منه . حومه : طيرانه . دمنة : معهد
الترجلين . رمم : جمع رمة . السمايين : المراد السماء والأرض ففيه التغليب .

(٢) كلاه : عشب أنابيب بعضها فوق بعض . زرق العسق : اندفاع البراعم .
المغاليب : المخايط .

يجفل إلى زول مع الحزم زيلان

ما يدركه بالمشى رقط الجناح (١)

يشدي قطاة طالعت حوم عقبان

صرت وصاعتها هبوب الرياح (٢)

ويفتخر راكان بن حثلين بقومه ويصف مظهرهم الحربي
بمزنة - سحابة حمراء - لها هزيم بالرعد وتسكاب بالمطر ولكن
رعداها هو صوت البارود ومطرها هو الرصاص وبرقها هو تلامع
السيوف . وينتقل إلى وصف الرماح فيصف شباتها بالسن كلاب
الصيد أمعت في العدو خلف الفريسة حتى نهكت فأخرجت
ألستها من شدة الإعياء :

فان جر حربي علينا جريرة

صبرنا عليه الين نقوى ردودها (٣)

(١) يجفل : ينفر . زول : بتشديد الواو بدا المرئي من بعيد زيلان : جمع زؤل
وهو الشبح البعيد . رقط الجناح : الطيور السريعة الطيران .

(٢) يشدي : يشبه . طالعت : أبصرت . حوم عقبان : تخليق عقبان جمع عقاب
وهو طائر من أبرز الخوارح . صرت : أومأت بطيرانها الشديد الصوت . صاعتها :
جنحت بها .

(٣) حربي : محارب . جريرة . جنداً كثيراً . الين : حتى . ردودها : كناية عن
الاحذ بالثأر .

فالى قويننا الرد نجزيه منزنة
حمرأً تزلزل في رهقها رعودها^(١)

رعدھا القھر ومصبب الدرج وبلھا
وحذب مقابيس البلى في حدودھا^(٢)

ومواصيل بارقاب القناكن وصفھا
ألا سين سلق متعبتها طرودھا^(٣)

وهذا وصف بديع جميل وفق إليه راكان .

ولم يعز على شاعر النبط أن يجد وصفا يصور فيه روادف
محبوبته ، ولكنه تصوير بديع ، ووصف حسن .. فهو يصفها
بدعص رمل قائم ، تجرد من النبات ، وسلم من الاثر واللمس ،
ثم أصابه وابل ، أشرقت عليه الشمس بعده ، فبدت شقوته ،
وصفا لونه ، وطاب منظره :

(١) فالى قويننا : فاذا اقتدرنا . منزنة : المراد ملمومة من الخند كالمنزنة في رعودها
وجلبتها : علا صوتها . رهقها : اخافتها . رعودها : جمع رعد .

(٢) القهر : البارود . مصبب الدرج : معبأ الرصاص . وبلھا : وابلھا . حذب :
جمع احذب وهى السيوف . مقابيس البلى : مفاتيح الشر .

(٣) مواصيل : جمع موصولة وهى سنان الرمح . كن وصفھا : كأنھا . الاسين
سلق : السنة كلاب الصيد جمع سلوقي . طرودھا : طرائدها .

الردف طعس يا على ما وطى به

غب المطر شمس العصير شرقت به (١)

وأعتقد أنك قد وجدت معى في هذه النماذج صوراً وأخيلة
لم يكن في حسابك أن تجدها في شعر النبط .

أما ما يطرقه شعراء النبط من أوصاف لأشياء قل أن يخلو
منها شعر شاعر كوصف الغيث والناقة ، والفرس .. وما إلى
ذلك ، فسوف . نجتزئ منها بما يسمح به المقام . .

يقول محسن الهزاني يصف السحاب والغيث ، وهو أحسن
وصف وقفت عليه في هذه الناحية في الشعر العربي والنبطي .
يقول :

خلاف الجفى والهجر واليأس والرجاء

بالاقدار يسقى دار واد المجامع (٢)

سبعة أسابيع على يوم ثامن

بنجم الثريا ثم بالصرف تابع

(١) طعس : دعص وهو كثيب الرمل القائم . ما وطى به : لم يؤثر فيه المشى .
غب المطر : بعده .

(٢) خلاف : بعد . بالاقدار : متعلق بيسقى . وادي المجامع : الحريق وهى بلاد
بني هزان إلى اليوم .

بنو عريض حالك اللون مظلم
منه الفرج يرجى إلى شيف طالع^(١)

لكن ربابه حينما ينثر السدى
جنح الدجا ريلان صم المسامع^(٢)

نهاره كما ليل بهيم وليله
نهار من إيضاح البروق اللوامع^(٣)

إلى ما غشا وقت العشا بعد ما نشى
حبا له من المشرق نسيم الذعاذع^(٤)

حباذا الى هذا وهذا رفالذا
وهذا لهذا بالموازين تابع^(٥)

(١) بنو : بسحاب . إلى شيف : إذا روى ناشيء .

(٢) لكن : لكأن . ربابه : قطع السحاب البيضاء ترى في حالك سواده . السدى : هو خلاف المزن وهو ما يتمدد في الأفق أمام غليظ السحاب وكأنه بمثابة سدو البرد والمزن لحمته . ريلان : جمع رئل ولد النعام . صم المسامع : النعام .

(٣) كماليل : كليل . من إيضاح : بسبب اشتعال البروق اللامعة .

(٤) إلى ما غشى : إذا غشى الجو . حبا له : تصدى له وهى هبوب الصبا المشهورة بالقاح السحاب . الذعاذع : الهوى بين الرخاء والزعرع .

(٥) حباذا : المراد السحب المتفرقة ، الموازين : المقادير :

وزلزل وعزل به رباب ونزل
بسجر وزجر مثل ضرب المدافع^(١)

وخيم كما الحندس وغيم وديم
الى حيث ما يبقى بالاطوان جاضع^(٢)

وصكب وسكب ثم بالغيث ركب
وغطى ما وطا منه الوطا والمرافع^(٣)

وثور غبار الارض من ضرب ودقه
وضجن منه الجازيات الروائع^(٤)

بسيح وتسكاب إلى حيث ما يجي
له الحول والما في خباريه ناقع^(٥)

(١) زلزل : دمدم صوته . عزل : حل عزاليه والمراد شدة المطر . سجر : امتلاء .
زجر : ارتفاع صوت الرعد .

(٢) خيم : أصبح كالخيام . كما : كمثل . الحندس : الظلام . غيم : حجب
الشمس : ديم : انهمر . الى حيث : حتى . جاضع : مضطجع .

(٣) صكب وسكب : بمعنى دام تسكابه . وركب : لم ينتظر اقلاعه . الوطا :
المنخفض من الأرض .

(٤) الجازيات : الطباء . تجتزىء عن الماء تهجر شربه . الروائع : الراتعات .

(٥) خباريه : ملازمه .

ويقول بن لعبون :

يا مال هطال صدوق حقوقه

مترادف مبناه طاق على طاق (١)

يفتل نداف الطها من طبوقه

مثل النعام ان ذارها زول تفاق (٢)

ترفي مريضات النسائم فتوقه

يشبه كما ليل على الصبح ينساق (٣)

تفتّر عن مثل الدحاريج موقه

أربع ليال مدلجات على ساق (٤)

ولابن جعيشن :

ياالله بنو للرعء به زلازِيل

ينشى من القبلة صدوق خياله (٥)

(١) يامال : ليصبها . هطال : دائم المطر . صدوق حقوقه : منهزم مطره بشدة .

طاق على طاق : طبقة على طبقة .

(٢) يفتل : يبدو . نداف : هو نافش القطن . طبوقه : طبقاته . زول تفاق : شبح قانص .

(٣) ترفي : ترفو . مريضات النسائم . هادىء النسيم . يشبه كماليل يشبه : ليلا .

(٤) تفتّر : تتمايز : مثل الدحاريج : كقطع الحجارة الكبيرة . موقه : عيونه على

ساق : متتابعات .

(٥) ياالله بنو : أسألك سبحانه . زلازِيل : صوت أجش عظيم . من القبلة وهى التى

يأتى السحاب من قبلها . صدوق خياله : غير خلب .

وايلي انتهض ساق السدى بالهمايل
مثل النعام إلى تزايد جفاله (١)
وللعريني :

سقوى الى حقت علينا السحابة
واخضر كل معذر من هضيبه (٢)
نونواه الحي ممانوي به
لين ايست منه الخلايق يجيبه (٣)
لكن رعاده برايد سحا به
طابور مصري دنا من حريبه (٤)
عله من البرة إلى اقصى اللهابة
واللي حدر منا يجيهم جذيبه (٥)

-
- (١) وايلي انتهض : وإذا ارتفع . الهمايل : الشآيب . جفاله : نفاره .
(٢) سقوى : سقيا . الى حقت : إذا انهل مطرها بشدة . كل معذر : كل سفع جبل . من هضيبه . مما ينحدر عليه .
(٣) نواه الحي : تمناه . لين ايست : إذا يئست . الخلايق : الخلق . يجيبه . يأتي به الله .
(٤) لكن : لكأن . رعاده : رعه . برايد سحابه : في جوانبه .
(٥) عله : لعله . البرة قرية من قرى اليمامة وهي بلاد يحي بن طالب الشاعر العربي المشهور . وبلاد عبد العزيز بن عيد الملقب (بالعزي) الشاعر النبطي . اللهابة : منهل شمال الصمان . من المناهل الطويلة العمق . واللي حدر : والذي انحدر شرقي اليمامة . يجيهم جذيبه يأتيهم سيله بدون ان يمسه مطره .

عسى على الخمرة تمويه ربابه
يسقى لنا ذيك الفروع النجيبة (١)

ومزيرعة مجهم شجرها لوى به
خلى صريع الطلح ما يلقي به (٢)

حتى قري عبيد ملى شعابه
ما جاب في عصر الطرب له يجيبه (٣)

وديارنا اللي في ملاقي شعابه
يرجع لها عقب الشهابه عشية (٤)

(١) الحمرة : احدى الشعاب الكبار تنصب في وادي حنيفة من أعلاه . تموه : انقلب ماء ذيك الفروع النجبية : تلك الشعاب الحميلة .

(٢) مزيرعة : أحد شعبي وادي العمارية ، والثاني اليسرى . وهذا الوادي ينصب في وادي حنيفة . مجهم شجرها : كبيره وكثيره . خلى صريع الطلح : ترك ما انصرع من هذا الشجر لا وجود له .

(٣) حتى قري عبيد : قري بضم ففتح تصغير قري بفتحتين وهو المنبسط من الأرض يجري معه السيل بدون ان يجرحه : والمراد هنا قري الملقى مسقط رأس مؤلف هذا الكتاب .

ملى شعابه . ملأها . ما جاب : ما أتى به . عصر الطرب . عصر الخصب .

(٤) اللي : التي ملاقي شعابه . ملتقاها عقب الشهابه . بعد الاشهباب . عشية : ذات عشب .

وادي حنيفة مدحبل الرجابه

جمه على الطيه يخضه عسيه (١)

حتى النخل يشتاقي حتى مشى به

باطراف سباحته تنوح الربيبه (٢)

ولهم في وصف الناقة شئون وابتكارات ، توارثوها خلفاً عن

سلف . ومن أحسن من وقفت له على شعر فيها العوني . قال :

ودنيت هجن يقربن المحاويل

هوج هجاهيج هجان نحایل (٣)

(١) وادي حنيفة : هو أكبر أودية اليمامة ، وهو موطن بني حنيفة ويمتد من ثنية الأحيسي الى الدهناء مما يلي الخرج . مدحبل الرجابه : مدلاهله جبل الرجاء فيه . جمه : جمامه . الطيه الواحدة من طى البئر . يخضه : يحركه والمراد أن جمام هذا الوادي بعد هذا السيل قد قفز إلى أعالي الآبار حتى لتحركه عشب النخل .

(٢) حتى النخل : لاجل أن النخل .. الخ . سباحته : طيات العشب بعضها فوق بعض . الربيبه : الحمامة ذات الغناء والنوح .

(٣) دنيت : أدنيت . هجن : ابل سريعة . المحاويل : جمع محال وهي السير بالمفازه من الأرض ليس بها ماء . هوج : جمع هوجاء وهي الخفيفة المضطربة ، وهي صفة محمودة في الإبل . هجاهيج : سيرهن صلف . هجان : كريمات . نحایل . ناحلات من كثرة السير .

قلايص عوص صعاصع شمالييل
من سلسلة نسل السباق السلايل^(١)

علاكم تطرب قلوب المراسيل
خفقات طفقات صلاب جلايل^(٢)

ولابن لعبون :

هجن هجاهيج بري حالها الدوب
من كثر ماراحن وماجن مناديب^(٣)

ينفى مناسمها الحصا تقل حالوب
غادر شبوبه ساهرات النحاحيب^(٤)

-
- (١) قلائص : جمع قلوص وهى من الابل الطويلة القوائم الفتية . عوص : جمع عوصاء وهى الناقة الشديدة . صعاصع : مضطربات . شمالييل : خفيفات . نسل السباق . السلايل : وهى الاصاله في الابل كالعمانيات والمهرية والحرائر .. الخ .
- (٢) علاكم : جمع علىكوم وهى الناقة الصلبة . تطرب : تفرح . المراسيل : الرسل . خفقات طفقات : حذرات نافرات . جلايل : كبار الجسوم .
- (٣) الدوب كثرة المشي : راحن وجن : أقبلن وأدبرن . مناديب : تحت الرسل .
- (٤) تقل حالوب : كشأبوب البرد . غادر شبوبه : ترك شبوبه — قطع البرد الصغار — ساهرات نحاحيب : السحاب يسري في الليل له هزيم ودمدمة . يصف الحصا تنفيه مناسم هذه الناقة الشديدة على حفا في الطريق بالبرد تركه هذا العارض من السحاب وهو وصف بديع .

ولمحسن الهزاني :

فج المرافق كنهن الهراجيل

لين المقاود ناحلات الخفاف^(١)

من سبعة اعوام وهن كنس حيل

ما لمسن عن سوج عوج الظلاف^(٢)

هجاهج يستبعن المخاييل

ودوارب في نشر طي الفيافي^(٣)

والفرس كالناقة في احتفاء العربي بها ، والتفنن في وصفها..

يقول راكان بن حثلين :

على جواد مثل ظبي الرمال

مثل العنود الى ترب العثامير^(٤)

(١) فج المرافق : واسعة ما بينهما . كنهن : كآتهن : الهراجيل : الطوال من الناس والضخام من الإبل . لين المقاود : داربات مروضات . ناحلات الخفاف : من كثرة السير .

(٢) كنس : ضامرات . حيل : لم يحملن . ما لمسن : ما تحسست ظهورهن عند تأثير الأقتاب فيها . سوج : جرح . عوج الظلاف : الاقتاب :

(٣) يستبعن المخاييل : يتبعن آثار المطر لير عينه . دوارب : مرنات .

(٤) العنود : قائدة الظباء . العثامير : جمع عثمور وهو الدعص من الرمل تألفه الظباء . ترب : تألف .

العنق عنق الى شطنها الغزال

واذنين مثل مفلقات الكوافير^(١)

وذرعان مثل ملحيات السيالي

وسيقان مثل مهدفات النواعير^(٢)

وحجبانها عدت بنوق الجلال

والغارب اشعى مثل رسم على بير^(٣)

والقين ما عدا على اربع قفال

وحوافر يزهن سدوس المسامير^(٤)

(١) العنق .. أى كان عنقها عنق ظبية ترقب ولدها من بعيد . شطنها : عاقها .
أذنين : أذنيها . مفلقات الكوافير : طلع النخل في أغلفته .

(٢) ذرعان : ذراعاها . ملحيات السيالي : نوع من شجر البادية لحي عنه قشره
فجاء أبيض يققا : سيقان : ما بين الركبة والحافر للفرس . مهدفات النواعير : مقوسات
الخشب تجعل على سطح البئر تحمل البكرة والدلو ، فكأن ساقى هذه الفرس في تقويسهما
وطولهما هذا النزع من الخشب .

(٣) حجبانها : الشعر في جفن الفرس . عدت : تجاوزت . بنوق : مكان ربط
الجل . الجلال : الجل . اشعى طويل .

(٤) القين : مؤخر الحافر . ما عدا : ما تجاوز . أربع قفال : أربعة أصابع مضمومة
إلى بعضها . يزهن : تزدان . سدوس المسامير : المعدة لربط حذاء الفرس في حافرها .

وكنه الى منه زواها الجفال

قرناس اهوى من رفيع المواكير^(١)

يبكى عليها جل ذود متالي

الى نشى الوسمى مزونه مزابير^(٢)

كم قلطتهن صوب زين المفاالى

في خايح عقب المطر ما بعد زير^(٣)

الى غدا الصمان مثل الزوالى

وزافت جويات الهمل بالنواوير^(٤)

ويقول أبو حمزة العامري :

لم تلفنى إلا على يعبوبة

نوطا العنان مشبوحة العلباء^(٥)

(١) كنه : كأنه . إلى منه : إذا هو . زواها الجفال : النقور . قرناس : الصقر
نسل ريشه وخرج له ريش جديد . المواكير : جمع ماكر وهى وكن الطير .

(٢) جل ذود : كباره . متالي : تتلوها فصلانها إلى نشى الوسمى : إذا نشأ أول
مطر الربيع . مزابير : كأنها الجبال .

(٣) قلطتهن : قدمتهن . زين المفاالى : جميل المرعى . خايح : ملتف الثبت .
عقب المطر : بعد المطر . ما بعد زير : لم يزره أحد .

(٤) إلى : إذا . الصمان : مربع من مرباع العرب الشهيرة : فله ما أجمل نبتة
وأحسن نواره وأطيب رائحته ، الزوالى : البسط تعمل من الصوف الملون بالألوان
الحميلة المختلفة . زافت : اختلفت نوارها . جويات : تصغير جيان وهى مواضع
جميلة في الصمان : بالنواوير : بالنوار

(٥) يعبوبة : كناية عن الفرس الطويل . نوطا العنان : طويلته ، مشبوحة العلباء : ناشزتها .

ما يقدر الرجل القصير يعنها
الا أن يكون لها على سنداء^(١)

شبهت منخرها ككوب عيلم
فحش عليه المايح الرواء^(٢)

هي الاوله حد الورود وصدرها
خلف السبايا كنها عرجاء^(٣)

ويقول بركات الشريف :

قصير قينها واف جماها
كبيرة راس صهوتها رفيعة^(٤)

معارفها كما بسلة حرير
وذاث مناخر جلغ وسيعه^(٥)

(١) يعنها : يقلدها الشكيمة . على سنداء : على مرتفع من الأرض .

(٢) كوكب عيلم : مثل النفق ينبع منه الماء الثر في بر غزيرة الماء فحش : فرق رجليه . علي شفيرها . المايح الرواء : جاذب الدلو .

(٣) الاوله : الاولى . حد الورود : وقته . السبايا : جماعة الخيل . كنها : كأنها .

(٤) قينها : مؤخر حافرها . جماها : هيكلها . كبيرة رأس : رأسها كبير وصهوتها مرتفعة .

(٥) معارفها : شعر رقبتها . بسلة : قبضة . جلغ : مخوفة . وسيعه : واسعة .

وحار كها كما ذيب مويق
 على الرعيان ضار بالفديعة (١)
 لها صدر وسيع الشبح رحب
 منفجة حواجبها تليعة (٢)
 منتجة الفلا من خيل نجد
 طفوح الجري لينة الطبيعة (٣)
 الى ما سمعت صوت المذير
 تنط عيونها كنه خريعة (٤)
 وهكذا وصف المجاهل ، والوحش والليل ، والهواجر ،
 ونحوها .. مما حفل به الشعر النبطي ، واحتفل به ناظموه !

-
- (١) حاركها : مجمع كتفيها . كما ذيب مويق : مثل ذئب مطل يرتقب غفلة
 الرعاة ليشب الرعيان : جمع راع . ضار بالفديعة : قد ألف السطو والحديعة .
 (٢) وسيع الشبح : واسع الهيكل . منفجة حواجبها . واسع ما بينهما تليعة :
 طويلة .
 (٣) منتجة : مهذب أصلها . من خيل نجد : ومنها تنمى السلالات العراب طفوح :
 ساحة .
 (٤) المذير : النذير . تنط عيونها : تبرز عيناها وتمتعص . كنه خريعة : كأنها
 مخلوعة اللب .

الفنل في الشعر النبطي

واذا كان الشعر ذوب الضمير ، وقبس العاطفة . وعصارة الوجدان .. تلقفته من مؤثر خارجي فتفاعلت معه . وانعكس على صفحتها اشعاعا روحانياً . تبرزه الحرارة . ويتمثل في النبرات الموسيقية . والنغم اللذيذ . وكل ما كان هذا المؤثر الخارجى ذا فعالية أكبر ، ونفوذ إلى العاطفة والوجدان اقوى .. كلما قويت الطاقة المولدة للشعر وقذفت به في قالب أنبل وأكمل

وغنى عن الدليل أن نذهب إلى أن ابن الصحراء يبرز سواه من حيث شفافية الاحساس وقوة الشعور . وتوقد العاطفة . وصفاء الذهن .. وهذه هى الأدوات الممغطة اللاقطة للجمال . والمتأثرة بحرارة الوجد ولوعة الهوى . وشقاء الحرمان ، في وسط يدين فيه ابن الصحراء بفضيلة العفاف ، ويؤمن بنزاهة العرض . ويتحلى بنقاء الإزار .. وما مذهب بنى عذرة إلا مذهباً لاخوانهم - عرب الصحراء - وإن حملت الاسم تلك العشيرة . وما قول إحداهن : « أو تنزى الحرة ؟ ! » إلا رجعا لما يسود بيئتها ويتجلى في مجتمعا ..

فمن أين للعربي متنفس ما بين هذين المؤثرين الكبيرين
إلا أن يذيب مهجته ويتنفس هذا الكبت شعرا يلتهب حرارة ،
ويذوب رقة ، وينطلق اشعاعاً . . ومن أجل هذا جاء الغزل في
الشعر - عربيه ونبطيه - في منتهى الجودة والاتقان .

ولعلنا باستعراض ما ندونه من نماذج نجد من الصور
والأخيلة والابتكارات مثلما نجده في الشعر العربي ، سواء بسواء .
خذ - مثلاً - قول ابن لعبون :

دار مى يوم مى لى تسن
سنة العشاق عونك ياعوين (١)

دارها يوم الازار مورسن
والهوى مياح ورداها خنين (٢)

غنجة العينين والخذ الحسن
والقوام ان قام عود الياسمين (٣)

(١) مى : مية . عونك ياعوين : أسألك اعانتك يامعين .

(٢) الازار مورسن : يوم أزارها يفوح بالورس وهو خليط من الطيب يجعل في
جلايب العذارى . مياح : مياح . خنين : تفوح منه الرائحة الطيبة .

(٣) غنجة العينين : فيهما جمال ودلال . عود الياسمين : شجر طيب الرائحة وفي
أغصانه غضارة ونضارة ولين .

فهو يبكي دار مى . وبكاء الأطلال ديدن الشعراء ولكنه
يوقظ هنالك ذكريات لذيذة هى ماسنته محبوبته آنذاك من
العشاق . ولم يكتف بهذا بل ذيل : بعونك يا عوين . وهى
عادة تقال أو يقال مثلها عند استعراض الذكريات الجميلة .
ويصحبها أنه تزيد في مد بعض حروفها ليظهر فيها التحسر
والتوجع ..

ويتذكر بزتها يومذاك ، وكيف كان رداؤها وازارها ،
وشذا رائحتها وجمالها . ورواؤها ، ثم ما في عينيها من غنج
ودلال . فوق خد استبد بنصيب كبير من الحسن مع قوام
يخجل غصن الياسمين لدانة وسموقا ..

ثم :

تشكى الجفا من لابسات الخلاخيل

نجل العيون معسلا الاشافي (١)

الفاضحات بحسنهن القناديل

والذابحات بدلهن الزعاف (٢)

(١) تشكى : تشكو . الخلاخيل : حلية تلبس في السيقان ويكون لها رنين إذا
مشت لابستها . معسلات الاشافي : كأن في شفقتها أذيب العسل .

(٢) دهن : غنجهن . الزعاف : طارد الهوى .

من أهيف غض بحسنه تهاويل
والخد كنه بدر الانصاف صافي^(١)

عرفه سواة الليل غاد عثاكيل
له فوق منبور الردايف ردايف^(٢)

فلا بسات الخلاخيل ، ونجل العيون ، ومعسلات الاشافي .
أوصاف متباينة كلها من مقومات الجمال . ثم بقية أوصاف
القطعة من النور ، والفتنة والهيف ، والبضاضة ، وكثافة
الفرع مع سواده .. ثم الفاضحات ، والذابحات وتهاويل
الحسن .. وبدر الانصاف ، وغاد عثاكيل ، ومنبور الردايف
رادف . . تعابير موسيقية ، وجمل شعرية .. فيها الجاذبية
والرواء .

وقد يطغى الحسن في دعج وغنج بعضهن حتى تصبح مالكة
للعدارى . وهن ممالك لها .

ومع ذلك فله لحظ فتاك أين منه فتك المشرفي .

(١) غض : بض . تهاويل : عجائب وغرائب . كنه : كأنه . بدر الانصاف :
البدر ليلة تمامه . صافي : نقى لا قتر عليه .

(٢) عرفه : فرعه . سواة الليل : مثل الليل . غاد : صائر . منبور الردايف :
علها في انتصاب وقساوة . ردايف : سبحات بعضها فوق بعض .

وأحسن ما تشبه به الثنايا الدر ، وما يشبه به القوام . البان
أو الراك فيقول القاضى في ذلك :

ادعج غنج حط العذارى ممالك
والى مطى بسيوف الالفاظ فتاك^(١)

فتح زهر ورد الخدود المفاليك
والى تبسم واضح الدر باداك^(٢)

ما احلاه لقبل في تمدرية يغريك
يشبه قضيب البان او نبعة الراك^(٣)

واقراً مرة أخرى : ما احلاه لقبل .. ثم هل تجد ما أجده
من جمال هذا البيت وحلاوة نغمه .

واقراً له مرة أخرى كيف يستحيل حديث محبوبته إلى
سحر ، وسحر بابل أيضاً ، وكيف تنفرط درر الملاحاة من ظرفه
ولطفه .. ونهداه في استدارتهما وصغرهما يشبهان فنجاني قهوة

(١) أدعج : واسع العينين . حط : جعل . ممالك كأنهن اماء له من جماله .
الى مطى : إذا صعد بصره . الالفاظ : العيون .

(٢) المفاليك : الحميلات . والى تبسم : وإذا ابتسم . واضح الدر : مبتدأ خبره
باداك . ومعناه طالعك واضح الدر اثر ابتسامه .

(٣) لقبل : اذا أقبل . في تمدرية : في مشيته اللينة المتكسرة . يغريك . يفتنك .
نبعة الراك : غصن الراك . وهو شجر لين الافنان جميلها .

استدارا في لبة بدأت تظهر بها ملامح الفتنة وعرامة الانوثة ..
وهو ادعج العينين وفي دعجهما غنج وغزل فهو يجيد الفتنة
بهن ويشكل ملامحهن ليسبى اللب ويشغف القلب ..

ونطق تسلسل منه لى سحر بابيل

وملح يتله من عجارييف دله (١)

زمة نهوده مثل دور الفناجيل

في لبة له توها مستقلة (٢)

مثل الخليل بغنج دعج مغازيل

يرمش ويغزل لي ومر يتله (٣)

وكل ما وجد الغزل وجد الصد والحرمان . والهجر والتمنع .
- وأحب شيء إلى الانسان ما منعا - وأحر ما يكون التمنع حيث
يكون المثل والوعود المعسولة ، والاماني المطلولة ، ويزيد ذلك
حرارة إذا كان من فريد في جيله ، نادر في قبيله ليقول لنا
ابن جعيشن :

(١) سحر بابيل : سحر بابل وهو الذي تحدث عنه القرآن . ملح يتله : ملاحه
يحسن استغلالها . عجارييف : تشكل غنجه ودلاله .
(٢) زمة نهوده : بروزها . دور : استدارة . لبة : نحر . توها مستقلة : توها
بدأت طلائع الفتنة تتجسم فيها .
(٣) مغازيل : ذات غزل ونظرات فتانة : يرمش . ويغزل . ويتل نظرات
تشكل وتتفنن في الغزل والغنج والدلال .

مرتجهين بالمواصل ما يفيد

ضاحكات ميسرات بالوعود^(١)

وافيات الهرج والمطلب بعيد

ساعة يصفن وساعات صدود^(٢)

ابتليت بواحد منهن فريد

به حلايا من ظبيات النفود^(٣)

زاهي وسطه بفتري ما يزييد

والردايف والنواهد والجعود^(٤)

كاسيات الترف عن برد الجليد

فوق متن معزل الردفين سود^(٥)

وهل نستطيع أن نحكم لمعشوق ما بالجمال ما لم نصور

(١) بالمواصل : بالوصل . ما يفيد : ما يدرك بغيته . ميسرات : موسرات .

(٢) وافيات الهرج : كلامهن معسول ولفظهن مقبول .

(٣) بواحد : معشوق . فريد : في زمانه . به حلايا : به امارات . ظبيات النفوذ :

تصغير تمليح .

(٤) بفتري : الفتر ما بين رأس السبابة ورأس الابهام إذا فرج ما بينهما فهذا المقدار

يساوى محيط وسط محبوبته . الردايف . الروادف . النواهد : الثدي . الجعود : شعر

الرأس يشبه نباتاً يسمى الجعد طيب الرائحة يعلو بمقدار (٢٠ سم) متعشك الأطراف

وهو من فصيلة الشيح والقيصوم .

(٥) كاسيات : يعني الجعود . معزل الردفين : محسمهما . سود : المراد الظفائر .

للقاريء ملامح في مواطن الجمال برزت للناظرين ، وقامت خير
شاهد للحسن عند المتوسمين .. وهذا ما أبرزه ابن جعيثن في
مقطوعته التالية :

الساق دملوج سقنه مدوده
في منبته ما هزعه كل هباب^(١)
وامزايم مثل النقا في نفوده
يكسر عليهن راعى الدين لو تاب^(٢)
وانف قسم صافي خدوده وسوده
وخرس بلا كحل مظاليل وهذاب^(٣)
جيده ونهده كاسياته جعوده
وغر مناظيم عذيات وعذاب^(٤)

(١) دملوج : فند الشجرة المملوء . مدوده : القنوات حوله . هزعه : لواه .
هباب : كل نسيم يهب .

(٢) مزايم : متحمل . النقى : البروز يبدو في وسط النفوذ . يكسر : يصبو .
راعى الدين : المتدين . لو تاب : لو أنه تائب .

(٣) سوده : المراد عيناه . خرس شديدة السواد بلا كحل خلقة . وليس التكحل في
العينين كالكحل . مظاليل واهداب : يمتد لهما مع هدهما ظل .

(٤) نهده : ثديه . كاسياته كستهما جعوده — ظفائره . غر مناظيم . المراد الثنايا .
عذيات : نقيات . عذاب : جميلات .

وكثيراً ما يصاب الشاعر بمرض مزمن . عز دواوه .
وتعذر شفاوه . ويرى الاطبيب يطبه . ولا سبب يعالج به .
إلا شيئاً واحداً هو وصل الحبيب فهو أعز لديه من بلسم الطبيب
يصور هذا المعنى الشاعر ناصر العرينى فيقول :

ياللى تعرفون اللظى فى لاظى

أودع محامل مشة الصدر رضراض^(١)

وش عادلو جابوا طبيب يحاضى

شرب الدوى وهليلج الطب ماعاض^(٢)

أنا دواي المترفات المواضى

نوف الردوف اللى يعرفن الامراض^(٣)

صاف الخدود اللى غشاها البياض

توضى كما الشيشة بدكان عواض^(٤)

-
- (١) ياللى : ياهؤلاء الذين . اللظى واللاظى : مرض فيه حرارة تأخذ بالقلب .
أودع : ترك . محامل . حنايا . مشة الصدر : عظامه . رضراض . متكسرات .
(٢) وش عاد : ثم ماذا . لو جابوا : لو اتوا . يحاظي : يلازم . هليلج : نوع
من العقاقير . ما عاظ : ما نفع .
(٣) المواضى : الوضيات . نوف الردوف : نايباتها . اللى : اللواتى .
(٤) الى : التي . توضى : تضيء . كما الشيشة : كالمشكاة . دكان عواض :
حانوت تاجر .

وأخيراً إليك هذه القطع الرقيقة في الغزل :

يقول محمد بن عرفج :

بلوى بليت بحب تلعا عنود

في الشمس من طلعة جبينه تهايا^(١)

ما أحلى دلوله يوم يقبل ينود

ومن اليك ينفح بعصم الروايا^(٢)

واعيون تسحر بالمراميش سود

نجل تهواى به سهوم المنايا^(٣)

بين النواهد والحشى والعضود

زجن عساي احيا كما انك دوايا^(٤)

(١) بلوى : من البلية والمراد بليت بلوى . تلعا : طويلة الرقبة . عنود قائدة الغزلان . في الشمس : خبر مقدم . تهايا : مبتدأ مؤخر . وفيه من البلاغة التشبيه المقلوب حيث جعل في الشمس ملامح من محبوبته .

(٢) دلوله : غزله وغنجه : ينود : يترنح في مشيته . اليك : غرور الشباب وإدلال الجمال . ينفح : يوميء . عصم الروايا : كناية عن ظفائره المسترسلة التي تشبه الحبال تشد بها (الروى) المزايدات .

(٣) المراميش : الهدب . نجل : واسعة . تهواى تنطلق منها سهام المنايا .

(٤) الحشى : ما حول السرة . العضود : الاعضاد . زجن : فعل أمر من زجه إذا رمى به . عساي : لعل . كما انك : لاجل أنك وهذه لغة قليلة يستعملها قلة من القبائل أصلها كما أنك دواى فافعل بى كذا وكذا .

يا سيد جيله يا ظليل الجعود
يا زين يا سلطان تلـع الصبايا^(١)

ويقول رميزان :

مع طفلة تسبى الفـؤاد بضحكها
مثل ابتسام البرق في ديجورها^(٢)

مخموصة الاقدام ضامرة الحشى
كتف وردف والهفا بخصورها^(٣)

ديقانة ، دجرانة ، سكرانة
تسوى العراق وشامها ومصورها^(٤)

لولا اللباس وطوقها وحجولها
لقول خشف راتـع بقفورها^(٥)

(١) سيد جيله : بالجمال . ظليل الجعود . كثيفها . تلـع الصبايا : طويلات الرقاب

(٢) طفلة : فتاة . في ديجورها : في ظلام الليلة الخالكة السواد .

(٣) مخموصة الاقدام : صغيرتهما . الحشى . الحصر . فهى نايبة الكتفين والردفين
وضامرة الحصر .

(٤) ديقانة . دجرانة . سكرانة : كلها صفات مرح وتمتع ودلال . تسوى :
تساوى . مصورها : أمصارها .

(٥) الطوق : حلية تلبس في الرقبة . والحجول : تلبس في السيقان . خشف :
غزال . قفورها : قفارها .

عجـابة ، لعـابة مزاحه

تشوى فؤاد الصب فى تنورها (١)

معسولة مـدلولـة مجمـولة

من حسنـها توضى نواحى سورها (٢)

ويقول ابن عـفـالـق من رباعية له :

ظبى على مارد حشى ضامري ورد

بمعـثـكل من فوق ناب الردف ورد (٣)

حللت يابو وجنة كنها الورد

مصـيونـة ما مسها كل قطاف (٤)

ويقول محسن الهزاني من رباعية له أيضاً :

سبب عذاب العاشق اللي متعس

خشوف ريم بالموابر تلـعـس

(١) عجـابة .. الخ : أوصاف ملاحـة وخفـة ظل . تشوى . من الشى وهو

الاحراق .

(٢) معسولة . الخ : صفات جمال : توضى : تضىء . سورها : جذران بيتها .

(٣) مارد حشى ضامري : على صميم قلبي . المعثكل : صفة لفرعه .

(٤) حللت : أنت بحل مما توقعه بي . وجنة . صفحة الحد . مصيونـة : مصونة .

قطاف : قاطف زهر الورد .

خـذن من جنح الدجا يوم عسـس
جدايل دلق على المتن شراع^(١)

في مفرق السوقين يوم التقينا
ولقلوبنا كم بالمباسم سقينا

ياما تحاكينا وياما بكينا
وياما رمعنا من عنانا بالاصباع^(٢)

منهن يا مشكاي عفرا بها طوق
تلعا سناد وشوفها طافح فوق

تسلب عقول أهل الهوي بالحكى بوق
في مشيها من غير سقم تمر ياع^(٣)

(١) اللي متعس : الذي ملدد . بالموابر تلـس : يتخذن الوشم . خذن : اخذن .
جدايل . ظفائر . دلق : مسترسلات . شراع : واردات .

(٢) مفرق السوقين : ملتقى الطريقين . لقلوبنا : متعلق بسقينا . ياما تحاكينا : كم
تحدثنا وكم بكينا وكم ضربنا بأصابعنا في ذلك اللقاء .

(٣) يا مشكاي : يامن اشكو إليه . عفرا : بيضاء . تلعا سناد : طويلة ومنتصبة
الجسم . طافح : عال . بالحكى بوق : الباء متعلقة (بتسلب) والحكى الكلام . وبوق
نائب عن المصدر في تسلب . فبدلاً من ان يقول تسلبها سلباً قال تسلبها بوق والبوق بمعنى
السلب فهو دال عليه . من غير سقم : جملة معترضة . وفيه الاحتراس تمر ياع : تشن
وتكسر .

ومنهن فتاة كاعب ما لها رنق
خمرية المجدول مسلوبة العنق

شميت منها ريحة العنبر الطلق
مدلولة لا شك ما هي بمطواع^(١)

تشبه لغصن البان لا من تثنى
ياما لها من مستهام تمنى

لا هيب لا نوطا ولا هيب دنا
لولا بهاها قلت ذي عنز مقطع^(٢)

وقوله :

اشتكى لك من هوي نجل العيون
يوسفيات المها حم الشفاه^(٣)

(١) رنق : مثل . خمرية المجدول : لون شعرها أشقر . مسلوبة العنق : عنقها اتلع . شमित : شميت . ريحة . رائحة . الطلق : الصرف . مدلولة : مهذبة . مهيب : ليست بطبيعة .

(٢) لا من : إذا ما . ياما : كم . لا هي بلا : و (بلا) زائدة . نوطاً : مفرطة الطول : دنا : مفرطة القصر . بهاها : جمالها المشع . ذي عنز مقطع : هذه أنثى ظبي

(٣) يوسفيات : نسبة إلى يوسف في الجمال . حم الشفاه : جميلاتها عنبريات .
الروائح : ريحهن العنبر .

عنبريات الروايح بالكمال
في جمال قايمات قاعدات

ساعدي يوم عجات الشباب
بالمواصل والدلول الباهرات (١)

وانكرني يوم لاح بي المشيب
لا جزى الله بالجميل الغاويات (٢)

عذبنى باعتدال وانعواج
وانغماز كالبروق الموضيات (٣)

وانحراف وانصراف وانغراف
وارتشاف معسلات صافيات

واغتماز وافتزاز والتزاز
واهتزاز قدودهن المايسات

واجتماع والتماع وامتناع
واستماع للحكايا المطربات

-
- (١) عجات الشباب . عنفوانه . الدلول الباهرات : الغنج والدلال .
(٢) لاح بي المشيب : بدأ في فودي . الغاويات . المدلات بجسألهن .
(٣) اعتدال .. الخ : صفات غيهن ودلالهن . الموضيات : المضيآت .

واقتراب وابعاد وارتحاب
واشتمام عطورهن الفايحات (١)

وقول حسين الصايغ :

تعزّزوا لى عند غضات الاشباب
لا يتلفنى بالكفوف المخاضيب (٢)

او باللواظ سمهريات الاهداب
أو بابتسمام ثغور هن المشانيب (٣)

من هجر مدلول من البيض عجاب
سيد العذارى الخردات الرعايب (٤)

خرعوب لقلوب المحبين نهاب
يفتى بقتل اهل الغرام المصاويب (٥)

(١) هذه الأوصاف في الأبيات الأربعة كلها أو أكثرها مترادفة . والمراد ما يعذب به الشاعر من صور وأنواع التمتع والدلال ..

(٢) تعزّزوا لى : أرثوا لى : غضات الاشباب : الناعمات الكواعب . المخاضيب : المخضبة .

(٣) اللواظ : العيون . سمهريات الاهداب : هدها كالرماح السمهريات . المشانيب : جمع أشنب .

(٤) مدلول : مترف . عجاب : مزاح . الخردات : الخرد . الرعايب : ضامرات الحصور .

(٥) خرعوب : لين القوام ناعمه . المصاويب . المصابين .

- مخماص خصر ضامر الكشح مكعاب
 (١) الأنابيب ساقية دمج كنهن
 والقد غصن لي ذكر مايسه لاب
 (٢) ازري بعسال الرماح اليعاسيب
 فان رنحه ريح الصبا والهوى طاب
 (٣) ازري بمياس الغصون المشاذيب
 يا هيه ما ترحم شبح مفرقه شاب
 (٤) حليف شوق هذبتة التجاريب
 هل بعد ما سقيتنى بالهوى صاب
 (٥) وصل تريح به القلوب المتاعيب
 فاغضى ولجلج لي بالألحاظ وانساب
 (٦) واضفى على صبح المحيا الجلابيب

-
- (١) مخماص : ضامر . مكعاب : كاعب . دمج : ملمومة ممثلة . كنهن : كائن .
 (٢) لي ذكر مايسه : يحركه أدنى حركة : أزري : خجل وبز غيره . اليعاسيب : الطوال .
 (٣) المشاذيب : المائسات .
 (٤) ياهيه : ياهذا . شبح : هيكل عظمي شفه الوجد وبراہ الانين .
 (٥) المتاعيب : المتعبة .
 (٦) لجلج : أبده بلحظه . انساب : أعرض . صبح المحيا : المراد غرته والتعبير مجازي . الجلابيب : جمع جلباب وهو ما تدنيه المرأة على وجهها .

الأغراض البلاغية في شعر النبط

أنا ممن يؤمن بأن البلاغة في الكلام ليست بوضع حدود ،
واستنتاجات ومعالم . ومقاييس ، ليجعلها مفاتيح في يد المتعلم ،
والدارس . حتى إذا هضمها . وأتقنها ، واستطاع أن يستنبطها
بنفسه من الكلام العربي متى سمعه أو قرأه .. حكمنا بأنه بليغ ،
أو قد أدرك بلاغة اللغة العربية !!

وإنما البلاغة في تربية الملكة : وسلامة الذوق . وشفافية
الاحساس . فهي مؤثر وجداني تلتقطه الحاسة المدركة . وتبعثه
في الشعور اهتزازاً وتأثيراً .

فالبلاغة في الكلام بمثابة الجمال في الزهرة ، إن أخذتها
على أنها جميلة وحسب . ورحمت تمتع نظرك بنضارتها ،
وحسنها ، وجاذبيتها . ازدادت بها حبا واليها شوقاً .

وإن رحت تبحث عن مصدر الجمال فيها . وتقلب تضاعيفها
وتفتش طياتها . ذهب جمالها . وذبلت نضارتها وانقلبت
شيئاً عادياً . لا جاذبية فيه ولا تأثير .

وهكذا شأن اللغة العربية . وبلاغتها . إذا شاقك فيها

قطعة شعرية أو نثرية ، ثم ذهبت تبحث عن مصدر جمالها ، وسلطت عليها المبضع . وجعلت تشقق في أحوال المسند ، والمسند إليه ، والفصل ، والوصل ، والقصر ، والمجاز بأنواعه والاستعارات ، والكنائيات ، وأنواع البديع . أذهبت جمال هذه القطعة ، وأطفأت جذوة تأثيرها .. وهكذا كان العربي يفهم بلاغة القول بدون تشقيق ولا تلمس .

فالوليد بن المغيرة حينما تركه القرآن مبهوراً لبلاغته السحرية ، وهو من هو في الفصاحة والبيان ، لم يكن مصدر هذا التأثير لديه شيئاً مما نسميه البلاغة اليوم ، وإنما كان إشعاعاً روحانياً ، سرى في كيانه ، وخلق لبه ، إنه قد أدرك الحلاوة والطلاوة ، والاغداق والایراق ، والسمو والعلو .. فقال قولته المشهورة ..

وهكذا لما سمع عتبة بن ربيعة إجابة النبي عليه السلام على اقتراح قريش عليه ، ومطالبتهم إياه بالتخلي عن هذا الامر ، تتمثل في قوله تعالى :

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته ، قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ، وفي آذاننا

وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون) .. إلى قوله : (ذلك تقدير العزيز العليم ، فان أعرضوا) .

وكان يستمع لهذه الآيات في خوف واشفاق ، وكان مأخوذاً بهذا الأسلوب التأديبي العجيب ، حتى إذا بلغ (فان أعرضوا) أخذ يده فجعلها على في رسول الله صلاة الله وسلامه عليه ، وناشده الله والرحم ان يكف مخافة أن تأخذهم الصاعقة في ذلك الوقت ، من شدة تأثير هذا الكلاء في نفسه !!

هكذا بلاغة القرآن ، وهكذا يفهمه العربي ، وهكذا لو سألت أديبا ذواقة سمع القرآن فهزه ، أو الشعر فأعجبه . هل كان مصدر ذلك انه يتابع القرآن أو غيره في هذه القواعد التي حفظها في البلاغة ، ويتأثر كلما مرت به قاعدة ، أو كلما وجدها تنطبق على جملة .. أو أنه قد نسي أو تناسى تلك القواعد فتركها جانبا ، وظل يتلذذ بهذا الأسلوب بمؤثر خارجي آخر لا علاقة لتلك القواعد به ؟ !

سوف يقول لك لا محالة هذا الاخير !

وأخيرا فان الجمال سواء كان حسيا أو معنويا ، لا نحاول ادراكة بالتقاسيم والتشقيقات ولكن بالأذواق والادراكات ..

ولعلنا بهذا لم ننأ عن موضوعنا ، ونكون قد عملنا لحسابه .
ذلك اننى أريد أن اثبت أن البلاغة في هذا اللون من الأدب
لا تختلف عنها في أي لون آخر ، وأن البدوي الحاذق الذي لم
يشم للثقافة رائحة - بله القواعد البلاغية - يعجب بمليحه ،
كما يفخر من قبيحه .

والمتذوق للشعر النبطى يجد فيه من الجمال . والصور
ما يجده الذواقة العربى في فصيح اللغة ، والأدب . فلطالما اهتز له
السامعون واثاب عليه المثنون ، ووجد فيه الجمال والسحر
الحلال ..

ولسنا حينما نقول هذا القول ، نجد أن شعر النبط خال
من الأغراض البلاغية الاصطلاحية . بل هو كصنوه حافل بها .
غنى بقواعدها ، وسوف نورد في هذا الفصل ما اتفق لنا من
الشواهد بدون إحاطة أو استقصاء ، إذ لو ذهبنا نورد على كل
جزئية شاهداً لطلال بنا البحث ، ولحدنا عن طريقنا المرسومة .

يقول الشاعر النبطى (ناصر العرينى) مشبها خدي محبوبته
بمشكاة ، ومستكملاً اركان التشبيه الاربعة :

صافي الخدود الى غشاها البياضي

توضي كما الشيشة بدكان عواض^(١)

فالمشبه خدا محبوبته ، والمشبه به (الشيشة) - المشكاة -
ووجه الشبه الوضاعة ، واداة التشبيه (كما) المؤدية معنى
كمثل ، وغرض التشبيه هو تزيين المشبه . وهو في هذا المثال
مرسل مفصل لذكر أداة التشبيه ووجه الشبه .

أما التشبيه التمثيلي فيتمثل في أبيات لمحمد أبي دباس ،
في وجده على ابنه البعيدة داره ، المنقطعة اخباره ، فهو يمثل وجده
بوجد قناص اولع بصقر جميل المظهر نادر المخبر ، اندفع خلف
حبارى ذات بيض ذعرت آخر النهار وامعن في طلبها حتى
داهمه الليل وباتت يدا صاحبه منه صفرا .

عشرين عام كلها ارجوك يا دباس

مثل الغرير إلى تولع بطيره^(٢)

(١) الي : التي . غشاها البياض : أشربت به . توضي : تضيء . كما الشيشة : مثل
المشكاة . بدكان عواض : بحانوت بائع .

(٢) أرجوك : أنتظرك . دباس : ابنه . الغرير : الشاب قليل التجربة . تولع
بطيره : أولع بصقره .

عدل المناكب هيلع فرخ قرناس
يمناه في لطم الحباري شطيره^(١)

عائق خلوج روجت عقب مرواس
عند العصير لبيضها مستذيرة^(٢)

والليل جاه و حال من دونه الياس
روحه على فرقاہ فرت فريره^(٣)

فهذا تشبيه تمثيلي وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد
وفي التشبيه الضمني يقول أبو زيد :

لعل رجل شوفته قد حاله

تعطى سريع زوجته فيه الابدال^(٤)

(١) عدل المناكب : بارز جذمي الخناحين : هيلع : صارم . فرخ قرناس :
سليل فصيلة ممتازة تنسل ريشها كل عام (تقرنس) وتخرج خوافي وقوادم جديدة
بغاية القوة والمتانة . يمناه : يمينه والمراد صوائده . لطم الحباري : ضربها الحباري وزان
(صواري) جمع حباري وهو طائر كبير ذليل اعتاد الناس صيده بالحوارح شطيرة :
لبقة خفيفة .

(٢) عائق : تبع . خلوج : حباري ذات فراخ . روجت : راحت . عقب
مرواس : بعد غيبة عن فراخها . عند العصير : وقت تضيف الشمس للغروب وتسميه
العامه بهذا الاسم تصغيراً للعصر . مستذيرة : نافرة مذعورة .

(٣) الليل جاه : جنه . روحه : الضمير يرجع إلى القانص . على فرقاہ : من أجل
فراقه . فرت فريره : فرت روحه مثل فرار هذا الطائر .

(٤) رجل : أي رجل كان شوفته : رؤيته . قد حاله : قدر نفسه . الابدال :
البديل منه بفراقه أو هلاكه .

فالحمرة تدرك معوشة عياله

لا عاد ما يبغى منه بعض الأحوال (١)

فالمشبه والمشبه به ليسا بارزين - هنا - على صورة التشبيه المعهود . بل يلمحان من الأسلوب فقط .

وهكذا كل تشبيه ضمنى . والغرض منه هنا إمكان ما أسند إلى المشبه من حكم .

ومثال التشبيه المقلوب قول ابن لعبون :

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب

تضحك على الداية فدنوا يعايب (٢)

فالمفروض أن ضحكة الغادة الخرعبة ، تشبه بابتسام الفجر لا العكس ولكنه بالغ بالتشبيه فقلب مشبهها ابتسام الفجر بابتسام الخرعبة ، ومعلوم أن وجه الشبه دائماً في المشبه به أقوى منه في المشبه .

(١) الحمرة : طائر صغير ذليل . معوشة عياله : قوت فراخها . لا عاد : ما دام . ما يبغى منه بعض الأحوال : ما يراد منها شيء آخر .

(٢) الى أفتر : اذا ضحك . بسام الفجر : ضاحكه . تقل خرعوب : مثل الخرعبة المرأة تتثنى لنا ورقة . الداية : القابلة . دنوا يعايب . ادنوا يعملات .

وفي المجاز اللغوي قول العوفي يمدح ابن صباح :

الى احترك سبع الجزاير تحركت
والى رسا ترسى رواسى جبالها^(١)

فتحركت ، ورسا ، لفظان مستعملان في غير ما وضعاه ،
ففيهما إذا مجاز لغوي ، والعلاقة بينهما وبين المعنى الحقيقي
المشابهة ، والقرينة المانعة هي امتناع تحرك سبع الجزائر ورسو
الممدوح .

ومثال الاستعارة التصريحية قول ابن لعبون :

شبل نشا ماداس بالعمر عذروب
ومنزّه ماعاب عرضه ولا عيب^(٢)

فشبه ممدوحه بالشبل بجامع الشجاعة في الكل ، ثم استعار
اللفظ الدال على المشبه به وهو الشبل للمشبه وهو الممدوح ،

(١) الى احترك : إذا تحرك . سبع الجزاير : لعل المراد بها القارات وهو تعبير
عامى لا يستند إلى حقيقة علمية والمراد به التهويل . والى رسا : وإذا رسا ترسو .
رواسي جبالها الضمير يعود على الجزائر .

(٢) شبل : ولد الأسد . ما داس : ما أتى بالعمر — مدة عمره . عذروب :
ما دنس عرضه ولم يعب من قبل غيره .

على سبيل الاستعارة التصريحية : والقرينة ما داس بالعمر
عذروب .

وفي الاستعارة المكنية البيت الذي بعد شاهد التصريحية في
نظم هذه القصيدة :

ديم المحل مرغى الفحل عقب ما هوب
يرزم طويل الناب شوق الرعايب^(١)

فشبه الممدوح بالربيع ، ثم حذف الربيع ورمز إليه بشيء
من لوازمه وهو الديم على سبيل الاستعارة المكنية : والقرينة
اثبات الهملان للمدوح :

(١) ديم المحل : الديم المطر الدائم التسكاب والمحل الجذب . مرغى الفحل :
جاعل الحمل الشرس يرغى بعد هديره ، وهما حالتان للجمل متباينتان يرغى إذا خضع
وذل ، ويهدر إذا تعاضم واغتاظ . عقب ما هوب يرزم : بعد ما كان يزجر ويشقشق .
طويل الناب : بازله والمعنى أنه مكتمل في سنه :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البرل القناعيس
شوق الرعايب : صفة أخرى للممدوح بأنه ممن تشاقه الرعايب ذوات الحسن
والملاحة .

وفي الاستعارة الاصلية قول راكان بن حثلين (*) :

فيا الله يا المطلوب يا قايد الرجا

يا عالم نفسي رداها وجودها (١)

انك توفقها على الحق والهـدى

ما دام خضرا مابعد هاف عودها (٢)

(*) هو راكان بن فلاح بن حثلين زعيم قبيلة العجمان ومن أسرة تترغم هذه القبيلة خلفاً عن سلف وقد كان شاعراً إلى جانب زعامته المطلقة شجاعاً فاتكاً ، وفارساً مغواراً ، وأحد أعلام الجزيرة في زمنه ، عرضته شجاعته وزعامته لحذر الحكام ، وتسليط الأضواء نحوه حتى سجن وعذب . . وشعره خير مصور لحياته ، وناطق عن نفسه الكبيرة الطموح . يقول من قصيدة .

حربينا نسقيه كأس من الصدى	والحبة الزرقا لكبده برودها
وان زارنا سبع يدور لغره	كفوفه دروع من فجايا صيودها
عينا لزوراته قراها الى أقبلت	وخطرنا على زيزومها اللي يقودها
ومع الزود تكفيني مناير لابي	واتاجر بنفسي واتنومس بزودها
وعسى جواد ما تعرج يصيبها	شبا مطرق يقطع ملاقي عضودها
وانا ذخيرتهم الى دبرت بهم	شعث النواصي والنشاما شهودها
ونقلط للعقال بالعقل مثلها	ونعبا لعيلات المقرد قرودها
حلاوة الدنيا لهذي ومثلها	ونفس الفتى لابدها من لحدودها

عاش في أواخر القرن الثالث عشر وترك له في مسامع الزمن ذكر يروى وشعر

يهوى ..

(١) المطلوب : المدعو . قايد الرجا : مناط الرجاء . رداها : تقصيرها . جودها :

كياستها .

(٢) انك : نسألك . على الحق : الى الحق . مادام . مادامت . خضرا : حية :

ما بعدها ف عودها : قبل ان يأتيها الهلاك .

شبه نفسه بشجرة بجامع الحياة في كل ، ثم حذف المشبه
به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاخضرار ، فالاستعارة إذا
مكنية أصلية .

وهكذا في بقية الاستعارات التبعية ، والمرشحة ، والمجردة ،
والمطلقة ، والتمثيلية كلها لا يعوزنا فيها شاهد من الشعر النبطي
وفي المجاز المرسل يقول مبارك بن مويم :

أوصيك لا تدنق مدانق مـذلة

عليك عيون المرقبات نظور (١)

فالمراد بالعيون هنا أهل العيون ، وهم المتتبعون لأحوال
الناس ، فالاستعمال إذاً مجازي ، والعين جزء من الإنسان
المتتبع ، وقد أطلق الجزء وأريد الكل على سبيل المجاز ، العلاقة
في الشاهد الجزئية .

وفي المجاز العقلي قول راكان بن حثلين :

يتلون براق سمر يشعل اشعال

تلقى التراي فايض عقب سيله (٢)

(١) تدنق مدانق مذلة : تسف بنفسك اسفاف ذل : عليك : فان عليك . المرقبات
الرقباء . نظور : ناظرة .

(٢) يتلون : يتبعون . براق : بارق . سمر : ظل طيلة ليله يشعل اشعال : يشتعل
اشتعالا . تلقى : تجدد . التراي فايض عقب سيله : فائضا بعد مسيله .

فاسند الفيضان إلى التراخي ، وهو واد والوادي لا يفيض
وإنما يفيض ماؤه ، إذاً فهذا مجاز عقلي وما المسوغ لاسناد
الفيضان إلى الوادي ؟ المسوغ لذلك هي العلاقة المكانية .

وفي الكناية يقول ابن لعبون :

عفيف الجيب ما داس الملام—
ولا وقف على طرق المخازي^(١)

فعفة الحبيب كناية عن صفة وهي العفة في الشخص .
والطهارة . وإذا كان جيبه خالياً مما هو محرم عليه لزم منه
العفة والصيانة .

وحسبنا أن أوردنا بعض الشواهد على أمهات مسائل علم
البيان .

أما علم المعاني فمعظم بحوثه يقتضيها أسلوب الكلام ولو
كان عامياً ، كالخبر والانشاء وما يتفرع عنهما . وليس في الشعر
النبطي ناحية تشذ عن قواعدهما ، فلا حاجة لاقحام الشواهد في
هذا البحث ، اللهم إلا القصر ، والفصل والوصل ، لأهميتها
فسوف نورد ما يتفق لنا من شواهد فيها .

(١) ما داس : ما أتى . المخازي : المخزيات .

ففى القصر بالنفى والاستثناء يقول القاضى :

ولا ذكر مخلوق عن العيب معصوم

الا الذي ظلل عليه الغمام (١)

فالعصمة ليست موجودة لأحد ، إلا لمن ظلل عليه الغمام
وهو النبى عليه السلام ، فهى مقصور ، والنبى مقصور عليه ،
وهى من باب قصر الصفة على الموصوف ، وهو قصر اضافي
بالنسبة إلى سائر الانبياء .

وهكذا بقية طرق القصر .

وفى الفصل قول العرينى :

يا اللي تروم المرجلة رسمها جاك

مشكاة ليل شبها ناصح لك (٢)

وجب الفصل هنا لأن بين الجملتين تمام الاتحاد ، فالجملة
الثانية تعتبر بياناً للأولى ، فبين الجملتين كمال الاتصال .

(١) الذي ظلل عليه الغمام : هو النبى عليه السلام وهذه من معجزاته .

(٢) يا الى : يا الذي . تروم المرجلة . تعشق المعالي . رسمها جاك . خذ امارتها .

شبها : أوقدها .

وفي الوصل يقول عبید بن رشید :

اشرب هماج الماء ولو كان مطروق

واصبر على صكات بقعا والاكوان^(١)

وصل هنا بقصد اشراك الجملتين في الحكم الاعرابي .

أما الصور البديعية فلها نصيبها الأوفى من شعر النبط .
والبديع يقول عنه علماء البلاغة : إنه بمثابة طلاء وتحلية
وتزيين للكلام ابتكره المتأخرون وليس من صميم علوم البلاغة
في شيء .

فهل جاء شعراء النبط مقلدين ، أو اتفق لهم على سجيتهم
العربية الأصيلة وليس للتقليد أثر عليهم ؟ !

أما محيط هؤلاء الشعراء فلا يسمح لهم بالتقليد ، ولا يمكن
أن نقول إن هذه الصور البديعية البارزة في شعر النبط ، جاءت
نتيجة لمحاكاة وتقليد وإنما للملكة مرتكزة في طبع العربي .

وعلى هذا فلا يصح أن نقول عن كل بديع في شعر انه طلاء

(١) هماج الماء : أجاجه . مطروق : معكر . صكات بقعا : نكبات الدنيا .
الاكوان : جمع كون وهو الهرج والقتال .

بل نفرق بين ما جاء عفو السجية والطبيعة ، وبين ما ظهرت فيه الصنعة والتكلف . فالأول صورة من صور البلاغة ، التي اصطلاحوا على تسميتها كما في البيان والمعاني ..

والثاني تكلف وصنعة بمثابة التكحل للشوواء ، وليس التكحل في العينين كالكحل ! !

ومن الشواهد في صور البديع . قول الشريف محمد بن عون في الاقتباس :

لا تعترض أمر القدر في جدالك

ولا تحسب ان الى مصيبك بيخطيك^(١)

وفي الأغراق في المبالغة قول ابن لعبون يصف قاعا صفصفا :

تاخذ به الشرية زمانين برتوب

وعامين تسجع ساهية عقب ترتيب^(٢)

(١) إن اللي : إن الذي . بيخطيك : سيخطئك . وهذه قطعة من حديث طويل

أوصى بها النبي عليه السلام ابن عباس ، ابتدأه بقوله : (يا غلام احفظ الله يحفظك ..)

(٢) تأخذ به الشرية : تظل به الحنظلة . وقد سبق شرح مفردات هذا البيت في

مكان آخر من هذا الكتاب .

وقول ابن مسلم :

لو ان هذب عيونها في زراجة
شفت الجوازي في ظلالة يقلون^(١)

وفي الطباق قول ابن ربيعة :

بيت السلف بيت الخلف والمظاهر
بيت عمار المنتفق من عماره^(٢)

بيت لهم ورد الرياسة وتصدير
حلوين علقم للذي به مرارة^(٣)

وقول فheid بن دحيم (*) :

(١) في زراجه : سهل منبسط . شفت : رأيت . الجوازي : الظباء . تجتريء عن الماء : يقلون تتخذة كناسا لها .

(٢) بيت السلف : يكونون أحيانا عن الرجل بيته . المظاهر : الإبل تحمل الهوارج : عمار المنتفق : عزهم ، وهم قبيلة ذات سيادة وحول تسكن شمال الجزيرة مما يلي العراق . من عماره : بسبب عماره - قوة ومثانة - .

(٣) ورد وتصدير : ورد وصدر . حلوين : فيهم كرم وبر لمن والاهم . علقم : وفيهم مرارة وشجا لمن ناوأهم .

(*) هو فheid بن دحيم من أهالي الرياض توفي قريباً وقد عرفته وتحدثت إليه وسمعت شيئاً من شعره كان جندياً وقد قدر عليه رزقه ولهذا جاء شعره يحمل الضيق بالدنيا والتشاؤم منها .. وله وطنيات جيدة نفت فيها ما يجيش بنفسه من خواطر واحاسيس فحفظ له عدة شواهد في هذا المجال .

هجلة وردها كل ماشى وركاب
وكل شرب منها وحننا ظميننا^(١)

يا حلوها لى عدل ماها للاجناب
ويامرها وان عدل ماها علينا^(٢)

وفي الجناس قول سليمان بن عفالق في احدى رباعياته :

وش حال نفس عذبت في هوى البيض
عوارضي بعد التجافي غدن بيض

وعيونهن سلت على قلبى البيض
لكنى اخفى ما جرى لى ولا ابديش^(٣)

وقول محسن الهزاني :

سالت مدامع ناظري بالهـوا مى
لا من هوى ليلي ولا من هوى مى

(١) هجلة : بحيرة ماء . ركاب : راكب . حنا : نحن . ظميننا : ظمئنا .

(٢) ياحلوها : ما احلاها . لى عدل ماها للاجناب : اذا صرف ماؤها للبعيد .
يامرها : ما اشد مرارتها . والمراد أن هذه البحيرة تطيب النفس بمائها لقوم فتحلو حيث
يشربون منها بسهولة ويسر . ويمن بها على آخرين فلا ينالون منها إلا بمرارة وعسر .

(٣) وش حال : كيف حال . في هوى البيض : النساء الحميلات . عوارضي :
صفحتا وجهي . غدن بيض : أصبحتا بيضاوين من الشيب . سلت : أصلت على قلبي
بيض السيوف . ولا ابديش : ولا ابدى شيئا .

واليوم موفي لى ثلاثة عوامى

يامن لقرم القوم بالكون ذباح (١)

وفي تأكيد المدح بما يشبه الذم قول ابن مسلم :

ما به من المنقود كود العلاقة

والاعيون لاسطن ما يعفون (٢)

وقول ابن جعثن :

بين اشافيتها كما ذوب النباتات

بس فوق ردوفها مثل الرطيب (٣)

وقول حميدان الشوير :

هيه يا راكب فوق حمرا ردوم

من خيار النضى طبعها ما حلاه (٤)

(١) بالهوامي : بالدموع الهاميات . ولا من هوى مي : مي معطوف على لى .
موف لى : مكمل . عوامي : اعوام . القرم فارس القوم وزعيمهم . ذباح : صيغة
مبالغة في كثرة الذبح .

(٢) مابه : ما بها . من المنقود : من العيب : كود العلاقة : إلا هذه الحلية الحميلة
لا سطن : إذا سطت . ما يعفون : ما ينجى منها .

(٣) اشافيتها : شفتيتها . كما ذوب النبات : مثل قوالب الشكر تذاب في الماء . بس
فوق ردوفها : لكن فوق ردفها . مثل الرطيب : مثل سعف النخل المتكاثف ،
والمراد شعر راسها المنسدل على ردفها .

(٤) هيه : اداة تنبيه واستحثاث . ياراكب : ايها الراكب . فوق : على حمرا
ردوم الخ المراد الناقة القوية السريعة . النضى : الابل المذلة . ما حلاه : ما احسنه واحلاه .

عيبها زورها ما ينوش العضود
وخفها سالم ما رقع عن حفاه^(١)

وفي المقابلة قول العوني :

سبع ضرورم يقصم العظم ملحوم
حراب ضراب حمول وزعال^(٢)

ريف على العانين نصر لمظلوم
سو على المسوين قصاف الاجال

وقول العزي :

السيف مكن في العراي ذبابه
ظلم بهم عدل وعدل بهم ميل^(٣)

وفي الألغاز قول ابن جعيثن ملغزاً في القلم :

لقيت ميت ينقله خمس انائي
كلف ثلاث وسالم منه ثنتين^(٤)

(١) ما ينوش : ما ينال . ما رقع عن حفاه : ما رقت اخفافها عن الوجاء .

(٢) سبق شرح مفردات هذا البيت والذي بعده في مكان آخر من هذا الكتاب .

(٣) العراي : الاعرابي ، و (ال) فيه للجنس والباء في (بهم) في الموضعين

بمعنى فيهم .

(٤) كلف ثلاث : شغلهن .

الى شكّا حرّ الظمّا واستغاث

سارن همّام واوردنه على العين^(١)

يمشّن به معهنّ يحضّر المراثي

لو كان ما يدري عن الشين والزين^(٢)

وفي مراعاة النظير قول ابن لعبون :

حديث بالهوى تروي صحاحه

ضعيفات النسايّم بالتونى^(٣)

عن الضحّاك عن مبسم اقاحه

عن البراق عن ثغرّ رون

وفي التورية قول سليمان بن على :

وان سألّتك واجتريت

وين رحت ووين جيت^(٤)

والربع مـرو كـميت

وانت حي لك شنار^(٥)

(١) الى شكّا : إذا شكّا . همّام : عجلات . العين : الماء .

(٢) لو كان : لو انه .

(٣) ضعيفات : فاعل تروي . بالتونى : بالتأني .

(٤) اجتريت : اجترأت . وين : أين . رحت : ذهبت . جيت : أتيت .

(٥) والربع : الجماعة . كميت : جبل مظل على بلدة مراة . لك شنار : ذكر .

فلفظ مروا كميت محتمل - لفظاً لا كتابة - لمعنيين
قريب وبعيد فالقريب هو مروا بك وانت ميت ، والبعيد مروا
بجبل كميت ! ؟

وفي الاقتباس يقول رميزان :

عش ما تعيش فكل حي ميت
وحش ما تحوش فكل شيء ذاهب^(١)
اقتبس معنى الحديث : (عش ما عشت فانك ميت ،
واحجب ما احببت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك ملاقيه)
وفي الاطراد قول رميزان :

جبر بن سيار بن حزمي عسي
يكفى صروف الدهر والاتعاسي^(٢)
وفي التشريع قول ابن لعبون :

يا قلب لو هب الهوى لك وناحي
بالك تعجيبه يا الغوي وين ما راح^(٣)

(١) ما تعيش : مدة حياتك . ما تحوش : ما تجمع .

(٢) جبر بن سيار : هو شاعر النبط الشهير عاش في زمن حميدان الشويعر وتوفي
حوالي عام ١١٢٠ . الاتعاس : النكبات .

(٣) هب الهوى : ساعفك الحد . بالك : اياك ان تجيبه . يا الغوي : الغوى الضال .
وين ما راح : اين ما يم .

كـب السـفاه وما حوى من مزاح

ضامى ظعونه ترتوي دمع سفاح (١)

فهذان البيتان مبنيان على قافيتين ، فالقافية الاولى مااستقل
بها كل بيت بمجموع حروفه ، والقافية الثانية نستخلصها من
كل بيت نحو :

يا قلب لو هب الهوى

بالك تجيبه يالغوى

ومثله في التشريع قول حاضر بن حضير :

يا مل قلب تذكر عصره الماضى وطاريه

يحن حنة حوار بايعين امه ومفروود (٢)

هذا وانا من طواريق الهوى قاضى ولا ابىه

لاشك عند المعاند قرضة السمة ولا الزود (٣)

فيصح لنا أن نستخلص من كل بيت آخر مع الغاء كلمة

من كل شطر نحو :

(١) كـب : اترك . ضامى ظعونه : عطشها .

(٢) يامل قلب : يامن لقلب . طاريه : ذكره . حوار : فصيل الناقة . مفروود :

قد فرد من أمه .

(٣) طواريق الهوى : طرقه . قاضى : منته ولا أبىه . ولا أريده . لاشك : لكن .

المعاند : العناد . قرضة السمة : يؤكل السم لدى المراء . الزود : الغلب .

يا مل قلب تذكر عصره الماضي
يحن حنة حوار بايعين امه

.. الخ

وفي اللف والنشر المرتب قول محسن الهزاني متغزلا :

الثنائيا والعواتق والخدود

صافيات ناعميات كاملات (١)

والجداييل والنواهد والحجول

سابحات قاعدات حائرات (٢)

والردايف والخواصر والبطون

زاميات ضامرات هافيات (٣)

والنواظر والمفاليج العذاب

مغزلات مغضيات ضاحكات (٤)

(١) كاملات : مكتملات الحسن :

(٢) الجدائل : الضفائر . النواهد : جمع نهد . الحجول : حلية تلبس في سيقان النساء . حائرات : لا تستطيع حرا كما من شدة امتلاء ساقها .

(٣) والردايف : جمع ردف : زاميات : عاليات . هافيات : ملتصقات :

(٤) النواظر : جمع ناظرة وهي العين والمفاليج العذاب : الاسنان المفلجة الحميلة .

مغزلات : غنجات .

بالمواعد والمواصل والكذوب

باطلات باخلات ميسرات^(١)

وفي العكس قول بعضهم :

يا نسيم الهبايب خبري وين خلى

خبري وين خلى يا نسيم الهبايب^(٢)

يوم جتنا الركائب قمت ارحب واهلى

قمت ارحب واهلى يوم جتنا الركائب^(٣)

وفي الاحتراس قول محسن الهزاني من رباعية :

ومنهن يا مشكاي عفرا بها طوق

تلعا سناد وشوفها طافح فوق

تسلب عقول اهل الهوى بالحكى بوق

في مشيها - من غير سقم - تمرىاع^(٤)

(١) بالمواعد : الوعد : المواصل : الوصل . الكذوب : الكذب . ميسرات :

موسرات .

(٢) الهبايب : الرياح : وين خلى : أين حبيبي .

(٣) قمت ارحب واهلى : جعلت اقبالها بالترحاب والتحية .

(٤) مضى شرح مفردات هذا البيت في باب الغزل في شعر النبط :

وفي التضمين قول ابن لعبون :

واقفى مصركن جاكات شـاله

(جلمود صخر حطه السيل من عال) (١)

(١) تقدم شرح مفردات هذا البيت .

اللهجات العربية وشعر النبط

الحديث عن اللهجات العربية متشعب الأطراف ، متسع النواحي ، فاننا نكاد نلمس هذا التمايز في النطق ، حتى بين القريتين ، ليس بينهما إلا بضعة أميال ، فما ظنك به بين الاقليمين ، بله القطرين المتباعدين ، وقد ألمنا بشيء من هذا ، في أحد البحوث المتقدمة . والذي يهمنا الآن هو أن نعرف مدى هذا التمايز ، في ناحية واحدة هي شعر النبط .. فالدارس لهذا الشعر دراسة عميقة ، يكاد يرجع كل شاعر إلى بلده ، الذي اصطبغ بلهجته ، واشرب لغته ، شريطة أن يكون هذا الدارس ممن ألم بهذه اللهجات وتقلب بين الأصقاع والجهات .

وكما يكون هذا الاختلاف بين القرى والحوضر ، فكذلك يكون بين البوادي والعشائر . بل إنه في هذه الناحية أبرز وأظهر ، وأظن أن ابن الجزيرة - مهما قل اختلاطه بطبقات الناس - لا يمتري في أن يقول في أحد الرجلين كلماه أحدهما من قبيلة شمر ، والآخر من قبيلة قحطان ، انك يا هذا شمري ، وانك يا هذا قحطاني ، عند أول لقاء ، وكذا

الحال بين العتيبي والعجمي ، وكذا بين سائر القبائل ! !
وإذا كان الاختلاف في اللهجات معظمه قائم على الاختلاف
في النطق والرسم ، أو في الرسم فقط .. فاننا لا نعدم شواهد في
الشعر النبطي ، تقوم دليلاً على لهجة الجهة التي نبت منها ،
والقبيلة التي انبثقت فيها .

ولا يفوتنا أن ندرك أن هذا الاختلاف ، في النطق ، أو في
الرسم ، أو فيهما معا ، يقع في قلب الجزيرة فقط ، وبين
أقسامها المتقاربة ، وإلا فإن هناك أقساماً نائية ، وأقطاراً شاسعة ،
اختلف في ما بينهما النطق والرسم والوزن .. فالشعر الشعبي –
على اختلافهم في تسميته – هو في مصر غيره في الشام ، وهو في
الشام غيره في العراق ..

وهكذا الحال في عمان ، وحضرموت ، واليمن ، وعرب
شمالى افريقيا ..

ولو تسنى لنا أن نتكلم عنه في جميع هذه البلدان من جميع
جوانبه ، ونلم بفنونه ، وأوزانه ، وأغراضه .. لاقتضانا ذلك
مؤلفات مستقلة ، عن كل ناحية ..

ولكن حسبنا أن نذكر الشاهد والمثل ، ونورد ما لا غنى لنا
عن إيراده ..

ولنقرأ لشعراء النبط في قلب الجزيرة ، هادفين لاستشفاف
لهجاتهم من تضاعيف شعرهم ..

يقول الشاعر ناصر العرينى فيما سماها عروس شعره :

البارحة في لايح طويق ونيت
ون الحجر من ونتى يوم ونيت

من شوفتى غرو على شوفه اشفيت
أنا مصد ، مير الاقدار ميلات^(١)

هل تعرف أية عامية التى تستعوض عن (لكن الاستثنائية)
ب (مير) إنها عامية العارض - الرياض وما جاوره - إذاً
فالشاعر من هذا الصقع وهذا شعر عارضى ، وقد يشاركونهم في
هذه العامية بعض نواحي من نجد على قلة . وبعضهم يقول :
(مار) .

(١) سيأتي التعليق على هذا البيت .

ويقول يصف الغيث :

عساه لى جا فوق حمران راضى

وهبت شمال وكن يقفاه عراض (١)

ولا إخالك تشك في أن ظرف الزمان (إذا) يستبدل في
عامية نجد بـ (الى) أو (إلى) بالألف المقصورة ، أو بالياء ،
وأحياناً تحذف الف الوصل ، التى تتقدم اللام ، فيكتفى
بـ (لى) ، ولا أخالك تشك أيضاً في أن من ينطقها بالياء مثبتة
معها الألف حيناً ، ومتروكة حيناً ، انهم أهل العارض أيضاً ..
وهكذا في كثير من الأمثلة .

واقراً لابن جعيشن :

اسلا بذكراهم عن الهـم ساعة

عساهم لحاجاتي على هدهر عون (٢)

فهذه العامية هنا أكلت بعض اسم الإشارة في (هدهر)
وأصله : على هذا الدهر ولكننا لو نطقنا به على أصله لضاع وزن

(١) لى جا : إذا جاء . حمران : واد من اودية الاحيسي بأعلى وادي حنيفة .
راضى : قرو أبطا . هبت شمال : انطلقت ريح الشمال لتقبل بهذا السحاب إلى الجنوب
فينتظم وادي حنيفة انتظاما : كن يقفاه عراض : وكأن في أعجازه من يهتفون برقصة
الحرب ويضربون دفوفهم من شدة رعده ووقع مطره .

(٢) أسلا : أسلو : على هدهر : على هذا الدهر . عون : معين .

البيت ، ولكن الشاعر هنا وجد في عامية قومه ما يحفظ له وزن
بيته ، وسوف لا نطيل الانتجاع لمعرفة أهل هذه العامية ، فهم
أهل سدير ومن جاورهم .

واقراً له مرة أخرى في حوادث الأيام :

يجنى بغارات على فاية الضحى

ويدعن بي ناب المقادير غارس^(١)

ففى هذا البيت (يجنى) و (يدعن) وهو تعبير - على
قربه من اللغة الفصحى - سائد في ذلك الاقليم ، وربما يشاركه
فيه بعض الجهات ، إلا أنه في هذه الناحية أبرز - ومعنى
يجنى : يأتيننى . ومعنى يدعن : يتركن . وهكذا نعرف من
لغة ابن جعيشن أنه من سدير .

والعامية التى لا تأتى بضمير المؤنثة المتصل ، بل يشترك في
ضمير المذكر هو ، وهى أمثال قول القاضى :

واياك لا تقصد لثيم لحاجة

لو هى بكفه حال دونه جبل قاف^(٢)

(١) يجنى : يأتيننى . فاية الضحى : علنه واشتداده . يدعن : يتركن . غارس :
مغلب .

(٢) لا تقصد : ان تقصد . لو هى بكفه : لو أنها بيده . دونه : دونها . جبل قاف :
أعله الجبل المقسم به في القرآن الكريم .

وقوله :

كم ضيقة ينفك مشكل مجاله

باحسن منه ما عاد يخطر على البال^(١)

فالضمير في حال دونه البارز ، يرجع لحاجة . والضمير في (مجاله) و (منه) يرجع إلى الضيقة ، وكلاهما مؤنث . وهذا النموذج من هذه العامية ، يجعلنا نحكم من أول وهله ، إن الشاعر من شمال الجزيرة القصيم وما جاوره !

وقد لا تحتاج إلى طویل تفكير في العامية ، التي لا تفارقت منها لهجة التفدية بالحي ، وبالميت ، ومن غدا ومن راح .. الخ حتى إذا مر عليك هذا البيت :

قل له يقلك يا خلف من غدا له

من الحي والميت من العم والخال^(٢)

لا تماري في أن هذه عامية الشمال – حائل وما جاورها – قبل أن تعرف ان هذا الشاعر هو عبد الله الرشيد أحد حكام حائل في عهد حكمهم الماضي .

(١) ضيقة : كربة . مشكل مجاله : عوبص مشكلتها . باحسن منه : بصورة أحسن منها لا يخطر على بال أحد .

(٢) يقل لك : يقول لك . ياخلف من غداله : ياعوضه وخليفته . من الحي : الخ ياخليفة هؤلاء كلهم .

كما تدرك أن هذه العامية نفسها ، هي على مذهب القائل :

أيها السائل عنهم وعني

لست من قيس ولا قيس مني

في حذف نون الوقاية من (عن) و (من) الشاذ حذفها ،

فيهما لغة إذا اتصل بهما ضمير المتكلم . فحينما نسمع هذا

البيت للشاعر نفسه :

سلم عليه ولا تقل له مقاله

الا إن نشد عن حالتي أو عني سال^(١)

لا تشك في أنه من ذلك الصقع !

وهذه اللغة نفسها تستعوض عن الفعل (ذهب) بـ (نهج)

وكذا سائر ما تصرف منه .. يقول شاعرهم حسن بن هزاع :

انهـج معي ميزاتك الجـارسينا

وتسطى بهم يالـعشر لو كان واعين^(٢)

وهي أيضاً تستعمل لفظ (دهج) بمعنى (مر) أو (ألم)

يقول شاعرهم أيضاً :

(١) مقاله : أية مقالة . نشد : سأل . سال : سأل .

(٢) انهـج : اذهب . ميزاتك : ضامن لك . نسطى : نسطو . واعين متبهين .

لو يدهجه وبـل الثريا ويسقيه

ويمطر بياقوت ومسك سحابه (١)

وتنفرد أيضاً بلهجة خاصة في لفظ (شىء) فهي تقلب

همزتها نوناً فتقول : (شين) فهذا هو شاعرهم (حطاب)
صاحب (الجوف) يقول :

تف على الدنيا ولو به طربنا

يا بو محمد تقل ما عشت شينا

أما العامية التي تأكل همزة المضارعة ، من مضارع الفعل

(دري) إذا تقدمته (ما) النافية ، وجاء للمتكلم فهي عامية
الوشم وما حوله .

ولذا لا نشك في أن حميدان هو أحد أبناء القصب ، الذين

هذه عاميتهم حينما يقول :

لي نشدها بعلمها بهرج لطيف

طوحت صوتها : مادري مادري (٢)

ولا نعدم – أيضاً – عامية تقلب القاف جيما ، وهي عامية

(١) يدهجه : يمر به . وبـل : وابل .

(٢) لي نشدها : إذا سألتها . هرج : كلام . طوحت . صوتها : رفعت عقيرتها .

ما درى ما درى : لا أدري لا أدري .

الخليج العربي ويشاركهم فيها أهالي حوطة بنى تميم في نجد
وأهالي الجوف في الشمال ، ولكنها في الخليج العربي أشد شيوعاً
وذيوعاً ، ولذا نحكم بأن قائل هذا البيت - سليم بن عبد الحى -
من ذلك الاقليم :

تراه أمراً وسيع الحلم رفق
على درب الجدا ماقط تاهاً^(١)
والجدا يقصد به القدا وهو الصواب . وكقول شاعر آخر
من البحرين :

اقبل زيارة كاعب ترفه الحال
بكر عجيلة حيها يافهم^(٢)
وفي لغتهم أيضاً تخفيف همزة الماء إلى ياء فيقولون : ماي ،
استمع إلى ابن لعبون ، في تشبيهه العجيب ، الذي لم يسبق
إليه ، وانعم نظرك في دقة هذا الوصف .. يقول :

ان تماوج ثوبها فوق الردوف
فالهوى والمائي من فوق الغريف^(٣)

(١) أمر : امرءاً . وسيع الحلم : كثير الحلم . الجدا : الصواب . تاه : ضل .

(٢) ترفه الحال : رشيقة . عجيلة حيها : عقيلتهم . فهم : صاحب الفهم .

(٣) يصف تماوج ثوبها فوق روادفها . بالماء الضحل حركه النسيم ، فظل يقبل
ويدبر ، فوق الطمي الابيض ، الراسب تحت الماء .

والقاعدة الصرفية تقضى بحذف عين الفعل الأجوف ،
أمثال (قال) و (باع) و (قام) في فعل الأمر فيها فيقال :
قل ، وبع ، وقم ، إلا أن عامية الحجاز لا تعترف بهذا ،
فتقول : قول ، وبيع ، وقوم . لذا لا يستغرب على الشاعر
النبطى ، بديوي ، الوقداني ، وهو من عرب الحجاز ، أن
يقول :

لا تعمّر الدار والقالات تخربها
بيع الردي بالخسارة واشتر الغالى^(١)
وقوله :

صون عرضك عن ملاقة السفية
واترك الكذبان سودان الوجيه
من حكى منهم يعود الكذب فيه
كيف تأخذ هرج من بابة هبيل^(٢)

وهذه العامية أيضاً هي التي تشتق من الفعل الناقص (ظل)
مضارعاً فتقول : (يظلي) بمعنى يدوم ويستمر ، يقول
بديوي :

(١) القالات : الحوادث . الردي : الردىء .

(٢) صون : صن . الوجيه : الوجوه . حكى : تكلم . هرج : كلام . بابة
هبيل : طبقة مسلوب اللب ناقص العقل .

وان جفتك الدار ومال بك الزمان
لا تعيش بدار ذل أو هوان

لو (يظلي) نبتها من زعفران
صاحب الاخطار واجعلها دليل^(١)

فلا نتردد في أن هذا الشاعر حجازي ، حينما قال ذلك ..
وكما قلنا - سابقاً - أن للقبائل أيضاً في البادية ، مثل
ما لأهل المدن ، والأقاليم ، في افتخاتهم في العاميات ، فبماذا
تحكم على اعرابي لقيته ، واستخبرته ، هل في هذا الوادي من
عرب ؟ ! فأجابتك : ماش عرب بمعنى لا عرب هنا ، أو ماهنا
عرب ، الا تحكم بأنه عتيبي من عتيبة نجد .

وأظنك لا تشك في أن قائل هذا البيت - شليويح - لا تشك
في أنه عتيبي !

وحنا ثمانمية عداد جموعنا
ماش أجنبى فينا ولا برقاوي^(٢)
والقاعدة العربية ، ان الفعل (تفعل) يكون مصدره

(١) يظلي : يمكث ويستمر .

(٢) حنا : نحن . جموعنا : جيشنا . ماش أجنبى : لا غريب . برقاوي : نسبة
الى برقى أحد جذمي قبيلة عتيبة الكبيرين والجذم الآخر الروقة الذين منهم الشاعر .

(تفعل) إلا إذا كان ناقصاً ، فتقلب الفه الاخيرة ياء ،
ويكسر ما قبلها نحو تَأْنِي تَأْنِيَا ، ولكن هناك عامية قد اوجدت
له مصدرا خاصا وهو (تفعال) بكسر التاء والفاء وفتح العين
المشددة .. فتقول : ترزم ترزام ، وتقصف تقصاف .. الخ .
وهذه عامية يام وبالأخص العجمان ، وربما شاركهم فيها بعض
بطون قحطان .. فليس يبعد عنك أن هذا البيت صدر من يام ،
أو من قحطان إذا لم تدرك ان قائله هو راكان بن حثلين الياى
العجمى ، والبيت هو قوله :

معهم فرنجى تقصف تقصاف

مثل الرعد في مدلهم الغمام^(١)

والمعروف عن (مع) الاسم أن له حالتين باعتبار نطقه ،
الأولى تحريك العين ، والثانية سكونها ، ويأتي مضافا فيكون
ظرفا ، وله حينئذ ثلاث حالات ، ويأتي غير مضاف فينون
ويكون حالا . وفي حالة اضافته محركا أو مسكنا لا يتغير عن
صورته الاصلية .. غير ان عامية (يام) تشعر من نطقها بتوليد
الف في آخره ، كما جاء في بيت راكان بن حثلين الآتي :

(١) فرنجى : بنادق منسوبة الى الافرنج . تقصف : له قصف ورعد . مدلهم :

مظلم .

معا وجهه سلفان إلى لاح بارق
نحت له ولو هو نازح من حدودها^(١)

مما يدللك على ان الشعر يامى .

أما العامية التى تستعوض عن (قط) ظرف الزمان المختصة
بالنفسى ، واستغراق الماضى بـ (زيد) بكسر الزاي واسكان الياء
والتي تجمع بين ثلاثة ضمائر في فعل واحد ، وتصل ما بينها ،
مع كون أحدها منفصلا واثنان منهما للرفع ، فلعلك تدركها
حينما تقرأ الأبيات الآتية :

بري حالي بري عود من ثمام
مبطلى عنه الحيا ما زيد جاه^(٢)

يا ابن سالم هاضنى صوت الحمام
باح سدى والعزا ما أحرزتناه^(٣)

(١) معاوجه : أمام . سلفان : جمع سلف وهى الطعائن . نحت له : قصده .
ولو هو : ولو أنه .

(٢) بري حالي : برى الهم حالى حتى تركنى مثل عود الثمام . مبطلى : بعد عنه
المطر . ما زيد جاه : ما قط طريقه .

(٣) هاضنى : شغفنى . باح سدى : هاج مكنونى . ما أحرزتناه : ما أدركته ولا
قويت عليه .

شدوا الفرجان في شف الجهام
خلي وادي السيح ما واجهتناه^(١)
بونheids كما بيض الحمام
او فواريز الذهب شبهتناه^(٢)

أليست هذه لغة الدواسر حاضرة وبادية ؟ .
ورغم ان ابن سبيل حضري إلا أن نشأته المتنقلة بين
الحاضرة والبادية ومجاورته في بلدة (نفي) إحدى هجر قبيلة
عتيبة جعلت شعره ينطبع بطابع اللهجة العتيبية فجاءت معظم
تعابيره تشف عنها .. وفي ما يلي نستخلص بعض التعابير التي
وردت في شعره بهذه اللهجة ..

كثيراً ما تسمع في هذه اللهجة (هاء) كهاء التنبيه التي
تتقدم اسم الإشارة يأتون بها عند الانتقال من معنى إلى معنى ،
أو عند الاستفهام أو العطف ، وكأن المراد منها تهيئة ذهن
السامع لما سيأتي بعدها .. اقرأ لابن سبيل :

(١) شدوا : رحلوا . الفرجان : قبيلة معشوقته . وهم من بطون الدواسر الكبار .
في شف الجهام : من أجل النعم . ما واجهتناه : لم التق به .
(٢) بونheids : صاحب نهيدات . والتصغير هنا على بابه لأن نهيدات محبوبته في
عينه كأصغر ما تكون النهود . كما : كأنها . فواريز : فصوص . شبهتناه : أنا شبهتها
بذلك .

هلهن شرارات عليهن جناة
طلبهن الحاكم وجنه بكرهان^(١)

ها يوم ربي جابهـن يا عزاتي
شيلوا عليهن ضارب الدرب مشتان^(٢)

وقوله :

دورت لك بمقومين الصلاة
اتعتبتني من بين حضر وبدوان^(٣)

هائم جاني من رفيق وصاة
(٤)

ويأتى في لهجتهم لفظة (يقع) وزان (شبع) والمراد بها
(يمكن) وقد يشاركون في ذلك بعض القبائل ، وقد سمعت
قبيلة سبيع تستعملها . يقول ابن سبيل :

(١) هلهن شرارات : أهلهن من قبيلة الشرارات وهى قبيلة تسكن شمالي غربي
الجزيرة . وهذه القبيلة مشهورة باصالة الابل . وقد عملوا جناية فجازاهم الحاكم بأخذ
هذه الابل العزيرة لديهم . كرهان : كره .

(٢) هايوم : ثم لما . يا عزاتي : يا ذوي نجدتي . شيلو عليهن : ارحلوهن . ضارب
الدرب مشتان : سالك الطريق منشغل .

(٣) دورت : بحثت . مقومين الصلاة : الحاضرة .

(٤) رفيق : صديق . وصاة : نبأ .

وقالوا تراها مع فريق عطوات
والا يقع شيفت معاورد كرزان (١)

وهذه اللهجة تبدل همزة (الآن) بواو فتقول (الوان)
يقول بن سبيل :

هائم جاني من رفيق وصاة
قالوا لها مع نزلة الهیضل الوان
وبعض بطون عنزة وحرب وقبائل شمال الحجاز يجعلونها
بدلا او عطف بيان من اسم الاشارة (ذا) فيقولون : (ذا
الوان) .

وهكذا تجد في هذه النماذج ما يشف لك عن صورة واضحة
المعالم ، عن اللغة العامية في قلب الجزيرة ، وتمايز ما بينها ،
بالنسبة إلى أقاليمها ، وقبائلها ، وكيف ان الشعر البنطی يعتبر
مرجعا قويا لمعرفة هذه اللهجات ، والوقوف على حقائقها ودقائقها

(١) تراها : انها . عطوات : بطن من الروقة من عتية وفي نسائهم جمال .
والا يقع : وإلا يمكن . شيفت : روئت معاورد كرزان : مع سقاة كرزان ، وهم
بطن من عتية أيضا .

شعر الملوك والامراء

وكما كان لامريء القيس (الملك) في العصر الجاهلي ،
ولأبي فراس (الأمير) في العصر الحمداني ، ومن بينهما ، ومن
بعدهما ، من شعر خالد ، تناقلته الرواة ، وحفلت به دواوين
الأدب ، حتى قيل : بديء الشعر بملك ، وختم بملك ، بديء
بامريء القيس ، وختم بابي فراس !! فكذلك وجد الشعر النبطي
من هذه الطبقات من يستجيب له ، ويعنى بقرضه وحفظه !!
أو وجدت هذه الطبقات في الشعر النبطي متنفساً للتعبير عن
خواطرها ، ومهيئاً لبث أفكارها وخلجاتها .. وهذا يعطينا أكبر
دليل على ما لهذا الشعر من قيمة رفيعة ، ومكانة سامية ، وتأثير
في نفوس الجمهور ، لا ما يزعمه بعض الزاعمين ، من أن هذا
الشعر ولد في طبقات العامة ، وظل فيها ، وليس من هم رجال
الجد والزعامة ، والطبقات المستنيرة الواعية ، وقد تقدم القول
بالفرق بين هذه البلاد - الجزيرة العربية - والأقطار العربية
الأخرى ، في النظرة إلى الأدب الشعبي ، ومنه الشعر النبطي ،
أنظر صفحة (١٢) من هذا الكتاب .

وقد سبق أن تحدثنا عن أقصى زمن وصل إلينا شعره النبطي

عن طريق الرواية ، أو التدوين ، وهو ليس ببعيد ، وهذا يرجع إلى أسباب كثيرة ، من أهمها عدم الاهتمام من قبل العلماء والأدباء بهذه الألوان من الأدب ، فلم يدونوها ، لهذا يتطرق إليها النسيان ، ويدب إليها الفناء سريعاً : ومن أقدم من وجدنا له شعراً من هذه الطبقة عمر بن سعود ، وبركات الشريف ، وتركي بن عبد الله آل سعود فمن دونهم :

عمر بن عبد العزيز بن سعود (*) :

له شعر جيد ، في شتى أغراض الشعر ، ولكن أخنى عليه الدهر ، فذهب مع كثير من الآثار والأخبار .. ولم نعثر له إلا على قصيدة واحدة ، بعث بها من مصر وهو إذ ذاك في أسر الأتراك ، مع من أسر من الأسرة السعودية ، بعد حادثة الدرعية . فمن هذه القصيدة قوله يصف نجيباً حمل صاحبه رسالة لوطنه :

هارب يقطع مسير العشر خمس

دارب مع كل درب ما يهاب (١)

(*) هو عمر بن عبد العزيز بن محمد المؤسس الأول للدولة السعودية في جزيرة العرب ، وعمر هذا هو أحد الاقطاب في دعم الدولة وبنائها ، وله مواقف مشهورة في حرب الاتراك للدرعية ، فكان يسد ثغرة واسعة في الدفاع عن بلاده ، هي شعبة الحريقة وما جاورها من المتاريس . وله قصر شامخ في حى الطريف ، لا يزال شامخ البناء رغم عوادي الزمان ، وعوامل التعرية ، يعرف الآن : بمقصورة عمر .

(١) هارب : كالهارب . مسير العشر : عشر الليالي يقطع مسافتها في خمس ليال .

راعي نبت الحيا عام يزيد
مع مروية الهنادي والحراب (١)

يعفج أرقاب الزهر في كل روض
بالمساس وبالقفور من العذاب (٢)

منوته قطع التنايف والفجوج
كن زوله مع صحاصيح السراب (٣)

زول ربدا حين حست بالجفال
صفت الجنحان قفت بالرعب (٤)

راكبه من كل هم مستريح
ما يهاب من الدروب ألي صعب (٥)

(١) مروية الهنادي : مروية السيوف من دماء الاعداء .

(٢) يعفج : يدوس . المساس : الارض الصلبة . القفور : جمع قفر . العذاب التلال من الرمل أو غيره .

(٣) منوته : أمنيته . التنايف : التناثف ، جمع تنوفة وهي الارض القفر ومثلها الفجوج — جمع فج . كن زوله : كان شبحه مع صحاصيح السراب على امتداد الارض ورويته من بعد ما يديه الآل ويخفيه وفي البيت مع ما بعده ما يسمى عند العرويين با (التضمين) من عيوب القافية .

(٤) ربدا : نعامة . حست : آنست . قفت بالرعب : أدبرت نافرة مهتاجة .

(٥) راكبه : راكبها . إلي صعب : الوعة الموحشة .

يقطع الفرجة بعزم ما يغور
بالظلام اهم من ضار الذياب^(١)

يوم ركه من ربي مصر وسار
قلت ريض قدر ما اكتب لى كتاب^(٢)

وفيهما يتغزل :

احـور العينين كاسيه الجمال
كن خده بدر نصف بالسحاب^(٣)

وارد القرنين ملعوس الخدود
تشتكى من ضم رد فيها الثياب^(٤)

نافل جيله وهو توه صغير
بالجمال اليوسفى ترف الشباب^(٥)

(١) الفرجة : المومة . ما يغور : ما يبطل .

(٢) ريض : تأن . قدر : حتي أعد كتاباً أبعته معك .

(٣) كن خده : كأن خده . بدر نصف : بدر تم . في سحاب : تمايز عنه السحاب
فبدى كاصفى ما يكون وهى حالة مشهودة في صفاء القمر .

(٤) وارد القرنين : مسترسل الشعر . ملعوس الخدود . متخذ الوشم في خدوده .
من ضم رديها : لعباتها وانتصابها .

(٥) نافل جيله : قدبز جيله بالجمال وهو لا يزال صغيراً . ترف الشباب : لطيفه .

تركي بن عبد الله (*) :

لم تمدنا المراجع ، والرويات عن شعر هذا البطل ، بأكثر من قصيدة واحدة ، وهى قصيدته التى بعثها لابن عمه مشاري بن سعود ، الذى جلا عن بلدان نجد ، بعد نكبة آل سعود في دولتهم الأولى بالدرعية ، وكان جلاء مشاري فراراً بنفسه ، ومن معه من عسف الاتراك ، وظلمهم ، وقد ظل في مهاجره ، حتى بدأ الدور الثاني لدولة آل سعود ، على يدي البطل الخالد تركي بن عبد الله آل سعود ، ولما استتب له الأمر ، بدأ في جمع شتات أسرته المشردة ، ولم يكن لديه من النفوذ ، والتأثير لاستجلاب ابن عمه اليئس من إعادة دولتهم ، الفاقد للثقة ، في نفسه وبلاده ، إلا أن يذيب مهجته في قصيدة مشجية مبكية ، يبعثها إليه لأنه البصير بمآتي القلوب ، ومداخل النفوس ، فكانت هذه القصيدة التى نورد نماذج منها :

(*) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وأبوه عبد الله ليس الذى قوضت دولة آل سعود في دورها الأول على عهده ، وأسره إبراهيم باشا ، وقتله الاتراك كما يظن بعض الباحثين - فتركي هذا هو المؤسس الأول للدور الثاني من أدوار الدولة السعودية ، عام ١٢٣٥ هـ وقد أفلتته يد القدر من مشنقة الاتراك ، فكان سماً زعافاً لهم . وقد اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن عام ١٢٤٩ هـ فقام بالأمر من بعده ابنه فيصل ..

استهل هذه القصيدة بقوله :

طار الكرى عن موق عيني وفرا

وفزيت من نومي طرت لي طواري (١)

وابديت من جاش الحشى ما تطرى

واسهرت من حولي بكثر الهذاري (٢)

سر يا قلم واكتب على ما تـورا

أزكى سلام لابن عمي مشاري (٣)

شيخ على درب الشجاعة مضرا

من لابة يوم الملاقا ضواري (٤)

ويمضى على هذه الوتيرة ، إلى أن يفضى إلى استغزازه ،

واستنهاضه ، فيقول :

(١) طار الكرى : نفر النوم وارتق . فزيت : فزعت . طرت لي طواري : طرأت على خواطر وأفكار مزعجة .

(٢) جاش الحشى : حلم القلب ورباطته . ما تطرى : ما بدا . الهذاري : الهدرمة والهديان .

(٣) على ما تورى : على ما يبدو لك وترضى عنه . أزكى سلام : أكتب أزكى سلام .

(٤) شيخ : هو الزعيم هنا . درب : طريق . مضرا : مروض ومدرّب . لابة : فئة . الملاقا : الوغى . ضواري : سحاب نهمون على أكل عدوهم وفيه الاستعارة .

يا حيف يا خطوى الشجاع المضرا
تصير خدام لبحمر العتاري (١)
من الزاد غاد له سنام وسرا
من الذل شبعان وما العز عاري (٢)
دنياك يا ابن العم هذي مغرا
ولا خير في دنيا تراوي النكاري (٣)
اشهر بجنحان السعد لا تدري
وما قدر الباري على العبد جاري (٤)
ما في يسد المخلوق نفع وضرا
والعمر ما يبقيه كثر التداري (٥)
وبعدئذ يصف له حاله ، وما كان عليه ، وما هي الخطه
التي رسمها حتى حقق بغيته ، ووصل إلى هدفه :

-
- (١) يا حيف : واعيباه . خطوى : أحد . خدام : خادماً . حمر العتاري : حمر
العلباوات . والمراد بهم الاثراك في مصر .
(٢) الزاد : الطعام . غادله : صائر له . سنام وسرا : كناية عن السمنة .
(٣) مغرا : غرارة . تراوي : ترى . النكاري : المنكرات . والمراد لا تغتر بها
ولا تعباً بما ينالك من خيرها أو شرها .
(٤) اشهر : خلق . جنحان السعد : اجنحة الحد والنصيب . لا تدري : لا
تخشى إلا الله فما قدر عليك سوف يأتيك .
(٥) نفع وضرا : ولا ضر . التداري : المخاشاة والمتاجرة به .

ان سايلوا غنى فحالي تسرا
قبقب شراع العز إن كنت داري^(١)

يوم ان كل من عشيره تبرا
حطيت الاجرب لى صديق مباري^(٢)

نعم الصديق الى سطا ثم جرى
يودع مناعير النشاما حباري^(٣)

رميت غنى برقع الذل برا
ولا خير في من لايدوس المحاري^(٤)

(١) سايلوا : تساءلوا . قبقب : ارتفع وخفق . شراع العز : المراد الغلبة والمناعة .
داري : مدرك وفاهم .

(٢) يوم ان كل : حينما كل انسان تبرأ من خليله وصديقه . حطيت : جعلت .
الاجرب : اسم لسيفه القاطع . صديق مباري : خليلا مرافقا . والمراد اكتفيت به عن
الخلان حينما عزوا وفقدوا .

(٣) إلي سطا : إذا سطا . جرى : عمل . يودع : يترك . مناعير : شجعان .
النشاما : الكرام . حباري : جمع حبارى وهو طائر معروف بالذل .

(٤) رميت : القيت . برقع : ما تستر به المرأة وجهها . برا : بعيدا . يدوس
المحاري : يصل مناطق الخطر .

وحكمت نجد عقب ما هي تطرا
مصيونة عن حر لفح الذواري (١)

ومن ثمن القافي جذى ما تجري
تازي حريمه للجواري جواري (٢)

من غاص غبات البحر جاب درا
ويحمد مصابيح السرى كل ساري (٣)

والعمـــــر ما يزداد مثقال ذرا
عمر الفتى والرزق في كف باري (٤)

ولم تكد هذه القصيدة تقع على مشاري ، حتى حركت
كوا من قلبه ، والهبت إحساسه ، وغيرت نظره الأولى ،
فاستجاب لنداء ابن عمه ، المتمثل في هذه القصيدة ، وخرج
إلى وطنه .

(١) عقب ما هي : بعدما كانت . تطرى : تسام الهون والذل وجعلتها مصونة .
الغ الذواري : السماثم .

(٢) ثمن : قدر . القافي : العاقبة . جذى : قصر . ما تجري : ما أقدم . تازى .
تلجأ . حريمه : نساؤه . للجواري . جمع جارية وهى الامة المملوكة . والمعني من لم
يقدم ربما يفضي به الذل لان تكون نساؤه إماء للاماء !!

(٣) غاص : غطس في البحر . غبات : جمع غبة وهى لحة الماء الغزير . جاب :
جاء . الدر : اللؤلؤ . وفي عجز البيت اشارة إلى المثل (عند الصباح يحمد القوم السرى) .

(٤) ذرا : أى ذرة . باري : بارىء .

فبصل بن تركي آل سعود (*) :

وفبصل كوالده ، مقل ، ولعلها في تاريخهما الحافل بالفتن
والاضطرابات ، ما له كبير الأثر والاستبداد باستغلال مواهبهما
والاستيلاء على تفكيرهما ، فببصل هو الآخر لم نعثر له إلا
على قصيدة واحدة ، قالها متأثراً بعدم وفاء فئة كان يظن انها
من أكبر أنصاره ، فعانوه أحوج ما يكون إليهم ، فكأن لسان
حاله يقول :

كل خليل كنت خاللته

لا يترك الله له سارحه

كلهم اروغ من ثعلب

ما أشبه الليلة بالبارحة

(*) هو ببصل بن تركي آل سعود كان في من وقع في أسر المصريين في غزوهم
لنجد ، وظل في مصر من سنة ١٢٢٤ هـ الى ١٢٤٢ هـ ثم فر إلى نجد وشارك والده في
بناء دولتهم وكان شجاعاً ورعاً عطوفاً ، وقد جهز المصريون حملتهم الاخرى بقيادة
خورشيد باشا سنة ١٢٥٤ ، وبعد معارك دامية بينهم وبين فبصل استسلم الأسر وارسل مرة
اخرى إلى مصر ثم فر منها واستعاد الامارة وظل حتى توفي سنة (١٢٨٢ - ١٨٦٦) .

ويستهل هذه القصيدة بقوله :

الحمد لله جت على حسن الاوافق

وتبدلت حال العسر بالتياسير^(١)

هبّت هبوب النصر من سبع الاطباق

للدين عـز ونقمة للخنازير^(٢)

مفهوم قلبي للرعابيب ما اشتاق

ايضا ولا همه لجمع الدنانير^(٣)

ثم يذكر ما جرى له من هذه الطائفة ، وقد أسدى إليهم في

شكل حكاية ، وينتهي إلى :

أحد أصافي له على الصفح واعتاق

واحد أصافي له بحد البواتير^(٤)

(١) لله : بتفخيم اللام المشددة وفتح الاولى . جت : جاءت . الاوافق : جمع توفيق . التياسير . جمع تيسير .

(٢) هبت هبوب النصر : تحركت رياح النصر . سبع الاطباق : سبع السماوات . الخنازير : كناية عن نجاسة أعدائه .

(٣) مفهوم قلبي : إدراكه . الرعابيب : جمع رعوبة وهي الفتاة الحسناء . ولا همه ولا يهتم بجمع الدنيا .

(٤) واحد : فئة . اضافي : أود . عتاق : مسالة : حد البواتير : السيوف . كناية عن محاربتهم .

فاول نراسلهم بتسجيل واوراق

واليوم باطراف الرماح السماهير^(١)

ويفتخر بموقف آبائه ، وأجداده ، في حكمهم لنجد وفي
ذودهم الأعداء عنها :

حنا حمينا نجد من كل فساق

من حمر مصر والوجيه المناكير^(٢)

محمد بن سعود (*) :

لم نعثر له من الشعر إلا على قصيدة واحدة ، بعث بها إلى
أحد أمراء آل رشيد ، وكان ابن رشيد ، قد بعث إليه بقصيدة
غمزه فيها بجماله ، وكان محمد هذا جميل الطلعة ، وسيما ،
طوالا ، ولكنه جمال الرجال ، الذي باجتماعه مع جمال
الخصال ، يكون صاحبه من الرجال الكمل ، في مظهرهم
ومخبرهم ، ولا أرى القرآن الا يشير إلى هذا في مدحه لطالوت :

(١) فأول : أول الامر . نراسلهم : بالمكاتبة . السماهير : الطوال .

(٢) حنا : نحن : فساق : فاسق . حمر مصر : الحمر الاهلية والمراد بهم الاتراك .
الوجيه المناكير : الوجوه المشئومة المنكرة .

(*) هو الأمير محمد بن سعود والد سمو الأمير سلمان بن محمد اشتهر بالشجاعة
الفائقة والاقدام المتناهى وله قصص في ذلك واختبار يطول شرحها والذهب من معدنه
لا يستغرب .

« قال ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم .. »
وقد لقن خصمه في قصيدته هذه ، درسا في ذلك .

فمن هذه القصيدة :

الناس مثل الناس ما غط بان
ومن قال أنا الطيب يعديه ابن من (١)

الشين ما يدقم شبة السنان
والزين ما يقصر يدين يطولن (٢)

الى ايتفى زين وفعل بيان
لذة نعيم في الحشا وان توافن (٣)

الى اعتليت قطي بنت الحصان
عيب على احرافهن لين ينحن (٤)

(١) غط : اخفى . يعديه : ينحيه . ابن من : ابن فلان أو فلان . فالشجاعة ليست وقفا على أحد .

(٢) ما يدقم : ما يفل . يطولن : طائلات بالشجاعة والاقدام .

(٣) الى ايتفى : اذا اتفق . بيان : بين : الحشا : الفؤاد . وان توافن : ان اجتمعن

(٤) الى اعتليت : إذا امتيطت . قطي : جمع قطاة وهى أوراك الفرس ومؤخر ظهره . بنت الحصان : كناية عن الفرس . عيب : أراه عيبا علي . احرافهن : صدهن . لين ينحن : حتى يبلغن المدى الذي أردنه .

اضرب بحد السيف وارخ العنان

لين العذارى يا سعد لى يعذرن^(١)

بركات الشريف :

يسلك هذا الشاعر المجيد في شعره ، مسلك شعراء الحكم والنصائح ، ومعظم شعره ، في هذا الباب موجه إلى ابنه مالك ، فلقد تلقف منه مالك هذا نصائح ، مالمو تمسك بها أو ببعضها لوجد نفسه من الرجال الكمل ، البارزين ، يقول في إحدى هذه النصائح التى مطلعها :

يا مرقب بالصبح ظليت باديك

ما واحد قبلي خبرته تعلاك^(٢)

وليت يا ذا الدهر ما اكثر بلاويك

الله يزودنا السلامة من اتلاك^(٣)

* * *

(١) لين العذارى : حتى العذارى . وكان النساء العربيات أول ما ينظرن من الرجل شجاعته . ولسن بعاذرات أحد الا بعد فعل يرضين عنه .

(٢) يامرقب : لله علم تسورته غدوة . ظليت . قمت . باديك : متسلكك . خبرته علمته . تعلاك : صعدك .

(٣) وليت : ذهبت . بلاويك : بلاياك . أتلاك : نهايتك .

يا مالك اسمع جابتي يوم أوصيك
واعرف ترى يابوك بآمرك وانهاك^(١)

وصية من والد طامع فيك
يسبق على الساقة لسانه لعلياك^(٢)

أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك
لها وتدركها بتوفيق مولاك^(٣)

* * *

واعرف ترى مكة ولاها ابن اخيك
ولو تطلبه خمسة دنانير ما انطاك^(٤)

وهرج النميمة والقفا لا يعجى فيك
واياك عرض الغافل اياك اياك^(٥)

(١) جابتي : كلامي . يوم اوصيك : وقت نصحي لك . ترى : اني يابوك : .
يا أباك . بامرك : سآمرك .

(٢) وصية : مصدر لاوصيك . الساقة : المؤخرة . عليك : فخرك وسؤددك .

(٣) عسى الله يهديك : ان يهديك : لها : الضمير يرجع للتقوى .

(٤) ترى : ان . ولاها . حكم فيها . ابن أخيك . ابن عمك في لغتهم العامة .
تطلبه . تريد منه . ما أنطاك : ما أعطاك .

(٥) هرج النميمة : كلام النميمة . القفا : الغيبة . لا يعجى : لا يكون فيك . واياك
عرض الغافل . الخ تأكيد بعد تأكيد .

واذا نويت احذر تعلم بطاريك
كم واحد تبغى له العرف واغواك (١)

واحذر شماتة صاحب لك مصافيك
والى جرى لك جارى قلت لولاك (٢)

يا ذيب وان جتك الغنم في مفاليك
فاكمن الى حيث الرعايا تعدادك (٣)

ومن أول يا ذيب تفرس بياديك
واليوم جاذيب عن الفرس عداك (٤)

والهقوة انك ما تجى دون أهاليك
وما ذكر عود الورد يشمر بتنباك (٥)

(١) تعلم : تخبر . طاريك : نيتك وقصدك . كم واحد : كم شخص . تبغى : تريد . العرف : الهداية . أغواك : أضلك .

(٢) شماتة : اللوم والتعنيف . والى : وإذا : جارى : جار — حادثة قلت لولاك : أى إذا حدث لك حادث بعد مشورة هذا الصديق قلت لولاك أشرت علي بكذا ما كان كذا . وشماتة صاحب من باب اضافة المصدر إلى مفعوله .

(٣) ياذيب : ياشبيه الذيب . مفاليك . مراتك . الرعايا : القطعان . تعدادك . تتجاوزك .

(٤) بياديك : بيديك . عداك : أبعدك .

(٥) الهقوة : الظن : تجى : تكون . دون أهاليك : أقل منهم . تنباك : تبغ .

والحر مثلك يستحى يصحب الديك
وان صاحبه عاا معااة الادياك (١)
ومن نم لك ينم بك دون تشكيك
والاه قد ازرى رفيقك وأزراك (٢)
ما اخطاك ما صابك ولو كان راميك
واللي يصيبك لو تتقيت ما اخطاك (٣)
وله من قصيدة أخرى ، عاتب فيها ابن عمه ، على كلمة
سمعها منه تقدح في حقه ، فجاءت هذه القصيدة تفيض بالعتب
المؤدب ، والحكم الغالية ، يقول في مطلع القصيدة :
عفا الله عن عين للاغضى محاربة
وجسم دنيف وزايد الهم شاع به (٤)
اسهر الى نام المعافى ومدمعى
قد انهل ما بين النظيرين ساكبـه (٥)

-
- (١) الحر : الكريم الصقر . عاى : صاح صياح الديكة .
(٢) والاه : أذابه . أزرى : اخجل . رفيقك : صديقك .
(٣) صابك : أصابك . والى : والذى . تتقيت : اختفيت . وفيه إشارة إلى الحديث
واعلم أن ما اصابك . الخ .
(٤) للاغضا : لا طباق الجفن للنوم . دنيف : مهزول . شاع به : إنتشر .
(٥) الى : اذا . النظيرين : العينين .

ويقول في عتابه :

ولكن جاني منك مضمون كلمة

على حضرة الرماق والخلق قاطبة (١)

بها تعاتبني وما دست زلة

وغيري ولو داس الردى ما تعاتبه (٢)

عساك تذكرني الى جتك ضيقة

وجا المال يحدى جافل من معازبه (٣)

ثم يبين له خطته :

الى نبحتنا من قريب كلابه

ودبت من البغضا علينا عقاربه

نحيناه باوراك المطايا ويممت

بناصوب حزم صارخات ثعالبه (٤)

(١) جاني : جاءني . مضمون كلمة : فحواها . على حضرة . في حضرة الرماق النظارة . والخلق : الجمهور . قاطبة : محتشدة .

(٢) دست : وطأت . زلة : خطيئة . الردى : العيب .

(٣) الى : إذا .

(٤) نحيناه : تركناه . اكوار : جمع كور وهو الرجل يمت : المطايا . حزم . حزن . ثعالبه : جمع ثعلب .

بيوم من الجوزاء ويستاقد الحصار
تلوذ باعضاد المطايا جخادبه (١)
مـوت الفتى في كل دو سملق
خلي من الاوناس قفر جوانبه (٢)
على الرجل احسن من مقامه بديرة
يعيش بها والغبن فيها مطانبه (٣)
قلته على بيت قـديم سمعته
على مثلما قال التميمي لصاحبه (٤)
أخذ معناه فقال :

إذا الخل اوراق الصدود فوره
صدود ولو كانت جزال وهايبه (٥)

(١) بيوم : متعلق بنحيناه . الجوزاء : أحد نجوم الصيف وهى بين التوابع والمرزم
- الحقعة - يستاقد : يشتعل من شدة الحر . أعضاد : جمع عضد وهو ما فوق ركة
البعير حتى نهاية يده . جخادبه : جمع جخدب .

(٢) دو : مفازة . سملق : ممتد . الاوناس : الاناسى . قفر جوانبه : جوانبه قفر
على الرجل أحسن : أحسن للرجل . ديرة : بلاد . مطانبه : مجاوره مأخوذ من
طنب البيت .

(٤) قلته على بيت : أخذت هذا المعنى من بيت .. الخ .

(٥) أواراك : أراك . فوره : أره . ولو كان كثير العطاء :

وأصل بيت التميمي هو :

(الاقضى جزا الاقفا ولا خير في فتى

يتبع هوى من لا يريد هواه)

ويمضى :

وخاطر بنفسك في لقي كل كايـد

تحوش الغنائم والمقادير غالبه (١)

فلا خطر يوم بيدني منية

ولا حذر ينجى من الموت صاحبه (٢)

وترى ما يعيب الدوح الا من اصله

ولا آفة الانسان الا قرايبه (٣)

(١) خاطر : جازف واقدام . لقي ملاقة . كايـد . صعب شاق . تحوش : تحوز .
الغنائم : الغنائم . والقدر سوف ينفذ ولا يقدم أجلك أقدامك ، ولا يؤخره احجامك .

(٢) بيدني : سيدني . صاحبه : من تحلى به .

(٣) ترى : ان . يعيب : يميل . الدوح : الشجر . الا من اصله : إلا بسبب
أصله . ولا آفة الانسان : ولا يؤثر في الانسان ويؤلمه . قرايبه : أقاربه .

وقديماً قيل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمشرة

قاسم بن ثاني :

كان محمد بن ثاني - والد قاسم - حاكماً لقطر ، إلا أن حكمه غير مطلق ، فقد كان لآل خليفة حكام البحرين نفوذ في إمارة قطر ، وكان محمد بن ثاني لا يمضي في أمر إلا بعد موافقة آل خليفة ، باسم المحبة والائلاء ، ولكن ذلك يخفى ما هو أدهى ، وأمر .. ولما شب قاسم عن الطوق ، وشعر بهذا الخناق الآخذ بتلابيب إمارتهم ، أراد أن يستبد - وإنما العاجز من لا يستبد - فأخذ يتنكر لآل خليفة ، حتى شعروا بالجفوة التامة ، وعند ذلك دبّروا حيلة للتخلص من قاسم ، فبعثوا لوالده يستزيرون قاسماً ، باسم تأكيد الصلة ، وشد الروابط ، فأرسل قاسماً إلى البحرين ، فكان نزله السجن ، وكان أن جهز أمراء البحرين جيوشاً لاحتلال قطر ، لاقت من القطريين مقاومة تامة ، حتى أسر من الجيش الغاري عدد كثير ، فاضطر البحرانيون أن يطلقوا قاسماً فداءً لأسراهم ، وعندها قال قاسم هذه القصيدة ، التي نورد نماذج منها :

أرى من صروف الدهر ما كدر الصفا

وجفن سهر مهوب بالنوم ذایل (١)

(١) مهوب : ليس : ذایل : مطبق .

- ركبنا على ماشوة زجها الهوى
وجينا من الشيخ المسمى نسايل^(١)
وقلطنا وسلمنا على كاسب الثنا
وجلشنا ودار بنا الفكر كيف قايل^(٢)
فقال اقلطوا للمجلس اللي خلافكم
وصكت علينا محكمات الحبايل^(٣)
فيا رجل ياللي ما بعد داست الخنا
ولا قد تمشت في دروب الخلايل^(٤)
ولا وقفت في ما قف ينقدونه
ولا وثرث درب عن الحق مايل^(٥)

* * *

-
- (١) ماشوة : سفينة . زجها : ازجاها . الهوى : الريح . جينا : جئنا . من الشيخ .
الخ : نسأل عن الشيخ ذي الشهرة والاسم الكبير :
(٢) قلطنا : تقدمنا . كاسب الثناء : مدرك الحميل . كيف قايل : على كل مدار .
(٣) اقلطوا : تقدموا . الى : الذى . خلافكم : خلفكم . صكت : ارتجت .
الحبايل : الاقوال :
(٤) يارجل : ينادى رجله . اللي : التي . داست الخنا : وطأت موطىء الريبة .
تمشت : مشت . الخلايل : مايخل بالانسان .
(٥) ماقف : موقف . وثرث : بدا أثرها . مايل : مائل .

فويل لقاضى الارض من قاضى السما

الى عاد ميزانه عن الحق مايل (١)

وله من قصيدة ضمنها كثيراً من الحكم ، والمواعظ ،
وشفت عن عقيدة سليمة ، وطوية حسنة ، وليس بدعا أن يأتي
هذا من قاسم فهو العالم الجليل ، والسلفى المحض ، والموقف
نفسه وماله لخدمة العلم ، والعلماء .. قال :

وكذا قد بدا الاسلام في حال غربة

ويرجع غريب وحن به اغراب (٢)

وخرجت من بين السلاطين كتنى

حر تعلوى فوق روس هضاب (٣)

اراهم بخزر العين شزر عداوة

دين ادينه رب كل ارباب (٤)

(١) الى عاد : إذا كان . وفيه اشارة الى البيتين :

إذا خان الامير وكاتباه وقاضى الارض داهن في القضاء

فويل ثم ويـل ثم ويـل لقاضى الارض من قاضى السماء

(٢) كذا : مثل هذا . حن : نحن . أغراب : غرباء . وفيه اشارة إلى الحديث :

بدا الاسلام غريباً .. الخ .

(٣) كتنى : كأنني . صقر . تعلوى : ارتفع .

(٤) دين : دينا مفعول لأجله . أدينه : أدين به .

لك الحمد يا من هو بتقواه عزنا
وجعل لنا الدين القويم حجاب
حجاب حجبنا عن موالاة غيره
وذا شان من طاع الاله يثاب^(١)
وله من قصيدة أخرى في هذا المعنى :
وعن طاعتك ما غيرتنا الليالى
وفي منهج التوحيد ما نتبع الهون^(٢)
فبذا رقيننا شامخات الجبال
عن ملك دولات وعن حكم قانون^(٣)
ومع ذا نوالى كل من لك يوالى
ونبغض جميع الى لغيرك يوالون^(٤)
عبادة الاوثان حزب الضلال
باصنامهم واوثانهم يستغيثون^(٥)

(١) غيره : الضمير يعود إلى الله . طاع : أطاع .

(٢) الهون : الضعف .

(٣) رقيننا : صعدنا والمراد العز والرفعة التي لا يساميتها ملك الدولات ، ولا ندع قانون السماء بالقوانين الوضعية وفي ذلك تعريض ببعض الامارات والحكام .

(٤) ومع ذا : ومع ما تقدم فلا بد من الولاء والبراء . الى : الدين .

(٥) عبادة : عباد . باصنامهم : الباء متعلقة يستغيثون .

ومحاربين الله عزيز الجلال
ومحاربين الى بدينه يدينون^(١)
مجتمعة ما بين جاف وغالى
عدوان بالدين الحنيفى يسوون^(٢)
فحنا حرار فى لىالى السىالى
هداتنا يفرح بها كل مغبون^(٣)
وانفوسنا ترخص لنا كل غالى
ونرخص بها فى ساعة الناس يغلون^(٤)

آل خليفة :

يعنى آل خليفة حكام البحرين ، بالأدب عموماً ، وبهذا
اللون منه خصوصاً ، ولهم فيه اشعار جزلة ومشاركات جميلة :
فمن شعر الشيخ سلمان بن حمد ، قصيدة يتشوق فيها إلى
البراري والفلوات ، جادها الغيث واشتبك نوارها ، وغردت
أطيّارها :

-
- (١) حرب لأولائه حزب لأعدائه ولبئس المنهج .
(٢) مجتمعة : طائفة : مجتمعة عدوان : أعداء . يسوون : يعدلون .
(٣) حنا : نحن . حرار : صقور . السىالى : الشدات والأزمات : هداتنا : جمع
هدة وهى المرة من مبادأة العدو . مغبون : متور .
(٤) ولرخص نفوسنا عندنا حيث ينبغى الرخص دان لنا أعداؤنا وارغمنا أنوف
مناوئنا اما غيرنا فنفسهم دائماً غالية لديهم . وذل من يغبط الدليل بعيش .

ودي بسير البر من عقب الامطار

ومن عقب ما تنشف نداوة غديره^(١)

واهد خطوات اشقر يلحق طيار

الى ضربها حولت مستديرة^(٢)

والى ضوينا صفهم شاق الانظار

والكل منا معجبه فعل طيره^(٣)

عن دوجة في القفر ماني بصبار

حيث القنصر ماريت مثله نظيره^(٤)

أما الشيخ محمد بن عيسى ، فشاعر العرب والنبط ، والهوى
والشباب ، له الرقائق الجميلة ، والنغمات العطرة ، استمع إليه

(١) ودي : منى . سير البر : السير في البرارى . عقب : بعد . نداوة : من
الندى وهو الرطوبة .

(٢) اهد : من الهدد وهو اطلاق الطير الخارج للصيد . خطوات : باسكان الطاء :
أشقر : لونه كذلك يلحق : يدرك . طيار : يدرك الطريدة طائراً . الى : إذا . حولت :
نزلت . مستديرة من الدوران اثناء السقوط .

(٣) الى : إذا . ضوينا : رحنا .

(٤) دوجة : جولة . ماني : ما انا . وعن متعلقة بصبار . حيث : لان . ماريت :
ما رأيت . نظير آله يماثله .

نهاري نهار الناس اسعى إذا سعوا
 وبالليل افكاري وسيع مجالها^(١)
 ولوع هلوع اطرده الياس بالرجا
 ومن حقق الرجوى بمولاه نالها^(٢)
 ومما دعاني وازدهاني وهاضني
 تلاوح بروق زاد نوضي اشتعالها^(٣)
 تشوق الذي مثلي غريم مولع
 بشوف المغاني نازحات هجالها^(٤)
 يلومونني ناس على غير حجة
 وهنى نفس لا عليها ولا لها^(٥)

(١) وسيع : واسع .

(٢) الرجوى : الرجاء .

(٣) هاضني : اثار أشجاني . تلاوح : اشتعال . زاد نوض : كثر وميض .

(٤) غريم : موله . شوف : رؤىة . هجالها : جمع هجلة وهى المكان المنخفض

تجتمع فيه السيول .

(٥) ناس : اناس . وفي هذا لغة البراغيث . هنى : ما أهنأ : وفي هذا العجز المثل

بكامله . أما البيت الأول من هذه القطعة ففيه إشارة إلى البيتين العربيين :

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهـم بالليل جامع
 نهاري نهار الناس حتى اذا دجى لي الليل هزني اليك المضاجع
 وتجد هذه القطعة مستقيمة الوزن العربي لولا ما في البيت الثالث من عيب الاقواء .

ولصاحب السمو الشيخ عبد الله بن عيسى ، شعر جميل جيد .
جاء في احدى قصائده السياسية قوله :

ياخوي ضاع السميت في ذا الزمان
اقطعك يا دهر بخبثه تلون^(١)
ياليت وقتي سابق ذا الاوان
ما شفت انا الاجناب مع ذا التمدن^(٢)
اكثر تمدنهم غدا بهرجاني
ما فيه خير للرجل لا تفتن^(٣)
والا سياستهم خداع عيان
شوف الذي تسمعه عن مجلس الامن^(٤)
لو زانت النية صلح كل شان
واستامنوا ذا الناس من حرب ومحن^(٥)
ضاعت ديانتهم وضاع الاماني
ما يصلح العالم بلادين جزم^(٦)

(١) ياخوي : يا أخي . ضاع السميت : فقد . أقطعك : فلتنقطع .

(٢) وقتي : زمني . ما شفت : ما رأيت . الاجناب : الاجانب .

(٣) غدا بهرجاني : صار بهرجا . لا : إذا .

(٤) عيان : مشاهد . شوف : تدبر .

(٥) شان : شأن . استامنوا ذا الناس : فيه لغة البراغيث .

(٦) ضاعت : فقدت . ديانتهم : دينهم . جز من : بالتأكيد الدارج .

أما الشيخ على بن خليفة بن سلمان . فله أيضاً قصائد جيدة
لقد فقد صقره الاشقر ذا العينين الملتهبتين . والحجل القصير .
والكف الصارم ، فهو يقول :

يا من يبشرني وياخــــذ بشارة
بالطير لو شافه على راس مرقاب^(١)

* * *

مع ذا وعندي من مواكر حراره
اشقر على برقي الجناحين وثاب^(٢)

يا ما حلى وقت العصير افتراه
الى عاد مشقى والقنانيمص ركاب^(٣)

مع غلمة عــــودتهم بالصقارة
ولا ناب للخفرات رغب وطلاب^(٤)

(١) بشارة : جعل . الطير : الصقر . لو شافه : لو رآه . راس مرقاب : رأس علم .
(٢) مع ذا : ليس هو الوحيد عندي . مواكر حراره : جمع ماكر وهو الوكن
والعش . والمراد من أمثاله . والحرار : النوع الممتاز من الصقور . أشقر : صفة
لموصوف محذوف . والاشقر منها هو الجيد . برقي الجناحين : الحبارى ريش جناحيها
مفصل بالسواد والبياض .

(٣) ياما حلى : ياما احلى . افتراه : استدارته . الى عاد : ما دام . مشقى :
مولع . القنانيمص : القناص . ركاب : راكبون .
(٤) غلمة : غلمان . الصقارة : ترويض الصقور . ولا ناب : ولا انا . الخفرات :
النساء الحيات .

شفى معاهم سجة وافتكاره

في وسط روض فيه ريح النفل طاب (١)

آل الرشيد :

وقل أن تجد أميراً من أمراء آل الرشيد ، الاوله شعر .
ومعظم شعرهم من باب الفخر والحماسة ، والاعتزاز ، والادلال .
ومن اشتهر منهم بالشعر اثنان هما عبيد الرشيد ، وعبد الله
الرشيد ، وعبيد أكثر وأجزل شعراً من عبد الله ، يقول عبيد
من قصيدة :

من فعل ربعى مروية كل مذلق

يوم الوغى يفرح بهم كل بلشان (٢)

أشرب هماج الماء ولو كان مطروق

واصبر على صكات بقعا والاكوان (٣)

(١) شفى : منى . معاهم : معهم . سجة : سبحة . افتكاره : تفكر . روض :
روضة ، ريح : رائحة . النفل نبت طيب الرائحة .

(٢) ربعى : طائفتى . مروية : بالتخفيف من الرى ضد العطش . كل مذلق :
المراد به ذو الحد من سيف ورمح . الوغى : الحرب بهم : يعود الى ربعه - جماعته -
بلشان : حيران مضطهد .

(٣) هماج : الماء المالح . مطروق : كدر من فعل الماشية وغيرها . صكات بقعا .
صكات : نكبات . وبقعا : هى الدنيا ولعله مأخوذ من الصاقعة والباقة للارزاء
والنكبات . الاكوان : جمع كون وهو لقاء الاعداء .

شابت عوارضنا بزارق ومزروق
وصوايح بظهور طوعات الارسان^(١)

أما عبد الله فيقول من قصيدة :

لكن الى ركب الرشا للمحالة
واستثقلت ماني من الحرب ملال^(٢)

نرسى كما ترسى رواسي جبـاله
ما ننهزع من وطى حافي ونعال^(٣)

ومن عاف صاف الما وكدر زلاله
نسقيه كدر لين يروى ويكتال^(٤)

شهودي بجلدي والعدو به بداله
والناس تدري بالجداید والاسمال^(٥)

(١) زارق ومزروق : طاعن ومطعون . والمراد كثرة الاصطلاء بنار الحروب .
صوايح : صيحات . طوعات الارسان : الابل الطيبة .

(٢) إلى : إذا . الرشاء : الحبل يجذب به الماء . المحالة : البكرة . استثقلت :
لثقت . ماني : ما أنا . ملال : ملول .

(٣) نرسى : ثبت . والضمير في جبالة يرجع الى غير مذكور كما هي عادتهم
احيانا ننهزع : نتقهقر . وطى . حافي ونعال : المراد الخالص والعام .

(٤) عاف : لم يرد . لين : حتى . يكتال : يمتار .

(٥) شهودي بجلدي : هى الندوب وآثار الجروح . بداله : مثله . الجداید والاسمال
القديم والحديث .

ولأسرة السداري ، شعر جيد جميل ، ينبىء عما عليه هذه
الأسرة الكريمة ، من فضل ونبل ، يقول أحمد بن عبد الله
السديري من قصيدة طويلة :

وثيابنا مهيب تصبح مواريث
الا من البارود فيها غثاير^(١)
مناب من يلهى بكثر المعاريث
كيفاتنا من فوق عوص فطائر^(٢)
نسري الى من الدجا جا خراميس
من فوق ما يحتاج ضرب المسائر^(٣)
ولعبد الله بن أحمد السديري :

لا تحسبون المرجلة بالشباريق
وقولة حسين اللون وازين دله^(٤)

-
- (١) مهيب : ليست . مواريث : ملطخة بالورس . وهو نوع من الطيب تتضمخ
به العروس . غثاير : آثار .
(٢) مناب : لسناء . المعاريث : الزواج الكثير . كيفاتنا : جمع كيف . عوص :
نجائب . فطائر : مسنة .
(٣) جاجر اميس : صار شديد الظلمة . ما يحتاج ضرب المسائر : مالا يحتاج
ضرب العصي .
(٤) المرجلة : الرجولة . الشباريق : الخداع والتزيق . حسين اللون : حسنه .
وازين دله : دعايته .

المرجلة تبغى رجال صناديق
لوالبه ما كل من جا يحله (١)

ورد على التالى الى جن مع الضيق
الى زعتر المضيوم بالصوت كله (٢)

* * *

تري الغبن يرث على الكبد تحريق
ما ينفعك من صاحبك قول نخله (٣)
أما أسرة آل ماضى فلها هى الأخرى ، شعر رائع ممتع ، تستل
من خلاله دلائل الزعامة والشمم والمروءة .. اقرأ لعبد العزيز بن
جاسر ابن ماضى من قصيدة طويلة بديعة :

ليمن تتابع حادث الدهر وانتهى
وايقنت ان افراجها في حصورها (٤)

(١) صناديق : كناية عن حفظ الاسرار . لوالبه : جمع لولب : والمراد لا يستطيع
أحد ان يستظهر ما لديه .

(٢) رد على التالى : عودة على الاخير في الهزيمة . الى جن : المراد الخيل . زعتر :
رفع عقيرته .

(٣) ترى : ان يرث يورث . نخله : اتركه .

(٤) ليمن : اذا . افراج : جمع فرج . بفتحيتين :

ايقنت ان يبعث لنا الله ناصر
 والاضطداد يجعل كيدها في نحورها (١)
 واضرب على صعبات الاشيا وكن لها
 بصدم لشدات المعاني صبورها (٢)
 وامسك عنان العزم بالكف يافتى
 فحتف المنايا زار من لا يزورها
 ولتركى بن فوزان بن ماضى من قصيدة :
 الحيف ما يصبر على الحيف رجال
 ان كان في راسه زعانف صطاره (٣)
 اليوم صرف الدهر لى جاب الاهوال
 قد سطره قبلي قوي العبارة (٤)
 استنزع السرحان والهرماسال
 وركب الرديف وراعى الكورداره (٥)

(١) يجعل كيدها في نحورها : فيه الاقتباس .

((٢)) صعبات الاشياء : صعابها .

(٣) الحيف : الجحف . رجال : رجل . زعانف صطاره : شجاعة وانفة .

(٤) جاب : أتى . ولى : متعلق بـجـاب . قوى العبارة : الشاعر القوى الذى يريد

أن يضمن له .

(٥) استنزع : صار نعمة . والسرحان : الذئب . الرديف : الراكب على مؤخرة

الرحل . داره : نحاها .

ولآل عريعر أمراء الخط سابقاً ، وذوي الشهرة في التاريخ ،
لهم شعر يشف عن مجدهم وسؤددهم ، استمع لعرعر بن دجين
أحد مشائخهم :

جضيعي من الهندي مصقول صارم
لما ناش من جثل العظام رماه

وثـوي من البولاد درع وطاسه
يبين لعين الناظرين سناه (١)

فناراعى الهدلا شقا كل عايل
ولو صار مدح الروح فيه سفاه (٢)

فما الشعر الا يفرح القلب ساعة
والافعال تبري للغيلل حشاه (٣)

ولآل سليم أمراء عنيزة ، اشعار ، هي صدى ما يعتمل في
نفوسهم ، وما هم به جديرون .. فها هو زامل السليم في شعره
الحربي البليغ :

(١) البولاد : الحديد : سناؤه : ضوؤه .

(٢) راعي الهدلا : صاحب الناقة أو الفرس الموسومة بهذه الصفة . شقا كل
عايل : شجى في حلق كل معتد . أقول هذا ولو أن مدح النفس معيب ولكنني على بر
في ما قلت .

(٣) يقول ان الشعر مهمته التسلية والتخفيف ولكن الذي يشفى الغليل هي الافعال.

والله ما يجلى عن الكبد اللهب
كود الفرنجى يوم يظهر من خباه^(١)
ومصقلات معتبينه للحريب
تصرخ الى من اللحم علق الشباه^(٢)
كم فرقت يوم الملاقا من حبيب
عليه خله بالدجا يكشر بكاه^(٣)
خلى عشا برق النسور وكل ذيب
والضبعة العرجا تعشى من شواه^(٤)
وله من مقطوعة حربية أخرى :
نضرب البر العبر ما نخاف من الخطر
من وقف بنحورنا طلقت حلايله^(٥)

(١) اللهب : الحرارة . كود : سوى : الفرنجى : البنادق . يظهر من خباه : يخرج من جرابه .

(٢) معتبينه : معدونه للحريب : المحارب .

(٣) الملاقا : اللقاء . خله : حبيه .

(٤) خلى : ترك . برق النسور : من اضافة الصفة للموصوف . والمعنى ان لونها أبرق .

(٥) نضرب : نساقر . البر العبر : الصحراء الموحشة الحالية . نحورنا : أمامنا . طلقت حلائله : المعنى قتل ولبست نساؤه ثياب الحداد .

مع هل العوجا كما السيل الى منه حدر
بامر شيخ مقدم قد مضت فعايله (١)

وربعى القصمان مامنهم اللي ما حضر
باللقى يا شيخ كسابة للطايلة (٢)

ولو ذهبنا نتبع أشعار أمراء الجزيرة ، وشخصياتها
البارزة ، من أمثال آل مهنا ، وآل مرعى ، والهزازنة ،
والأشراف ، والقضاة ، والبواريد ، وآل عسكر ، والتواجر ،
وآل مبارك ، وغيرهم .. وغيرهم ممن اثر لهم شعر جيد ، كان له
صدى في ربوع الجزيرة . لو ذهبنا نعدد شعراءهم ، ونورد
شيئاً من اشعارهم ، لاستبد ذلك بكتابنا ، وخرجنا عن صلب
موضوعنا ، ولكن يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق !!

أما أمراء بادية الجزيرة ، فكلهم ، أو أكثرهم يقرض
الشعر ، وفي شعرهم صورة لبياتهم وطبعائهم ، قل ان نجد
للرقة والسلاسة فيها مكاناً ، ولعلنا نجد مجالا لتناول هذا الموضوع
بالدرس والموازنة في مكان آخر من هذا الكتاب .. ونكتفى من

(١) كما السيل : كأنهم السيل المنحدر . العوجا : العارض وما جاوره . فعايله :
أفعاله الطيبة .

(٢) ربعى : قومى . القصمان : نسبة الى القصيم . كسابة للطايلة من شأنهم كسب المجد .

ذكر هؤلاء بأربعة ، كان لهم في الشر يد ، وفي الشهرة مكان ..
وهم :

مشعان بن هذال شيخ مشايخ عنزة ، وراكان بن حثلين
شيخ العجمان ، وتركي بن حميد شيخ عتيبة ، ومحمد بن
هادي شيخ قحطان .

مشعان بن هذال :

له شعر جيد ، ضمنه فخره ، وفخر قومه ، قال من قصيدة :

حنا شباة الحرب وان شبت النار
وتفازعت بين الجموع المشاهير^(١)

وحنا هل الجمع المسمى الى سار
مركاضنا يشبع به السبع والطير^(٢)

ورفاقته والى حذانا لهم جار
وحنا عليهم نحى الجار ونجير^(٣)

(١) حنا : نحن . شباة الحرب . حده : تفازعت : نفرت : المشاهير : الكبار :

(٢) الجمع المسمى : المشهور . مركاضنا : معركتنا .

(٣) رفاقته : جماعته . اللي حذانا : الذي حولنا .

ومن قصيدة له أخرى :

ياما حلى وقت الضحى طق شوباش

وقامت تنازا بالمناعير جلعود^(١)

وأنا على مثل النداي الى حاش

تنزع كما ينزع من الكف بارود^(٢)

ومن لا يروي شذرة السيف لا عاش

اصبح عليه مورد الجيب مقدود^(٣)

وله أيضا :

يا بايع جوخ على غير اهاليه

مثل الذي ينزل بقصر خرابه^(٤)

لو يدهجه وبل الثريا ويسقيه

ويمطر بياقوت ومسك سحابه^(٥)

(١) ياما حلى : ياما احلى . شوباش : ضرب الدفوف والاستعداد للاغارة :

وقامت تنازا : جعلت تقفز : والضمير يعود على الخيل وإن لم يجر لها ذكر . المناعير : الشجعان . جلعود : ملمومة .

(٢) النداي : الطير . الى حاش : إذا انطلق . تنزع كما ينزع : تنطلق كما ينطلق البارود .

(٣) شذرة السيف : حده . مورد الجيب : ما يفوح منه رائحة الورد . مقدود : مشقوق :

(٤) أهاليه : أهله . خرابة : متهدم .

(٥) يدهجه : يمره .

ما ينبت النوار لو سال واديه
صبخا وجفجاف هيار جنابه (١)

ولد الردي لو طاب لك لا تماشيه
يومين والثالث يبين الردي به (٢)

راكان بن حثلين :

له شعر كثير وجيد ، هو وحى أيامه المليئة بالفتن والأحداث
المترفة بالمصائب ، والمحن .. يقول من قصيدة بعث بها إلى
عبد الله آل فيصل ابن تركي آل سعود ، استهلها بقوله :

قال المعضي بالضحي يبدع القاف
في دار سمحين الوجيه الكرام (٣)

وبعدئذ يبعث ركباً ، ويصف سفينتهم أولاً ، - وكان إذ
ذاك في البحرين - ثم يصف ابلهم السريعة ، وينتهي :

(١) النوار : الزهر . صبخا : سبخه . جفجاف هيار جنابه : متداع منهار لأنه
لا أساس له .

(٢) ولد الردي : ابن النذل .

(٣) المعضي : قبيلته آل معيض فخذ من العجمان . يبدع القاف : ينشئ الشعر .
سمحين الوجيه : سمحى الوجوه .

يمشن ثلاث عقب الاوما والاصلاف
 والرابعة يلفن لولد اليمام (١)
 لي جيت مجلسهم تقل دولة اشراف
 اختص ابو تركي برد السلام (٢)
 سلام احلى من لبن كل مشعاف
 واخن وانوج من عنابير شام (٣)
 ولقتها يا شيخ من كل الاطراف
 نمرى كما وصف الجراد التهامي (٤)
 والله لولا جمعك اللي له ارداف
 دولة هل العوجا سواة النظام (٥)

-
- (١) يمشن : الابل ثلاث ليال . عقب : بعد . الاوما : الايماء . والاصلاف .
 العنق في المسير . يلفن . يصلن . لولد اليمام . لابن الامام .
 (٢) لي جيت : إذا جئت . تقل : تقول . اختص : خص . ابو تركي : عبد الله
 الفيصل . برد : برفع .
 (٣) مشعاف : ذات الشعفة من الابل وليس عند البدوي اطيب من لبن الابل .
 اخن وانوج : اشد خنة ونوجانا وهما ذبوع الرائحة . عنابير شام : عنبر الشام .
 (٤) ولقتها : عبأها والمراد الفرقة الكبيرة من الجيش . نمرى : مجموعة نمور .
 كما : كأنها (ووصف) مقحمة يستقيم المعني بدونها . التهامي : الاحمر ووجه الشبه
 الكثرة والحمرة .
 (٥) الى : الذي . ارداف : كثرة . دولة : طائفة . هل العوجاء : أهل العارض
 ومن جاورهم . سواة : مثل . النظام . الجيش المنظم في طاعتهم واقدامهم .

انا نعدلكم على كل مزقاف

فعل تعرفونه جديد وعامى^(١)

عاداتنا عند المظاهر ننشاف

الى طار ستر معورجات الوشام^(٢)

ليتك لنا يا شيخ بالعين تنشاف

يوم اقبلت دولات صبيان يام^(٣)

معهم فرنجى لحسه تقصاف

مثل الرعد في مدلههم الغمام^(٤)

وقد سجنه الاتراك ، ولما شعر بمرارة السجن ، وقساوة

الكبت ، بعد الغدوات ، والروحات ، في ربوع الصمان ،

والدهناء ، حيث الخزامى والعرار ، والصبا ، والنعامى ، قال

من قصيدة طويلة :

(١) نعدلكم : نصرفكم . مزقاف : فرس شديد سريع . عامى : قديم .

(٢) المظاهر : جمع مظهر وهو الجمال تحمل الهوادج . ننشاف : نرى . الى : اذا . طار : سقط . معورجات الوشام : مفصلات الوشم .

(٣) تنشاف : ترى . دولات : زمر . صبيان يام : شبابها والعجمان من قبيلة يام .

(٤) فرنجى : بنادق . حسه : صوته . تقصاف : هزيم .

فياحظ من ذعذع على خشمه الهوى

وتنشى من اوراق الخزاما فنودها (١)

وتيمم الصمان الى نشف الثرى

من الطف والاحادر من نفودها (٢)

معاوجه سلفان الى لاح بارق

نحت له ولو هو نازح من حدودها (٣)

* * *

فان جر حربي علينا جريرة

صبرنا عليه الين نقوى ردودها (٤)

فايلا قويننا الرد نجزيه مزنة

حمرا تزلزل في رهقها رعودها (٥)

-
- (١) ياحظ : ما أكبر نصيب . ذعذع : مر . خشمه : أنفه . الهوى : النسيم .
تنشى : شم . الخزامى : نبت طيب الرائحة ذو زهر أزرق . فنودها . أغصانها .
- (٢) الصمان : مكان خصب . الى : اذا . نشف الثرى : ييست الارض . الطف
مكان . النفود : الدهناء . حادر : منحدر .
- (٣) معاوجه سلفان : أمام قطعان الماشية . الى : إذا . لاح بارق : اشتعل . نحت
له : عمدت اليه . ولو هو : ولو كان . نازح : بعيد . من حدودها : عن حدودها .
- (٤) جريرة : جيش . الين : حتى . ردودها : ردها .
- (٥) فايلا : اذا . قويننا : عليه . مزنة : كناية عن الغارة . رهقها : منظرها
المهيب .

رعدها القهر ومصيب الدرج وبلها
وحذب مقابيس البلا في حدودها^(١)

تركى بن حميد :

بين يدي الآن من شعره ، قصيدة جزلة ، يحسده كثير من
الشعراء عليها ، ضمنها كثيراً من الحكم النادرة ، التي
تستغرب أن تكون من ابن البادية ، الناشئ بين النجد
والوهاد ، استمع إليه :

قالوا جهلت وقلت جهل بلا قياس
الجاهل الى ما يعرف اليوم^(٢)
واشوف عدلات الليالى مقابيس
ولاحد من الدنيا عظامه سلوم^(٣)
والبني ما يصلح على غير تأسيس
ومن لا تعلم لا تسر العلوم^(٤)

(١) القهر : البارود . الدرج : الرصاص . حذب : جمع أحذب وهى السيوف

(٢) بلا قياس : بلا قياس . اليومى : طريق الصواب .

(٣) أشوف : ارى . مقابيس : منطوية على سوء . ولاحد : ولا احد . عظامه
سلوم : كل قد كسرت الدنيا عظامه — من ذارأيت مسلماً لا ينكب ؟ ! .

(٤) البني : البناء . من لا تعلم : من لم يتعلم . العلوم : التوصيات .

ثم يفضى إلى وصف الجياد ، التى يفرج على صهواتها
هو وطائفته همومه وغمومه ، فيقول :

قب تنازي بالنشامى كراديس
والطير في روجاتهنه يحوم^(١)

عرج ولوهن كنهن القرانيس
على الطريح مصوبرات كضوم^(٢)

ثم ينشر حكمه :

من لا يدوس الراي من قبل ماديس
عليه داسوه العيال القروم^(٣)

(١) قب : جمع قباء وهو الفرس الضامر البطن المقوس الظهر والخبان . تنازى :
لها نزوان على حزون الارض . النشامى : الشجعان . كراديس : جمع كردوس وهى
الزمر . ويحوم الطير على مضطربهن لعلمه أن قوته هنالك .

(٢) عرج : جمع عرجاء ومن عادة الفرس الاصيل إذا أخذ بشكيمته إن يتعارج
ويتجائف بين اعطاء القياد وبين الاستجابة لسجيته . ولوهن : ولو انهن . كنهن
القرانيس : كأنهن الصقور تمت قوادمها وخوافيها بعد السقوط . الطريح : القتل .
مصوبرات : واقفات . كضوم : كاضمات الاعنة . وهذا يشابه قول عمرو بن
كلثوم :

وسيد معشر قد توجهوه بتاج الملك يحمي المحجرين
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعتتها صفونا
(٣) يدوس الراي : يحوك الراى ويحكمه . العيال : الرجال : القروم : الشجعان .

ومن لا يقلط شذرة السيف والكيس

تبدي عليه من الليالى ثلوم^(١)

اعمل وتلقى وافهم العلم بالقيس

دنياك لو زانت تراها نقوم^(٢)

تضحك وتخفى لك خفي الهناديس

تفطر لها يوم والآخر تصوم^(٣)

أما محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان ، فقد كان له من النفوذ والسلطة ، ما يشابه الحكام في نفوذهم ، وسلطتهم ، بحكم امارته المطلقة على قبيلة عظيمة من خيرة قبائل العرب ، ومن أكثرها ، ولهذا فان أمراء القبائل الأخرى تهدي إليه الهدايا ، وتخطب وده ، ومن هؤلاء راكان ابن حثلين شيخ العجمان ، وهم من هم ، في الشجاعة والنجدة ، فانه قد أهدى إليه فرسه ، ولكن النفوذ والسلطة ، لا تجعلانه يحتمل أي

(١) يقلط : يقدم . شذرة السيف : حده . الكيس : كناية عن الكرم والبذل . تبدي : تبدو . ثلوم : ثغرات ونكبات .

(٢) تلقى : تجد . بالقيس : بالقياس . زانت . طابت . تراها : فانها . نقوم : ذات نقمة وانقلاب .

(٣) الهناديس : الالغاز والمعميات . تفطر وتصوم : والمراد أنها قلب تتلون تلون الغول . وفي البيت المقابلة .

بادرة تأتيه من أي شخص كان ، إذ لما أحس ما أحس من
العجمان ، قال محتدا محتدا :
لي لابة حدرتها من تهامة

وسلاحها صنع الفرنجي والاروام^(١)

ياذا البهم والله ان تباري الجهامة

حتاك تنزل بين صفوي والوجام^(٢)

لايد من يــــوم يثور كتامه

اما على المطران والا على يام^(٣)

وهنا يحس راكان وقبيلته ، بالمضض والألم ، أبعد أن
أهدوا إليه الهدايا ، وقدموا إليه يد المسالمة ، يرغي ويزبد ،
ويتهدد ويتوعد ؟ ! ، لا ، إنهم سيدينونه كما دان ،
ويكيلون له الصاع صاعين . فيجيبه راكان :

(١) لابة : طائفة .. حدرتها : اتيت بها . تهامة : ما بين جبال السروات والبحر
الاحمر . الفرنجي : الافرنج . الاروام : الروم .

(٢) البهم : صغار الغنم . تباري : تصاحب . الجهامة : الظعائن وسواد القطين .
حتاك : حتى انك . صفوي والاوجام : قريران قرب القطيف .

(٣) يثور : بتشديد الواو . كتامه : قتامه . يقول ان اليوم الذي ينعقد القتام فيه
قريب . المطران : قبيلة مطير . والا على يام : واما على قبيلة يام الذين هم العجمان
ومن لف لفهم .

يا راكب حر تدرّب سنامه
 في على في جديد وما العام^(١)
 يلفى لنا شيخ كبير العمامة
 شيخ ورمحه في هل الخيل سلام^(٢)
 أهديت لك نور السلف والجهامة
 ابغيه ذخّر في مقادير الايام^(٣)
 غدّيت انا واياك مثل النعمة
 جاها بلاها من ثقيات الاقدام^(٤)
 فان كان تبغى للجحادر سلامة
 فلا تحدر بالجحادر على يام^(٥)

(١) ياراكب : ياراكبا . حرا : نجيبا حرا : والحرار من انساب الابل الحيدة الشهيرة . تدرّب سنامه : علا واكتتّر . في على في : بناء على بناء شبه شحم سنامه بالنأى يقام دون السيل .

(٢) يلفى : يصل . شيخ ورمحه : مبتدأ وخبره الحملة الحالية : هل الخيل : أهل الخيل . سلام : يسلمهم لا ينالهم بسوء رغم أنه شيخ والشيخ لا بد أن يكون شجاعا .
 (٣) نور السلف والجهامة : بهجة الحى وزين القطين والمراد الفرس . ابغيه : اريده ذخرا عندك في الايام القادمة .

(٤) غدّيت : صرت . جاها بلاها : جاءها بلاؤها : ثقيات الاقدام : مناسمها تعوقها عن الطيران مع انها في عداد الطيور .

(٥) تبغى : تريد الجحادر . لقب لقحطان أو لطائفة منهم . تحدر : تنحدر والمراد

تذهب بهم .

يحرم عليك النوط فكة بلامه

ما دام فيها واحد من ضنى يام (١)

(١) يحرم عليك : ذلا ، لا شرعا : النوط : وعاء التمر . فكة بلامه : بدل بعض من كل من النوط . والمراد حل وكائه فيها : يعود الى هجر وما حولها . واحد : اى واحد . من ضنى : من نسل يام وفي هذا البيت مع ما قبله الايطاء

النقائض في شعر النبط

والشعر النبطي حافل بالنقائض ، معرق فيها ، والدواعي
والملايسات التي هيأت نقائض الشعر العربي ، واثارتها بين
الشعراء حرباً كلامية لا هوادة فيها . هي التي تغذي هذا
الجانب في الشعر النبطي ..

فما نراه بين ابن لعبون وابن ربيعة الشاعرين النبطيين
من تهاج ومعارك كلامية ، وقودها النعرات الجنسية ، والتعصب
القبلي .. هو هو ما نراه بين جرير والفرزدق وغيرهما ..

فالصراع الذي بين آل وطبان ، ومعهم آل سعدون ، وفي
كفتهم الشاعر ابن ربيعة ، وبين أهل حريملاء ، ومعهم أهل
حرمة ، يناصرهم ابن زهير ، وفي كفتهم ابن لعبون .. هذا
الصراع هو وقود هذه المناقضات ..

يقول ابن لعبون في ابن ربيعة من قصيدة طويلة :

يمناك تقصر عن فعل نيـة الخير

ومن المراحل ما ذكر بك نماره^(١)

(١) نية الخير : سبيله . المراحل : المكارم . نماره : شجاعة ونخوة .

من طلعتك سهمتك رقص وتسطير
وبالعون ما بك عقب شعرك تجاره (١)

تفخر بسلطان العرب وانت من غير
ما مفخر البزون ليث المغارة (٢)

تدري بجذك من مقافي بقاكير
اقبل وحطه مقرن في جواره (٣)

واقفيت تشتم للصفرات والبير
تقول عود جيتى له خسارة (٤)

لو انت منهم ما رضو لك بتصغير
عند القبائل مظهرين وقاره (٥)

(١) من طلعتك : منذ نشأت . سهمتك : ديدنك . بالعون : كلمة يقولونها تشبه القسم .

(٢) تفخر بسلطان العرب : بابن سعود لان ابن ربيعة ينتمي لآل سعود . البزون : القط .

(٣) من مقافي بقاكير . من رعاة البقر . حطه : جعله . مقرن جد آل مقرن .

(٤) الصفرات والبير : قريتان من قرى المحمل مر بهما ابن ربيعة بعد قفوله من بني عمه آل سعود وكأنه غير راض عن هبته فقال قصيدة ذكر فيها الصفرات والبير ذكرا غير حسن .

(٥) بتصغير : بتحقيق . القبائل : القبائل . وقاره : اعظامه واحترامه .

ويجيبه ابن ربيعة بنقيضة لها جاء منها :
 خذ ما تراه وخل عنك التفاكير
 يا قلب ياللي كل ما جاء داره (١)
 صار الجزالي من رفيقي معاير
 ليته يشارهني مشاري مشاره (٢)
 ان كان حنايا خوالك عطاير
 فحمود تبطل شيمته واعتباره (٣)
 ابـوك اخـذ هندية بالدنانير
 بيضا وتكرم داخله طهاره (٤)
 تشهد لنا عقل قومك بتفخير
 وحنـا هل العوجا وحنـا فقاره (٥)
 يا هيه ، من صنعا الى ما ورا الدير
 انشدك من كل البوادي جواره (٦)

-
- (١) التفاكير : التفكيرات . ياللي : ياالذي . داره : أداره .
 (٢) رفيقي : صديقي . معاير : نبز بالألقاب . يشارهني : يعتب كل منا صاحبه .
 (٣) حنا : نحن . عطاير : جمع عطار وكانوا يكرهون الصناعات ونحوها عادة :
 (٤) تقدم شرح مفردات هذا البيت قريبا :
 (٥) عقل : عقلاء . بتفخير : بالفخر . حناهل العوجاء : نحن أهل العوجاء ،
 وهى ندبة أهل العارض وما جاوره . حنا فقاره : نحن سنام ذلك الصقع .
 (٦) ياهيه : يا هذا . الدير لعله دير الزور في سوريا . جواره : بجواره :

أما العزي والعرينى فقد كان ما بين ابن صباح وابن رشيد
- آنذاك - سبباً في رفع كل منهما عقيرته في جانب من يحب ،
فكان العزي في جانب ابن رشيد ، وكان العرينى في جانب ابن
صباح لحسن صلاته بابن سعود ، وذلك يوم وقعة (الصريف)
يقول العزي :

يا مزنة غرانشت من مغيبه

ترعد وتبرق ساقها رب الارباب (١)

همت ودمت وادلهمت غضيبة

واستثقلت بالي للارواح جذاب (٢)

ترمي السخط ياويل من بي تصيبه

باركانها تسمع كما ضرب الاطواب (٣)

تبغى الحريب اللي دنا من حريبه

ابن صباح اللي تعرض للاسباب (٤)

(١) يامزنة : يالمزنة . من مغيبه : من جهة مغيب الشمس . وهي جهة نشوء المزن
في تلك الجهة .

(٢) همت : علا هزيمها . دمت : جرفت ما مرت به : ادلهمت : اسودت .
غضبية : موحشة . بالي : بالذي يزهق الارواح .

(٣) السخط : تقذف بالهلاك . من بي تصيبه : من ستصيبه . كما ضرب الاطواب
كضرب المدافع .

(٤) اللي تعرض للاسباب : الذي اجج نار الحرب بمساعبه .

إلى أن قال :

يا ذيب سفوة ناد ذيب الزريبة

واقنب لها يا ذيب في كل مرقاب^(١)

ولا تفرس الا كل بيضا تريبه

وافرس مشاكيل وزلبات واركاب^(٢)

نويروعك بالخضيرا نحيبه

يبغى الجموع الى عليها السما ذاب^(٣)

وينقل إلى العرينى ان العزى قد قال هذه القصيدة ، في هذا

الغرض ، ولم يعرف الناقل منها ، إلا أنها مبنية على (آب وإيبه)
فيندفع :

يا قاطعين البيد ودوا الى كتاب

رد على قول لفى منه ريبة^(٤)

قول عن العزى وانا انكرت ما جاب

مطيع نمام مشى بالحريبة^(٥)

(١) سفوة والزريبة : مكانان . اقنب : صوت . مرقاب : موضع عال .

(٢) مشاكيل : رجال كرام . زلبات : خيل .

(٣) الخضيرا : كبد السماء . نحيبه : صوته المخيف . الى عليها السما ذاب :

كناية عن انها امطرت بالرصاص .

(٤) البيد : جمع بيداء . ودوا : اوصلوا . لفى : وصل . منه ريبة : يرتاب منه

(٥) ما جاب : ما أتى به . مطيع : لا اطيع . بالحريبة : بالقطيعة .

إلى أن قال :

يا بادع القيل في دار الاجناب

شبهت بك موسى قطع في قضيبه^(١)

الشيخ ابو جابر حثا المال بابياب

غرس غذا وادي حنيفة رطيبه^(٢)

والحرب يكفونه مجدعة الاسلاب

لى جدد وا جرح تعايس طبيبه^(٣)

لى قيل ياهل الخيل ذا يوم الحزاب

يتلون ابو خالد مدرب مهيبه^(٤)

ايلي اهوى على عمشى السعد كنه عقاب

طير الوحوش الى هوى من شعيبه^(٥)

(١) يابادع القيل : يا قارض الشعر . شبهت بك : شبهتك : موسى قطع في قضيبه :

موسى يغمد في مقبضه بينما المنتظر ان لا ينال مقبضه منه سوء .

(٢) أبو جابر : مبارك الصباح . بأبياب : بأنايب أو صفائح :

(٣) مجدعة الاسلاب : ملقون لباسهم في الحروب وهى عادة معروفة عند بعض

العرب . تعايس طبيبه : عز دواؤه على الطبيب .

(٤) لى قيل : إذا قيل . ذا يوم الأحزاب : هذا يوم عظيم يشبه يوم الأحزاب :

يتلون ابو خالد : يتبعون أبا خالد وهو الامير محمد بن عبد الرحمن أخو الملك عبد العزيز

مدرب مهيبه : مروض الجبناء على الكر والفر .

(٥) ايلي اهوى : اذا كر . عمشى : فرسه . كنه عقاب : كأنه عقاب . طير

الوحوش . النخ : بدل منه .

ولحمد الوائلى مع المشنق - وكلاهما من أهل حرمة في
سدير - مناقضة مبعثها أن رجلا يدعى سيف الغنيمى الشمري
من سكان بلد حرمة ، كانت له مزرعة في ناحية البلد ، وكان
حمد الوائلى ذا ولع بالرماية ، والقنص ، وكانت مزرعة الغنيمى
في طريقه جيئة ، وذهاباً ، وكان أحياناً يتزود منها بالماء ،
و ذات يوم جاء ومعه صيده ، وعرج على المزرعة ليشرب ، فلم
يجد بها إلا بنيات الغنيمى ، فشرب واستظل في ظل كرمة
كانت هنالك ، وتناول منها عنقوداً ، ثم ترك من صيده شيئاً
لأهل المزرعة ، لأنه من عادة القناص أن ينيل من صيده ،
لا سيما من استشرف لذلك ، أو أسدي إليه معروفًا ولو يسيراً ،
ولما وجد أبو البنيات الصيد عندهن قال : أنى لكن هذا ؟ قلن
تركه قانص مر بنا وشرب ونال من هذه الكرمة شيئاً .. فشك
والدهن في القضية ، وظن أنه أراد بأهله سوءاً فاجتث الكرمة
من أصلها ، وسحبها على حمار له ، حتى ألقاها عند باب
المسجد في يوم جمعة ، فتساءل الناس ما الخبر ؟ فقال إن هذا
الوائلى قد ابتلاني في محارمى ، بحجة الاستغلال في ظل هذه
الكرمة ، فعسى أن يكون تصرفي هذا ما نعاله . فذاك أهالى حرمة
يومهم ذلك ، ثم أجمعوا على ضرب الوائلى ، رغم أنه من سراتهم
وشجعانهم ، ومن حصون البلاد الحصينة ضد أعدائها ، ولكنهم

آثروا اكرام الجار ، على الابن البار . فضربوه ، ولكنه رباً
بنفسه عن دار اهانتة بدون ذنب ، فنزح إلى حوران من أطراف
الشام ، ومن هناك بعث بقصيدة يبدي فيها عتبه ، ويلوم
صاحبه ، منها :

الى حيث بان العيب لى من كبارنا
بيان لكل العالمين شهير^(١)

على بالهم ما عيش في غير دارهم
ولا من سدي خيط الكلام أنير^(٢)

قد شفت مغموز البنانين عندهم
كبير وكساب الجميل حقير^(٣)

وسيف الغنيمي عندهم رأس مغنم
من عقب ما ينقل سقاه خضير^(٤)

(١) الى حيث : حتى . بان العيب : ظهر الخفاء . كبارنا : رؤسائنا .

(٢) على بالهم : يظنون انني لا اعيش في غير دارهم .

(٣) قد شفت : قد رايت . مغموز البنانين : الرجل التافه .

(٤) سيف الغنيمي : صاحب الكرمه . رأس مغنم : غنيمة كبيرة . من عقب :
من بعد . سقاه خضير : من بعد ان كان راعيا ينقل لبنه الممزوج بالماء الكثير في سقائه
على ظهره .

فكم نثرت يمني من ساخن الدما
الى ثار من عين الضبوح ذخير^(١)

قومي عن العليا بعباد وشبرهم
عن الجود عند الملزمات قصير^(٢)

انا اظن من قد باعني غير رابح
الى طق في بعض المواقف زير^(٣)

فلا بد في يوم الوغى تذكروني
الى شب في حرب الرفاقة كير^(٤)

فأثار ما جاء في هذه القصيدة من غمز وتنديد ، حفائظ
بعضهم فانتدب المشتق لمناقضته ، فقال من قصيدة طويلة :

وقد هاض ما كنيت طرس مورخ
لفاني كما كتف الغزال هجير^(٥)

(١) الضبوح : بندقية اسمها هكذا . ذخير ؛ ما يحشى به مضرب الزناد من البارود .

(٢) الملزمات : الازمات . شبرهم : المراد جهدهم كما يقال : قصير الباع .

(٣) الى طق : اذا دق . زير : طبل وكانوا يضربونها في الحروب .

(٤) الى شب : اذا أوقد . الرفاقة : العصبة . والمراد إذا اشتعلت نار الحرب .

(٥) هاض : اثار . كنيت : اكننت . طرس : رسالة . لفاني : وصلني . كما : كأنه .

ولكن كافانا بالانكار والهجاء

وهو تايه ماله قدا ومشير^(١)

فما ذكر قبله واحد سب قومه

لو كان سعبوب يسوق حمير^(٢)

وقولك في يوم الوغى تذكروني

الى طق في بعض المواقف زير^(٣)

عليت وهذي منك يا شيخ وهمة

وتصوير مالا كان ، كيف يصير^(٤)

فما بان لك فيما عندنا الا سلامتك

زمان انت تغذى كاهل وصغير^(٥)

فما يستحق المـدح الا مجرب

حسامه الى حق الزحام طرير^(٦)

(١) تايه : تائه . ماله قدا ومشير : ليس له معقول ولا ذوراي يهديه .

(٢) واحد : احد . لو كان : ولو انه . سعبوب : تافه .

(٣) وقولك .. الخ : يحكى قوله .

(٤) عليت : دعاء تهكم وسخرية . وهمه ، خطأ . كيف يصير : استفهام

انكاري .

(٥) الا سلامتك : لم يسبق لك فعل يذكر .

(٦) الى حق الزحام : اذا قامت الحرب على قدم وساق . طرير : قاطع .

وان كان للاجناب حق وحشمة
ترى جارنا في الملزمات يجير (١)

ومن عافنا زعلان عفا قباله
لو كان قدره قبل ذاك كبير (٢)

وما بين قبيلتي قحطان وعتيبة ، من حروب ، وثارات ،
هو ما حدا بشيخي القبيلتين ، تركي بن حميد شيخ عتيبة ،
ومحمد بن هادي شيخ قحطان ، للمناقضة ، والتهاجي ، فيقول
تركي بن حميد في ابن هادي من قصيدة :

الشايب الى ينقل الكبر والنوم
يقرا الكتاب ولا يهاب المضلة (٣)

اهديت له خمس وسادسهن التوم
وقعود زين عندهم ما حصل له (٤)

(١) حشمة : كرامة . الملزمات : الازمات :

(٢) عافنا : تنكر لنا وصدعنا . قباله : مواجهته .

(٣) الشايب : الشيخ الطاعن في السن . النوم : الغطسة . ولا يهاب المضلة :
ولا يخشى الموبقة :

(٤) خمس : من الخيل . التوم : لعله حصان ، قعود زين : جمل زين رغم ذلك
لم يحصل له منهم .

انتم كما ضلع على الخد مزوم
والله خلقنا له نجوم تهله (١)

وانتم كما حوت من البحر لاهوم
والله خلقنا للواهم علة (٢)

انا برمحي في هل الخيل مرسوم
يوم ان رمحك عند سارة تشله (٣)

فيجيبه ابن هادي بقصيدة منها :

ما خلقت الدنيا ولا الدين في يوم
واللي تمنى حربنا مضحي له

حربنا لو جض ما هوب مليوم
اللي وراه يجض من جضة له

ان كان رمحك في هل الخيل مرسوم
فانا برمحي حامى نجد كله (٤)

(١) مرسوم : مغلب : سارة : لعلها حليلته . تشله : تنقله .

(٢) كما ضلع : كجبل . الخد : الارض . مزوم : مرتفع . تهله : تدكه .

(٣) لاهوم : يلتهم ما حوله . ونحن علة ذلك الحوت .

(٤) إن كان رمحك . الخ : يحكي قوله . حامى : حام .

أما شالح بن هـدلان ، أحد فرسان قبيلة قحطان ، فكان له
أخ اسمه (الفديع) قتلتـه عتيبة ، فطواها شالح في نفسه
يتـرقب الفرصة المؤاتية ، وفي جولة من جولات قحطان مع عتيبة
قتل قحطان عبيد بن حميد أحد فرسان القبيلة ومشائـخها ، فرفع
ضيف الله بن حميد عقيرته ، بقصيدة مشجية مبكية ، قال منها :

يا ونـتى ونة مريض الحـرارة

والى وقف ما احتال والى قعدون^(١)

عليك يا شباب ضـو المنارة

عليه ترفات الصبايا ينو حن^(٢)

تبكيه قطعان رعت بالزبارة

والى بغن يم خايـع ما يردن^(٣)

الخيـل عقب عبيد جاها غـتارة

حتيش لى راحن وحتيش لى جن^(٤)

(١) يا ونـتى : يالله من انتى . ما احتال : ما اطاق . والى قعدون : ويئن اذا قعد .

(٢) شباب ضـو المنارة : موقد النار كثيرة الرماد . ترفات الصبايا : اللطيفات
الكواعب . ينوحن : ينحن .

(٣) قطعان : جمع قطع . الزبارة : موضع . الى بغن : اذا ارادن . خايـع :
نبت ملتف .

(٤) غـتارة : أصابها كلال وانحلال . حتيش : ثم ماذا ذهابها وإيابها بعده .

كم شيخ قوم فيه نطفى بناره
مير الجروح الى وزن كيف يبرن^(١)

فيجيبه شالح بنقيضة ، منها :

ضيف الله اشرب ما شربنا كداره
فجروحي الى خافيات تداون^(٢)

من طرثوب الناس شقوا وزاره
ومن ضحك بالدقمان يضحك بلاسن^(٣)

عسى يمينه ما تجهها الجبارة
اللي رماه بقطر هن يوم هجن^(٤)

من صلب ابوي وضاري بالشطارة
رمحه دريع يوم الارماح يخطن^(٥)

(١) فيه : من أجله . نطفى بناره : سوف نقضي عليه . مير الجروح : لكن الجروح . وزن : تغلغلن والمراد الحزن .

(٢) ضيف الله : يضيف الله . كداره : عكره . تداون : اندملت .

(٣) طر : شق . الدقمان : من لا أسنان لهم . والمراد الجزء من جنس العمل .

(٤) عسي يمينه : لتسلم يمينه من الجبيرة . بقطرهن : بجانبها . يوم هجن : لما نكصت . مسرعة .

(٥) من صلب ابوي : من لحمي وعشيرتي . ضاري بالشطارة : آلف للشجاعة :

دريع : مصيب .

يا قاطع الحسنى تري العلم شارة
لابد دورات الليالى يدورن^(١)
ما اخبلك يا راقد يجوف الخبرة
الا ان تنادي باسم ربك وتامن^(٢)
وهذا باب واسع وميدان رحب نكتفى منه بما أوردنا .

(١) ترى العلم شارة : ان العلم اشارة . والمراد لا تتفوه بكلام متهور بأن ستأخذ به رجالا كثيرين فنحن لك أيضاً بالمرصاد .

(٢) ما اخبلك : ما اشد جنونك بجوف الخبرة : وسط منطقة الخطر .

أدوار شعر النبط

ولا أراك تشك في أن هذا الشعر ، الذي ولج كل مولج ،
وذهب كل مذهب ، وعني به الملوك ، والسادة ، والقادة ، كما
عنى به سواد الناس ، ودهماؤهم ، وبالجمله حل محل الشعر
الفصيح ، أيام ازدهاره ، وانتشاره .. ما أراك تشك في أن له
أدواراً ، وأنغاما ، وأصواتاً ، مختلفة العرض ، ومتباينة
التلحين ، والمقاطع ، والأهزاج .. تبعا لرغبة العربي ، ومشياً
وراء دواعي الشعر ، ومقتضياته ..

فمجالس القوم ، وانديتهم ، حيث السمر ، والتحدث ،
وعرض المدائح ، والمفاخر ، والقصص ، ومنادمة الملوك .. هذه
الناحية يناسبها عرض خاص على صفة خاصة ، يتخذ فيها
المنشد احدي طريقتين :

١- أن يعرضه بتلحين خاص ، يمد به صوته ، بقدر
ما يسمع الحاضرين ، ويحاول أن يعرضه بصوت
مشج ، مؤثر ، ذي نغمات ، ومقاطع لها أكبر الأثر
على القلوب ، والقوم مع هذا كأن على رؤوسهم الطير ،
مصيخين لانشاد المنشد ..

٢- عرضه على طريقة السرد ، والقراءة البطيئة ، مع شيء
من أسلوب التهويل والتعجب ، يدخلها المنشد في
إنشاده ، ليظهر الشعر بمظهر القوة والسمو ..

وهذا اللون من الشعر هو ما يسمى (بالديواني) ولعله نسبة
إلى الديوان للملك ، أو لغيره ، وما يعرض فيه ، وهو قريب -
ويسمى أيضاً (بالمسحوب) ولعل للتسمية أصلاً ، في طبيعة
انشاد هذا اللون من الشعر ، لأن منشده في تمديده لحروفه ،
وانينه عند بعض مقاطعه ، كأنه يسحبه سحباً !!

والديواني ، أو المسحوب ، قد استبد بأكثر الشعر النبطي ،
لأن المطولات من المدائح ، والمراثي ، والوطنيات ، والقوميات ،
والوجدانيات .. كلها أو معظمها ، من هذا الدور ، وإن كان منه
ما يصلح أن ينشد ، في أدوار أخرى ، كالحرب ، أو كنشيد
الأعمال ، أو الهجيني ، وهذا لسعة دائرته ، وخصوبته .. ومن
هذا الدور جاءت الملقبات ، كخلوج العوني ، وعروس العريني ،
واستغاثة محسن ، وفلكية القاضي ، ودالية الخلاوي ، وكافية
بركات .. الخ .

الحربي :

هو أحد الأدوار الشهيرة في الشعر الشعبي ، وهو نشيد رقصة الحرب ، أو ما نسميه عندنا (بالعرضة) ولا بد له من جوقة ، تتجاذبه ، على شكل صفيين ، أو فريقين ، وتردد أهازيجها به ، وتتمايل على نغمات الطبول ، وتكاد لا تخرج معانيه عن الشجاعة ، والفروسية ، وبيع الأعمار ، وحماية الدمار ، والذب عن الديار ، مما يلهب نفوس القوم ، ويهزمهم إلى الشجاعة والفداء ، ولا تنس ما لايقاعات الطبول هنالك ، من الأثر السحري في نفوس القوم ، وهذا الدور ينقسم إلى مقاطع منها الطويل ، مثل قول العرينى :

راكب حر كما الربدي خبيبه

مثل سبق الطير خرج له لى عدايه (١)

نصه ابن سعود شباب الحرية

راية أهل الدين دون اللي لجابه (٢)

-
- (١) راکب حر : ياراکبا نجیبا حرا . كما الربدي .. كأنه في عدوه ربد النعام . سبق الطير : سیور توضع في رجلى الصقر لربطه بها عند القبض علیه وارسالها معه عند ارساله . خرج له : مزود كبير يوضع فوق بث الراحلة ويزود بهذب وعثاكيل من الابريس الملون ، فهو يصف ذلك عند عدو هذه الراحلة ، بسبق الطير ، وقت طيرانه .
- (٢) نصه : أقصد به . الحرية : الحرب . دون اللي لجابه : معهم .

شيخ جهال يبوجون الضريبة—
من مناشيهم يشبون الحراية (١)
أهل وادينا على العايل مصيبة—
من مشى عقناه من عصر الصحابة (٢)
كم صبي في نحاهم طن ذيب—
في مداس الطير ينعونه حبابه (٣)
ومنها القصير مثل :

ساعتين يشيب اللي حضره—
يمة الجددي عن روضة مهنا (٤)
كن ربي على الدنيا— حشرها
يوم ثار الدخن منهم— ومنا (٥)

* * *

-
- (١) جهال : شبان فيهم فورة الشباب وقوته . يبوجون الضريبة : يوسعون الضرب .
من مناشيهم : من نشأتهم .
(٢) أهل وادينا : أهل وادي حنيفة . على العايل : على المعتدى . من مشى :
من اعتدى . من عصر الصحابة : منذ ذلك العصر .
(٣) كم صبي : كم شاب فتى . في نحاهم : في معتركهم . طن ذيبه : صوت
للداته . في مداس الطير . في محاله . حبابه : أحبابه .
(٤) يمة الجددي : شطره . روضة مهنا : قرب القصيم .
(٥) كن ربي : كأن ربي حشر الدنيا .

كله لعين من هلت عبرها——
جادل خضبت بالكف حنا——^(١)

وهذا دور ثالث :

يا نديبي ترحل—— وافتهم من——
راعي القيل لاقواله نقاضيهها^(٢)

حن هل الحرب لي من—— تبينا
والحرايب نولعهها—— ونطافيهها^(٣)

كل ما ثار حرب ولعته—— حنا——
نوقد النار تاكل من يصاليهها^(٤)

ورابع :

روح الريح من ديرة العوجا يخیلونه
بارقه لايح وبله كما درج يصبونه^(٥)

(١) لعين : لاجل . عبرها : عبراتها . جادل : ذات جديلة .

(٢) يانديبي : يارسولي . ترحل : اركب راحلة . راعي القيل : صاحب الشعر .

(٣) حن : نحن . لي مناتبينا : اذا دعت الحاجة .

(٤) ولعته حنا : أصحاب الشرارة الأولى فيه نحن .

(٥) روح الريح : نشأ السحاب عشية . ديرة العوجاء : هي الرياض وما جاورها .

يخیلونه : يشيمونه . كما درج يصبونه : كأنه رصاص البنادق يصب في القوالب ويخرج بشكل ملموم .

صافي الجوهر عادة هل الضيرين يروونه

من تولينا ما عودوا ربه يشلونه (١)

ناحوا احبابه عند الركائب حيل من دونه

الله الخابر دوك ابن متعب ما ثنوا دونه (٢)

وله مقاطع وأصوات كثيرة :

الهجيني :

نسبة إلى الهجن ، وهى عندهم مطلق الابل المذلة ، وهذا الدور يرفعون به عقائرهم ، على ظهور الإبل ، ويتجاوبون أدواره بينهم ، بصوت مرتفع مشج ، يبدأه الشاعر بشطر البيت ، وربما بكل البيت ، وأحياناً بتكرار شطر البيت ، ليجابه الفريق الآخر ، على نحو ما بدأ ، مجتمعاً ان كانوا جماعة ، ومفرداً إن كان واحداً ، ثم يعود الشاعر مع فريقه ، ان كان له فريق ، وإلا منفرداً بتكرار ما بدأ به ، ليرد شطر

(١) صافي الجوهر : السيوف الصقيلة : عادة هل الضيرين : من عادة أهل الرياض إرواؤها . تولينا : ولينا . ما عودوا ربه يشلونه : مارجع قومه يحملونه .

(٢) ناحوا أحبابه : بكوا . حيل من دونه : استولى عليه . الله الخابر : الله شهيد على ما أقول . دوك : انظر . ثنوا دونه : ما حالوا بينه وبيننا .

البيت إن كان بدأ به ، أو البيت كله مرتين ، أو ثلاثاً ، ثم ينتقل إلى الشطر الثاني ، أو البيت بتلقيه لفريقه إن كان له فريق ، وهكذا حتى نهاية القصيدة ، والحربي مثله في كيفية التغنى به ..

غير أن هناك ظاهرة تستحق التسجيل ، تلك أن الإبل تهتز لهذا الغناء ، وتأخذها نشوة عجيبة ، تستغرب أن توجد في الحيوان ، ولولا أنني شاهدت هذا الشيء وعرفته أيام كانت لي على ظهورها ، أطوار ، وأدوار ، لما صدقت ذلك . فمثلاً يأخذ السرى من الركب مأخذه ، وتتراقص أعناقهم على ظهور المطى نعاساً ، ومن ثم ينفرط عقد الركب ، ويتباعد ما بين حباته ثم يمد أحدهم صوته مغنياً ، فيجابه آخر ، وآخرون ، وسرعان ما تجد هذه الإبل ، المنبثة هنا وهناك ، تآزر إلى هذا الصوت ، وتسيل أعناقها نحوه ، شاء راكبوها أم أبوا ، حتى تلتئم ، وتأخذ تطس الأرض بمشافرها وتلعب بأعناقها ، حتى يشعر الراكب - وقد تلامست جنوب هذه الإبل ، ودنا كل من صاحبه - يشعر أنه فوق سفينة ، يحركها النسيم رخاء !!

وله أصوات مختلفة :

صوت (١)

يا راكب الي بعيد الخـد يطـونه

بواطن من ضرايب جيش ابن ثاني^(١)

ومن الثميلة لدار الشـوق يمسـنه

لى روحن بالوصايف جول غزلان^(٢)

تكفون يا اهل النضا سـجوا عليـهـنه

سـجوا ولـجـوا وسيور العمر فاني^(٣)

لابد من خرقة بيضا على السنة

والموت من قبلنا ما عاف راكان^(٤)

(١) ياراكب الي : ياراكبا التى . بعيد الخد يطونه : بعيد المدى يطونه بسرعة مشيهن وصلابتهن . بواطن : من بطين عمان . من ضرايب جيش ابن ثاني : انجبتها فحول ابل ابن ثاني وكان ينتقي الابل ويصطفي سلالاتها العريقة كالمهريات ونحوها .
(٢) من الثميلة : تسرح من مكان يقال له (الثميلة) . ديار الشوق : ديار المحبوب . يمسنه : يأتيه مساء : لى روحن : اذا مشت رواحا بالوصايف : فوصفهن وصف جول الأطباء .

(٣) تكفون : هذا دعاء بأن يكفى المرء كل شر ولكنه يأتي في كلامهم بصيغة الندبة . يا اهل النضا : يا اهل الابل . سجوا عليهنه : أمعنوا في السير . لخوا : ارفعوا أصواتكم بالحداء والغناء : سيور العمر فاني : لابد ان يفنى .

(٤) خرقة بيضاء : المراد الكفن . على السنة : على الشريعة . ما عاف راكان : لم يعف عن راكان بن حثلين الزعيم والشاعر المشهور .

صوت (٢)

يا حمود انا بكرتي غضة

والجيش جافيه خفخاف (١)

جا للربع فوقهن جضة

جناك مع الحزم زلاف (٢)

ترى الذي جيه حظه

ممساه منبوز الاردا (٣)

راعي جديـل الى قضية

ساف تعلى على ساف (٤)

صوت (٣) للشاعر دبيان السبيعي

ارفع الصوت ما هاضني طرب

والاجاويد مثلي يعذرونه (٥)

(١) بكرتي : ناقي . غضة : فتية لا تتحمل العنف : الجيش : الابل جافيه خفخافي : طفق يغذ السير ويشد فيه .

(٢) للربع : للجماعة . جضة . أصوات . زلاف : منحدرات .

(٣) ترى : ان . ممساه منبوز الأرداف : يمسي لدى محبوبته نابية الردين .

(٤) راعي : صاحب . جديل : فرع : قضه : نقض ظفائره . ساف تعلى . الخ أصبح سباحات على منكبيه .

(٥) هاضني : شجاني . الاجاويد : الأجواد ، الكرام .

لا تقولون مجنون يا عرب
 راعي الحب يا ناس ذالونه (١)
 يابس الكبد عطشان ما شرب
 كود اهل داعج العين يسقونه (٢)
 غصن موز لحوض اللزا قرب
 واحلالاه يا هزعة غصونه (٣)
 صوت (٤) لدبيان ايضاً
 والله اني على الهزعة غليل الضماير
 لو ذلولي من المطراش وان جهدها (٤)
 يا عشيري تري لولا العيـــــون النظاير
 كان جيتك على الوجنا الوحيدة وحدها (٥)

(١) راعي : صاحب . ذالونه : هذا شأنه .

(٢) كوداهل داعج العين : الا أن يسقيه أهل محبوبته ذات العيون الدعج ،
الواسعة .

(٣) حوض اللزا : مجمع الماء تخرجه الساقية . واحلالاه : ما أشد وجدي .

(٤) الهزعة : التعريجة . لو ذلولي من المطراش : لو كانت ناقتي من وعشاء السفر
وانية .

(٥) ياعشيري تري : يا حبيبي انه . النظاير : المراقبة . الوحيدة وحدها : لا يعلم
بي ولا بها احد .

مشته مرتك لو كان بيعي خسائر

من حسب فايث الدنيا يبذره عددها (١)

يا وجودي على هرجة خفي السراير

وجد خطوى العجوز اللي توفي ولدها (٢)

كل ما حل له طاري تهل العباير

وكل ما قيل يا مرحوم تصفق بيدها (٣)

القلطة .. أو الرد :

وربما يدور بخلدك ، ان تسألني عن بديهة ابن الصحراء ،
وحفيد ذاك الذي تجبهه المشكلة ، ويبلى بالشاعر ، يتربص به
الفرص ، ويلزه في مأزق ضحك ، بهجو ، أو لغز ، او امتحان
ملكة .. فيلتفت إلى قريحته ، ليجدها معيناً ، صافياً ،
لا تكدره الدلاء ، فيخرج من مأزقه ، ظافراً منصوراً .. كما
حدث لحسان إذ يأتي شاعر تميم مفاخرًا ، أمام رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، مدلاً بقصيدته ، التي أمعن في تنقيحها ،
وتهذيبها ، ولم يكن من الرسول إلا أن أصدر أمره إلى حسان ،

(١) مرتك : المرور بك . يبذره : يؤذيه .

(٢) وجودي : ما أشد وجدي . هرجة : حديث . وجد : ان وجدي بها مثل
وجد احدى العجائز مات وحيدها .

(٣) طاري : ذكر . العباير : العبرات .

بأن يجيبه وأمامه هذا الحشد الحاشد ، ويتحتم عليه طاعة
الرسول ، والشعر شמוש لا يدين لأيّما حال ، ما لم تكن
خاضعة لقوانينه الخاصة .. ولكن بداهة حسان انطلقت ، بشعر
مهذب ، رصين :

ان الذوائب من فھر واخوتھم
قد بینوا سننا للناس تتبّع
قوم إذا حاربوا ضروا عــــدوھم
أو حاولوا النفع في اشیاعھم نفعوا
سجیة تلك فیھم غیر محدثة
ان الخلائق فاعلم شرھا البدع
لا یرقع الناس ما أوھت اكفھم
عند الدفاع ولا یوھون ما رقعوا
ان كان فی الناس سباقون بعدھم
فكل سبق لادني سبقھم تبـــــع
اعفـــــة ذكرت فی الوحی عفتھم
لا یطبعون ولا یزري بھم طمـــــع
لا یفرحون إذا نالوا عــــدوھم
وان اصابوا فلا خور ولا جزع

وأظنها لا تعزب عنك قصة أبي تمام . حينما أنشد أحمد
بن المعتصم قصيدته التي مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس
نقضى ذمام الأربعة الأدراس
وحينما وصل إلى قوله :

أقدام عمرو في سماحة حـاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس
ما كان من الكندي الفيلسوف إلا أن استوقفه أمام الممدوح .
وفي نأديه المزدحم ، قائلاً له : ما زدت على أن شبهت الأمير
بجلف من أجلاف العرب . وهو فوق من ذكرت ، ولم يثقل
على سرعة خاطر أبي تمام . وقرب بديهته . أن يقول على
الفور :

لا تنكروا ضربي له من دونـه
مثلاً شروداً في النـدى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلاً من المشكاة والنـبــراس

هكذا كان العربي قديماً . ولم تكن هذه الملكة لتموت فيه .
بل هو محتفظ بها . احتفاظه بعباداته الكريمة : وخصائصه المثلى .

وهذا الدور ، من أدوار الشعر النبطى - القلطة - يكشف لنا عن هذه الملكة ، العجيبة في العربي .. ففى سمرهم في البادية ، أو في مجالس الأمراء ، يجىء شاعرهم ، لا يدري أي ناد قدم عليه ، ولا أي مجتمع سيقف فيه ، ولا أي شاعر سيبارزه ، فينحاز إلى صف ، والشاعر المبارز إلى صف آخر ، وكل من الصفيين وقوف ، يريد شعراً يستهلكه ، والشعر لم يولد بعد ، فيبدأ أحد الشاعرين دوره ، على وزن مخصوص ، وقافية مخصوصة ، ومعنى مخصوص ، فيتلقفه منه صفه ليتلقفه منه الصف المقابل ، بصوت واحد ، ونغمة واحدة ، وربما صحبه صفق بالأيدي ، موقعا على نغمة الصوت ، وليس من حق الشاعر المقابل للبادي أن يتركهم يهزجون ، ببيت الأول ، فوق ثلاث مرات ، دون أن ينقلهم إلى بيت آخر ، موافق للأول ، في الوزن والقافية ، وفي حدود معنى الأول ، بالموافقة أو الرد ..

فأي خاطر هذا الذي في مدة انشاد البيت مرتين ، أو ثلاثاً ، يستحضر وزنه ، وقافيته ، وتهجينه ، أو تحسينه ، وقد كان أجنبياً من كل هذا ؟ !

ويتفرع من هذا الدور أدوار أيضاً .

فهاهما ذان ابن دويرج والغرمول الشاعران النبطيان يقف
كل منهما في صف فيبدأ :

صوت (١)

ابن دويرج :

سلام يا الشاعر الى كل ما شفته صقرني
مثل الحبارى ايلي من شافت الصارم صقرها (١)
الغرمول :

تعيش يا الشاعر الي عند حقى ما حقني
أنا لك ارنب سلف وعيونها لى بحرها (٢)
ابن دويرج :

لا تحسبنى (جريف) كل من جاني طمرني
تراي غبة بحر ما كل من جاها عبرها (٣)

(١) سلام يا الشاعر : سلامى عليك : شفته : رأيت . صقرني : أراعى وداخلتني
الهيبة منه . ايلي من : اذا ما . الصارم : الجراح الجرىء .

(٢) تعيش : دعاء له . أنا لك : انا من اجلك . ارنب سلف : الأرنب تقفز من
مخيمها على صوت الركب وقد أحاط بها ، فتظل تعدو هنا وهناك ، حتى يقبض عليها .
للى بحرها : للذي قنصها ، ولهم طريقة في (بحر) الارنب يطول شرحها .

(٣) (جريف) تصغير جرف وهو جانب ما يخذه السيل ونحوه في الارض وفيه
الطويل والقصير . طمرني . تجاوزني . تراى : اني .

الغرمول :

والله لخاطر بنفسى وان عجزت الله عذرني

كلش ولا قوله الغرمول عود عن خطرها (١)

ولم يطب لشاعر قبيلة أن يسمع شاعر قبيلة أخرى ، يتغزل بحسان قبيلته ، ثم لا يقف منه موقف المنافح ، والساخر . لذا كان نصيب الشاعر العتيبي ، حينما وقف في أحد صفى قبيلة حرب ، متغزلاً بفاتنة منها ، كان نصيبه أن سلقه الحربي . بأبيات ، مرة ، لاذعة . فلقد قال العتيبي :

صوت (٢)

كل ما قلت ارجهن القلب (ردعة) جاته

جادل تمشط مقاديمه بورس وحنا (٢)

(١) لا خاطر : لا غامر . كلش : كل شيء اقبله إلا ان يقال كذا وكذا .
عود : نكص .

(٢) ارجهن القلب : هداً وسكن . (ردعة) اسم معشوقته : جادل : ذات جدائل وهي الظفائر من الشعر . تمشط مقاديمه : تظفر مقدمة شعرها . بورس وحنا : بورس أخلاط من الافاوية والرياحين والاصباغ يضمخ به الجسم . والحنا معروف ولكن لا يعزب عن ذهن القارىء أن هنا حذفاً ، والتقدير : وتخصب يديها بالحنا .

بنت شيخ مايحيد الطير عن منداته
له مقاديم الظعن قحص المهارتعنا^(١)

فأجابه الحربي :

ما تريد اللي كما خشم جبلة جمهاته
والحمص واللي ثمه منا ايلي اذنه منا^(٢)

دونها الى ما يسد الهرس وسع هواته
من سلايل عوف حامي بالطراد الدنا
ويحصل مثل هذه القصة ، بين جذمى قبيلة عتيبة برقاً ،
والروقة ، وكان السمر للروقة ، ولم يشعروا أن فيهم أحداً من
برقاً ، حتى رفع الشاعر البرقاوي عقيرته مشبها :

صوت (٣)

يا غزيل مدري عرن—وق

مدري !! أو حمامة ورقا^(٣)

(١) المنداة : مضيفة ومكان نحر جزره . قحص المهار : الفتى من الخيل الكريم
الاصل . تعن : تقاد .

(٢) اللي كما خشم جبلة جمهاته : لا تريد من هامته كبيرة كأنها أنف (جبلة) —
جبل مشهور في وسط نجد . الحمص : فاقد شعر العينين . واللي ثمه . الخ : يصف فمه
بالسعة وأنه يمتد ما بين أذنيه .

(٣) غزيل : تصغير غزال . مدري غرنوق : او غرنوق وهو طائر أبيض معروف
مدري : لا أدري .

كل الحى هذا من روق
وانا وحدي من برقاً^(١)

فيجيبه الشاعر الروقي لتوه قائلاً :

خيـل تـطـمـر المشقـوق
واهلها طـوال الزرقا^(٢)

والله ما تذوقه ذوق
فرقا ياقثا مي فرقا^(٣)

صوت (٤)

وأحياناً يستقل الشاعر - في هذا الدور - بمعنى يقول فيه
البيتين ، والثلاثة ، والأكثر ، فيأتي الشاعر الثاني ، فيناقضه ،
كما وقع لأحد الأمراء الكبار المتأخرين ، مع أمير آخر ، قال
هذا الأمير الكبير .

الا يامل قلب كل ماجا الليل جاه خلـاج
يلوج ويلتجي في الصدر والعربان ممسين^(٤)

(١) روق : قبيلة الروقة . برقاً : قبيلة برقاً ، ومنهما تتألف عتية .

(٢) المشقوق : الاخدود : الزرقا : قذف الرماح للطعن .

(٣) فرقا : اسم فعل أمر وكرر للتأكيد . قثامي : نسبة إلى القثمة وهم حى من قبيلة برقاً .

(٤) يامل قلب : يامن لقلب هذه صفته ينقذه . خلـاج : اضطراب وتوتر :

يلوج ويلتجي : يضطرب ويسكن .

انا متحير مدري عن المدخال والمنهاج
الا ياعمس رايبى مالقيت الى يقدينى^(١)

الا يامجيب دعوة من تصافق فوقه الامواج
انا بحماك يا وال الخلايق لا تخلينى^(٢)

فيجيبه الأمير الآخر :

ألا يا صاحبي دنياك ما تحتاج ما تحتاج
تري الى سالم منها تعادل فيه رمحين^(٣)

تعبر بالهجين الى يضدنه ظلاف العاج
تودي حملها الجاير ويصبح خاطره زين^(٤)

(١) أنا متحير مدري : أنا حائر لا أدري . ياعمس رايبى : بالتفكير المضطرب يقدينى : يرشدني ويصبرني .

(٢) من تصافق فوقه الامواج : المراد ذو النون - يونس - في الآية : (فنادى في الظلمات ألا اله إلا انت .. الخ) لا تخليني : لا تكلني الى نفسي ولا الى احد من خلقك .

(٣) ما تحتاج : ليست بذات بال حتى تتألم منها هذا الالم . ترى اللي : ان الذي . تعادل فيه رمحين : ضرب برمحين فكيف بغير السالم .

(٤) تعبر بالهجين : اقض حاجتك بالناقة المارئة الدارب . اللي : التي . يضدنه ظلاف العاج : تؤلمها عضادات القتب . الجاير : الثقيل .

تري بعض العرب عمله بروحه مثل وصف سراج
ينور للعرب والنار في جوف المسيكين^(١)

صوت (٥)

ولم يكن لابن عمير ، وهو الشاعر النبطي المجيد ، ان
يتخاذل أمام أي شاعر ، يريد مبارزته ، وكان قد ندب له أحد
الشعراء في الكويت نفسه ، ولأمر ما ، تخلف ابن عمير عن
الموعد . حيث الحشد الكبير ، لينظروا لمن الغلبة ، ومن ثم
اتهم بالاحجام ، ثم يجيء في الليلة الثانية ، لطلب المباراة
ونفى الاحجام ، فيقول :

الليلة الليلة الليلة علينا القصص

والبارحة فايته ونقص مابه نقص^(٢)

الى يقول العميري عن مكانه ملص

يقيف قدام عيني حيث يلقي الملوص^(٣)

(١) ترى : ان . بروحه : بنفسه . وهذا المعنى قد طرقة شاعر عربي ، هو مروان
بن أبي حفصة بقوله :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

(٢) تكرار هذا اللفظ للتنبيه والاهتمام . علينا القصص : نحن المعنيون . ما به
نقص : ليس ثمة نقص .

(٣) ملص : خذل واختفى . يقيف : يقف . قدام عيني : أمامي . الملوص : الجبان .

ان سلم راسي لصيدك يافحيل القبص
لى صادتك حقة الحبال فرفش وصوص (١)

كبريتنا ما يشب الاقفص عن قفص
كل بذنبه تراه مفند ومخصوص (٢)

صوت (٦)

ومن أكبر من اشتهر ، من شعراء هذا الدور ، (الازوري) .
(ولو يحن) . ولم يتحاش الاول . أن يسف في بعض شعره ،
اسفافا . ننأى بأنفسنا وبالقراء عن إيراده . لكننا نورد
ما أجابه به لويحان . لما فيه من جزالة . وقوة ، ومنطق ، رغم
أنه على البديهة . قال :

انت يا محمد يا محمد يا حمود
اتبع السهلات والوعرات لاترقاها (٣)

(١) ان سلم راسي : ان بقيت . فحيل القبص : تصغير فحل . للتحقير ، والقبص
نوع من الخدب الكبير . لى صادتك اذا صادتك حقه الحبال : فخ الصيد . وصوص :
من الوصوصة وهي صوت لضعاف الطيور وفيه القلب .

(٢) كبريتنا : عود الثقاب . الاقفص عن قفص : الا في ما طاب من مولعات
الكبريت : والمراد اننا لا نتلقف كل من هب ودب لنتطع معه . تراه مفند : انه بذنبه
معين .

(٣) يا محمد .. الخ . لعله شك من الشاعر او من باب تجاهل العارف للاحتقار .
السهلات : الطرق السهلة .

لا تهوش بحربة دجما بليا عود

مثل من عالج عيونه بالدوى واعماها^(١)

انت ما تلقى وانا القى لي بغيت شهود

والمكاوي لو يطول الصوف ماغطاها^(٢)

صوت (٧)

ويقل من عاشقى هذا الدور . من يورد هذه القطعة للويحان

لطول بيتها . والتوائه ، على النحو الذي ينبغي أن تورد به ،
فلا بد أن لها نغما ، خاصاً ، مطرباً ، يقول :

العدم بالقدم والجامع الله بينا منك الجفوة خطية

عقب فرقا وغربة تسعة اشهر صابر واليوم ضاق الفضائي^(٣)

ما اقدر انساك يا عجاب يانهاب للقلب لو مالك دعية

كودير حل جبل ذهلان ولا ينبت الشيب بريش الغراب^(٤)

(١) لا تهوش : لا تقاتل . دجما بليا عود : مدقوقة الرأس لا عود فيها .

(٢) المكاوي : جمع كي على غير قياس . لو يطول الصوف : مهما يطل الصوف

أو الشعر على اثر الكى فهو باق .

(٣) العدم بالقدم : إذا لم تحصل الزيارة بيننا فذلك شبه العدم لوجودنا . الجفوة :

الحفاء . خطية : ذنب . عقب : بعد . فرقا : فراق .

(٤) عجاب : صاحب الدلال والظرف . نهاب للقلب : السالب له بحماله .

لو مالك دعية : وان كان نهبك له بغير داع . كودير حل : الا ان يرحل . ذهلان :
جبل في وسط نجد وهو الذي تغنت به الشعراء قديما .

كل فن نشيله عدل اعوج طويل مربعات طرية
حربي سامري مجرور مرفوع على الهجن للركاب^(١)
وله أصوات ومقاطع كثيرة جداً نكتفى منها بهذا .
السامري :

نسبة إلى السمر ، لأنه لا يكون - غالباً - إلا ليلاً . وربما
لا يدور معناه إلا حول الغزل ، والتشبيب ، والوجد ، والنسيب
وله ألحان ، وأدوار عدة وفي حالة غنائه ، يتقابل فريقان ،
جثوا على الركب ، وينطلق الصوت الأول ، من أحد أفراد
الفريقين ، بشطر البيت ، أو بالبيت ، أو بالشطر مرتين ، أو
بالبيت كذلك ، أو بالشطر وإعادة جزء منه ، ليتلقفه الفريق
الثاني على نحو ما بدأ هذا الفرد ثم يتلقفه الفريق الباديء
وهكذا مرتين ، أو ثلاثاً ، لينقلهم هذا الباديء ، إلى آخر ،
بتلقيه لفريقه ، في حالة أداء أولئك للبيت ، الذي معهم ..
والطبول هنا لها المكان الأول ، فلا بد من إيقاعاتها ، على نغمات
كل دور ، ولا بد أن يكون في يد كل فريق جزء منها ، وقد
تأخذهم نشوة الطرب ، وثل الإيقاع ، فينحنون إلى الأرض ،
في ميلان واهتزاز .

(١) نشيله : نتغنى به . وكل مبتدأ . ونشيله خبره . وعدل اعوج .. الخ أحوال
صاحبها (فن) والعامل فيها (نشيله) .

وممن اشتهر بتغذية هذا الدور ، والتفنن في ضروبه ، وابتكار ألحانه ، الشاعر الوجداني . محمد بن لعبون ، فهو يعتبر الزعيم فيه ، وكل من جاء بعده عالة عليه ، من حيث ابتكار الأدوار المرقصة ، وجودة الغزل ، ورقته ، وسلاسته . ويأتي بعد ابن لعبون ، ابن فرج ، وهو وإن لم يبلغ درجة ابن لعبون . إلا أنه امتاز بابتكار الألحان ، الخفيفة . التي وجدها أصحاب المظاهر ، مرنة عند لمسات الاوتار ، فذهبوا يوقعون عليها ، أنغاما شغفت بها العامة ، وشاعت ، وذاعت . في الخليج العربي . وغيره . ووجدت فيها الاذاعات ، مجالا لجلب أكبر عدد من المستمعين ، وتعرف عندهم بـ (أغاني جنوب الجزيرة والخليج العربي) ومن أدوار السامري :

صوت (١) لابن لعبون

سقى صــــوب الحيا مزن تهاـمى

على قبر بتلعــــات الحجاز (١)

(١) تهاـمى : يهـمى . على قبر : متعلق بتهاـمى . يعط : يتضوع . البخترى والخزامى . نباتان طبيبا الرائحة : طفلات الجوازي : بنات الطباء تجزىء عن الماء تتركه .

يعط به البختري والخـــــــــــــــــزامى
وترفع فيه طفلات الجوازي (١)
أبو زرق على خـــــــــده علاما
تحلاها كما نقش بغازي (٢)
عليـــــــــه قلوب عشاقه تــــــــرامى
تكسر مثل تكسير القزاز (٣)
الا يا ويل من جفنه على مــــــــا
مضى له عن لذيذ النوم جازي
ومن قلبـــــــــه إلى هب النعامى
يجرونه على مثل الخـــــــــزاز (٤)
صوت (٢) لابن لعبون أيضاً
يا الورق عطنى هـواك وشاح
واعطيك طـــــــــوقي ومسباحى (٥)

-
- (١) أبو زرق : صاحب وشم نجده أزرق صائراً علامة له . تحلاها : تمنع النظر
ها . نقش بغاي : كأنها نقش في عملة .
(٢) ترامى : تترامى . القزاز : الزجاج .
(٣) جازى : عازف .
(٤) النعامى : ربح الجنوب . الخزاز : الشوك يجعل حظيرة على الزرع أو الغنم .
(٥) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة الصداحة . عطنى : اعطني .

لى عاد وصل الغريم سفاح
ودموع الاعميان سفاح^(١)

خذ ما صفا لك ترى الارواح

عمهوجة جيدها وضاح

ضعيف عنالك يريـــــــــد مـــــــــراح

قالت : ما الاوي على مــــا راح

صوت (۳) له أَيْضاً

زل دهـرك يا محمد بالغـزل

والغزال الى تَهـــــــــزا بالغزال (٦)

(١) لى عاد : إذا كان . الغريم : المراد به هنا العاشق الوهان . الاعيان : العيون :

(٢) ترى : ان . وينراح : يراح والمراد تخطف المنون لها .

(٣) عمهوجة : جميلة متماثلة في مشيتها . صاح : ليس دونه سحاب .

(٤) عنالك : قصدك . مراح : مبيت . ياعنق : فيه تعبير بالبعض عن الكل أو

حذف ايجاز . والمراد يا ذوات عنق يشابه عنق ظبية الرمل .

(٥) ما الاوي : ما أتمسك . ما راح : ما ذهب . يامال : يالعلك .

(٦) اللّٰه تمهرا : اللّٰه تسخير .

والخدود الى كـمـا وصف السجل
 ناكساتك بالسقم نكس الهلال (١)
 والجبين الى بروقـــــــــه تشتعل
 مع زلوف كنهن داجى الليــــــــال (٢)
 رنت الخلدــــــــال تحدث بك وجل
 مع كمالك ما استحييت من الرجــــــــال (٣)
 عاطلات الريم وادمي الرمــــــــل
 مع نبات ظلهن عندي ظلال (٤)
 صوت (٤) لابن سبيل
 قلت آه واجرحاه من علتى آه
 وان حملوني حمل غى قويته (٥)
 قالوا سفيه الحال ويش اللي أغواه
 قلت آه ويش المنكر الى وطيته (٦)

-
- (١) الى كما : التي كأنها . وصف السجل : كأنها السجل : ناكساتك : مقوسات بك مثل تقويس الهلال .
 (٢) زلوف : غدائر .
 (٣) رنة الخلدال : كناية عن مشى محبوبته .
 (٤) ادمى الرمل : ظباء الرمل .
 (٥) قويته : حملته .
 (٦) سفيه الحال : سفيه العقل . ويش الى : ما هو الذي . الى وطيته : جثته .

قالوا ندور لك من البيض حلياه
قلت آه لو غيره بكفى رميته (١)

قالوا تزوج كود تدله وتنساه
قلت آه لو خذت اربع ما نسيتها (٢)

قالوا كثر شيبك وقلبك بعمياه
قلت آه لو قلبي غرير نهيته (٣)

يا ناس خلوا كل وادي ومجراه
قلتوا كثير وقواكم مالمقيته (٤)

صوت (٥) للقاضي

والله والله والرب الذي نـزل
صحايف الكتب والفرقان للتالي (٥)

ان لك بقلبي محل حل ما ينحل
لو حل بالخد رجاف وزال (٦)

(١) ندور لك : نبحث لك . حلياه : مثله .

(٢) كود : عسى : لو خذت اربع : لو تزوجت اربعا .

(٣) بعمياه : بغيه وسفاهه . غرير . جاهل .

(٤) كل وادي ومجراه : كل انسان وطبيعته .

(٥) للتالي : لخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام .

(٦) محل : موقع كبير من المحبة .

حملتني يا الغضي حملين من جندل
لو شلت واحد فلا الآخر بمنشال (١)

الحداء :

هذا الدور خاص بصهوات الجياد تلتئم وتمشى الخيزلى
ويجعل راكبوها يتجاذبون أصواتهم به .. وهو لا يكون إلا في
الفخر والحماسة وحيث الكر والفر وعرضه على هذه الصفة
يشكل منظراً بديعاً مطرباً كان له في ربوع الجزيرة شأن وأي
شأن .. ولكن ذلك المظهر اختفى في ما اختفى من تلك المظاهر
المجيدة .. ولا أدري هل سيبعث من مرقدته أم هو الوداع الأخير !
ومن أمثلة هذا الدور قول راكان بن حثلين :

يا ربننا ما من صديق

جمعين والثالث بحر (٢)

والله لبوج لها الطريق

لعيون براق النحر (٣)

(١) بالغضي : يا جميل . شلت : حملت . بمنشال : بمحمول .

(٢) جمعين : جمع خلف جمع تألبوا لقتالنا وثالثهم البحر يحول بيننا وبين القرار

(٣) أبوج : أشق والمراد فرسه . لعيون : من أجل . براق النحر : ذي اللبة

البيضاء .

وقول ناصر بن عمر أحد شيوخ قحطان :
 في شف أبو تركي نقود الخيل
 في كنة الجوزا مع المظماة^(١)
 نسهج قوايلها ونسري الليل
 وإلى تهيد ما نبى نتناه^(٢)
 والضد عدلناه عقب الميل
 والبيه حدرناه من مبناه^(٣)
 أغاني العمل :

وأغنية العمل^(٤) ذات عراقية ، وجذور بعيدة المدي ، لافي
 جزيرة العرب فحسب بل في جميع أمم العالم ، حتى قيل : إنها
 نشأت مع الإنسان الأول ، وتولدت من أصوات آلاته الأولى ،
 وقعت عليها ، ومن ثم تجدها إلى يومنا هذا تواكب حركة العمل
 في امتدادها إذا كانت الحركة مستأنية ، وتلاحقها إذا كانت
 الحركة سريعة ، وتركيزها في ما بين ذلك .

(١) في شف : في رغبة . أبو تركي : عبد العزيز آل سعود . كنة الجوزاء . قبيل
 طلوعها وهو نهاية شدة الحر : المظماة : المفازة .
 (٢) نسهج قوايلها : نطأ الرمضاء . اللي تهيد : الذي تأنى . مانبي نتناه . لا نريد
 انتظاره .

(٣) الضد : العدو . عقب الميل : بعده . البيه : لقب تركي . حدرناه : انزلناه .
 (٤) أغنية : كأمنية بتشديد الياء لا ما اعتاد كثير من الناس ان ينطقه بالتخفيف .

ولا شك أن لها أثراً كبيراً في تخفيف وطأة العمل ،
وتلهية العامل عما ينتابه من تعب ووصب ، ولربما كانت عوناً
على السير بالعمل مراحل كبيرة تمر والعمال في نشوة الأغنية
اللذيذة المحببة إليهم .

وقل أن يوجد عمل إلا وله أغاني خاصة كلها تندرج تحت
مسمى واحد ، وإن كان لها أدوار كثيرة .. فالعزيق له أغاني ،
والحصاد ، والدياس ، وكم النخل ، والنضح ، وسقاية الإبل ،
والبناء .. الخ كل هذه لها أغاني خاصة معروفة ..

فأغاني العزيق تبدأ عندما يأخذ العمال صفهم المنتظم
وبأيديهم المساحى ترتفع من الأرض وتردها بصورة منتظمة
وحركة واحدة ليتم لهم انسجام الصوت ورتابة الإيقاع بدون أن
يخالف هذه الحركة واحد منهم مهما كثرأ وبدون أن يتوقف ،
حتى بلوغ المدى الذي يقف عنده اتجاههم ، وهم على انحناءة
واحدة في مثل انحناءة الراكعين . ولربما غيروا الاتجاه ،
وأخذوا مسلكاً آخر محاذياً لما انتهوا منه بدون أن يرفعوا
رؤوسهم أو ترتبك حركتهم .. ومن أدوار العزيق قول حميدان :

احترس من سهوم القدر بالحذر
وانت مالك عن اللي لك مقدر (١)

يوم قامت وشاف الذي تلهـا
ومن وراها زما الردف ومزبر (٢)

يا صبي استمع من عـويد قضى
الدهر مـد به لين ما قصر (٣)

أصل البيت هكذا :

احترس من سهوم القـدر بالحذر
وانت مالك عن اللي لك مقـدر

ولكن تدارك حركة العمل لا تمكنهم من أداء شطر البيت
بتمامه فيقتسمونه بينهم يأخذ الفريق الأول نصف الشطر ،
والثاني نصفه الآخر ، حتى إذا أرادوا الانتقال إلى الشطر الثاني
من البيت أو إلى بيت آخر يبدأ الفريق الأول بنصف الشطر
الجديد وحينئذ لم يكن نصفه الثاني يخاف على الفريق الثاني

(١) سهوم : سهام . مالك : ليس لك .

(٢) وشاف الذي تلهـا : ورأى الذي اثقلها والمراد روادفها . زمى : ارتفع :
مزبر : مرتفع .

(٣) ياصبي : ياشاب . عويد : تصغير عود وهو الشيخ الطاعن في السن . قضى :
خارت قواه . لين ما قصر : حتى عجز .

لكثرة ما مر على أسماعهم أو انه أشبه ما يكون بالارصاد في فن
البديع تسمع صدر البيت فلا يعز عليك ان تتمه بقرينة ما فهمته
من صدره كقول بعضهم :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع
فان صدر البيت أرهص لمعرفة آخره .

وهناك أدوار أخرى للعزيق تختلف باختلاف المناطق
واصطلاحاتهم في ذلك .

أما الحصاد فينتظمون له في صف كعملهم في العزيق إلا
أنهم هنا يعود يحبون على اقدمهم ، وبأيديهم المناجل ،
وحركتهم هنا أهدأ من حركة العزيق ، ولذا تجدهم يؤدون
شطر البيت الطويل في مد وانسجام ، ويجاوبهم الفريق الثاني
بالمثل وهكذا .

مثال أغاني الحصاد في بعض أدوارها :

دور (١)

حمامة لا جزاك الله بالاحسان

منتيب منى بنو الخير مذكورة (١)

(١) حمامة : يا حمامة . منتيب : لست . بنو الخير : بسبيل الخير .

ذكرتنى يا الحمام الورق خــــلاى

واودعت لى دمعة بالخد منشورة (١)

والله يمين القطع عهد بعد ثانى

يا سكر الشام بين اشفاك يا نورة (٢)

دور (٢)

ناح الحمــــام بعاليــــات المقاصير

واهل الهوى طربين ما يسمعونه (٣)

ذكرتنى يا لورق لاذكرك خيــــر

غرو كما لدن المطارق قرونه (٤)

باكر ضحى العيــــد لى دقوا الزير

ما عندهم من غــــالى يلبسونه (٥)

(١) الورق : جمع ورقاء . اودعت : تركت . بالخد : بالارض .

(٢) يمين القطع : اليمين البات . عهد : اليمين . يا : ان . شفاك : شفتيك .

(٣) المقاصير : البروج الطويلة .

(٤) لاذكرك خير : لاذكرك الله خيرا . غرو : فتاة . لدن المطارق : مائسات

الاغصان . قرونه : ظفائره .

(٥) باكر : غدا . ضحى : بالياء المشددة تصغير ضحى . الزير : الدف .

يظهر عشيري كالخلاصة من الكبير

عيذه برب الناس لا ينحتونه (١)

وكما يكون للعزيق وللحصاد أغاني فكذلك للدياس . من هذه الأعمال البدائية التي تعتمد على يد العامل ، وليس للآلة إذ ذاك فيها نصيب . مما يجعلهم يلجأون إلى هذه الأغاني الجماعية ليكون لها أثرها في انجاز العمل واتقانه ..

وأغاني الدياس اشبه ما تكون بأغاني الحرب (العرضة) إلا أنها في الغالب أخف من تلك .

ولهم في الدياس طريقة عجيبة تلفت النظر . تلك أنهم يلتفون على أكداس حصيد الحنطة المبسوط في مكان مخصوص على شكل دائرة ربما يبلغ قطرها مائة وخمسين متراً . ويبلغ ارتفاع القصب حوالى المتر - في المتوسط - ويتوسط هذه الدائرة . - وهى البيدر . أو الجرن في العرف الفقهى - يتوسطها ركيزة من الخشب تثبت في الأرض ، وترتفع حوالى المترين ، وهى بمثابة نقطة الدائرة ، ويؤتى بالدواب - البقر والحمير - فتوضع جميعها في قرن يبدأ من هذه الركيزة وينتهى عند حرف

(١) عشيري : حبيبي . الخلاصة : الحديدية يحمى عليها حتى تكون حمراء بصفار

من شدة حموها . عيذه : أعيذه . ينحتونه : يزلقونه بابصارهم - يعينونه .

الدائرة ، ويربط هذا القرن في الركيزة . ربطاً يمكنه من الدوران مع اتجاه الدواب ، ثم تساق هذه الدواب على اتجاه واحد ويمشى الرجال خلفها على شكل زاوية قائمة قاعدتها محاذية لأول الدواب ، ورأسها عند آخر الدواب . وبيد كل واحد من هؤلاء الرجال هراوة في طول المتر والنصف تقريبا وقطر ٤ سم تقريبا من الخشب القوي ، وعندما تبدأ الأغنية يتلقفها من فم المنشد نصف الفرقة ليأخذها النصف الآخر منهم شطراً شطراً ، أما العصي فتأخذ شكلاً منتظماً ترتفع فوق الرؤوس دفعة واحدة وتهوي على القصب مثلها وسرعان ما يذهب هذا القصب رميماً تحت ضرب هذه الهراوات وأرجل الدواب والرجال . ومن أغاني الدياس :

الصوت (١)

يا الله اليوم يا غفار الزلة

يا عليم بخصات القبائل (١)

أرحم الى بصدره ضيقة له

ان رقي الرجم وان ركب الرحايل (٢)

(١) يا الله اليوم : أدعوك يا الله في هذا اليوم . خصات القبائل : حاجاتها .

(٢) ضيقة له : ضيقة تتنابه . رقي الرجم : الرجم بنية من الحجارة تجعل على

رأس جبل . الرحايل : الابل .

صابرين وحننا في مملكة
مثل صبر الجمل والشد مايل (١)

في الخلا فاح قلبي فــــوح دلة
تزعج البن من حــــر الملايل (٢)

صوت (٢)

راقى رجم العنا طلعة الشمس
ليتنى ما اشرفت على مراقيبه (٣)

يا سقى الله اليوم وامس وقبل امس
يوم شفت اللي من الناس ودي به (٤)

طق حفل الى حديثه لنار مس
ليتهم بالدفع ردوا منا ديبه (٥)

-
- (١) وحننا : ونحن . في مملكة : في مضايقة . والشد مايل : والحمل مائل .
(٢) الخلا : الفلاة . فوح : مثل فوح اناء القهوة بها . تزعج البن : تريقه . حر
الملايل : حر النار .
(٣) رجم العنا . رجم التعب والهم . طلعة الشمس : وقت طلوعها . أشرفت :
اعتليت مراقيبه : أعلامه .
(٤) ياسقى الله : فليسق الله . شفت : رأيته . ودي به : أتمناه .
(٥) طق حفل : ضرب الدف في عرسه . رمس : همس . الدفع : المهر .
مناديبه : جمع مندوب الرسول .

الشعر الشعبي في الأقطار العربية

لا يوجد اختلاف بين الشعر الشعبي في الجزيرة العربية ،
وبينه في الأقطار العربية الأخرى ، من حيث الأغراض ،
والاتجاهات . ذلك أن كلا من الشعرين لا يعدو أن يكون امتدادا
لشعرنا العربي الفصيح ، واتجاه هذا الشعر معروف ، ذلك أن
العرب درجوا على منهج خاص في شعرهم ، قسمه - أول من
قسمه - أبو تمام في كتابه (الحماسة) الى أقسام منها :
الغزل ، والمدح ، والهجاء ، والرثاء والحماسة .. الخ.

اما الافرنج فمذاهب الشعر عندهم تنقسم الى اقسام ثلاثة هي
الغنائي ، وشعر الملاحم ، وشعر التمثيل .

وإذا أردنا معرفة الاتجاه الذي يسلكه الشعر النبطي عامة ،
وجدناه لا يخرج عن محيط الشعر الغنائي - كما يسميه الافرنج
- أو الفنون المتقدمة - كما يسميها العرب . اللهم الا ما كان
من بعض قصائد جاءت على صفة الملاحم ، كقصيدة العوني ،

في واقعة البكيرية ، وعلى صفة التمثيل كعروس شعر العرينى ،
وعروس الحبشى .

أما النواحي التى يختلف فيها الشعر الشعبى في الجزيرة ،
عنه في الاقطار الأخرى ، فمن حيث الصياغة ، واللهجة ،
والاوزان .

وقد كان في الامكان ان نوقفك - عن طريق هذا المصدر -
على شىء من لهجات أقطار العروبة الأخرى لو توفر لنا عاملان :

العامل الأول : هو الاحتكاك بعوام هذه الاقطار ، والاختلاط
بسوادها ، حتى نقف على شىء منها ونلم ولو بظواهرها ، وهذا
ليس في الامكان أن يقوم به فرد ، يسكن جزءاً من وطن العروبة
الكبير . بل ليس في إمكان أي فرد أن يتجاوز حدود قطره ،
ليتحدث عن عامية القطر المجاور له بأحاطة وشمول ، عن طريق
التقاطها من شعرهم الشعبى الا وسوف يوجد له سقطات ،

وزلات ، ما دما نجد هذا التباين الكبير بين لهجات الاقطار
العربية .. فمثلاً لغة اليمن الشعبية - وهو الجزء من الجزيرة
العربية - لا نكاد نتبين بعض مفردات عاميته .

يقولون في بعض أفعال الأمر : (تقنبر) و (هش)
و (انشق) والمراد بالأول : اقعد ، وبالثاني ، امش ، وبالثالث :
اطفىء ..

ويقولون لبعض الاسماء : صميل ، وصعدة ، وهان .. والمراد
بالأول والثاني : العصا ، والثالث : السراج .

ويقولون في مراحل سنن الطفل : صبا (بالالف) للصبى ،
ثم مجهف : للمراهق ثم مجحش : للبالغ وهكذا .

العامل الثاني - وهو جزء متمم للأول - الحصول على حصيلة
طيبة من نصوص شعر كل قطر على اختلاف معانيها ، ومبانيها ،
وأغراضها ، وأوزانها .

وهذا أيضاً ليس بميسور لقلة عناية الأديب العربي بهذه
الناحية ، وعدم تدوينه ، وتعذر الحصول عليه ، إلا عن طريق
الرواة ، الذين هم بروايته غير مكلفين ، ولنصه غير مجودين ..

اللهم إلا ما كان عن الأدب الشعبى في (مصر) فقد الف
فيه مؤلفات كثيرة من بينها مؤلف طريف اسمه (فنون الأدب
الشعبى) للدكتور أحمد رشدي صالح ، ألم فيه بشيء عن هذه
الناحية ، وإن كنا لا نعفيه مما أراح نفسه من تطالبه وتحصيله

وهو تطعيم كتابه بشيء من الشعر الشعبي في الاقطار العربية الأخرى ، ولو عن طريق المقارنة والاستشهاد . .

وإلا ما كان - أيضاً عن الزجل اللبناني ، والادب الشعبي فيه ، فقد أُلّف فيه أيضاً كثيرون من بينهم (منير الياس وهيبه) صاحب كتاب (الزجل اللبناني - تاريخه - أدبه - أعلامه قديماً وحديثاً) وهو وإن كان قد تكلم عن الزجل من حيث هو ، وعن بعض الفنون التي وجدت مع الزجل ، وعن الفنون التي جدت في الأدب الشعبي الشامي إلى يومنا هذا - إلا أنه هو الآخر لم يتعرض للآداب الشعبية العربية الأخرى .

وكل ما أُلّف في مصر والشام ، لا يتجاوز حدودها إلا القليل وهذا القليل على كثرة أغلاطه نصيب الشعر العامي منه قليل .

نموذج من الشعر العامي في مصر :

ينقسم الشعر الشعبي المصري إلى ثلاثة أقسام : قسم الأغنية البكائية ، وقسم الموال ، وقسم الزجل والموشح .

فالأغنية هي التي تجدها دائماً على أفواه العمال ، على اختلاف أعمالهم ، وتباين مهنتهم ، يخففون بها من آلامهم ، ويستعينون بألحانها المطربة ، وترجيعاتها المشجية على ازجاء الوقت ، وتخفيف وطأة العمل .

وهذا أنموذج منها :

مدي خطاك يا أم الجرس رنان

مدي خطاك وقربي المكان^(١)

هـجرتنى يا زين وطال الهجر

حرمتنى نـوم العشا والفجر^(٢)

يا عين ما تبكيـش على اللى مات

ابكى على الى خلف البنات^(٣)

ياما التراب لمام

لم الصبايا والجدع عمود الزان^(٤)

وهذا نموذج آخر في الخطبة :

ضيعت مالك على الجمال يهنالك

(١) يا أم الجرس : يا صاحبة الجرس ولعلها البغلة . قربي المكان : اى قربي الهدف الذي تقصده .

(٢) يازين : يا جميل . حرمتنى نوم العشا والفجر : المراد السهر طوال الليل .

(٣) ماتبكيـش : لا تبكين .

(٤) ياما التراب لمام : كم يضم التراب من أناس فيهم الاحبة وغيرهم . الصبايا : الشبان والشابات . الجدع عمود الزان : الحاذق الكيس الذي بمتزلة عمود الرمح .

- (١) ثلاثين صباح وهى في الديوان قعدالك
جالوا لنا عليك يا عريس يا غالى
- (٢) جالوا لنا عليك دا ابو زيد الهلالي
يابت يالى الجنيينة فرج مجصوصك
- (٣) الى معاه مال يتجدم ويحوشك

أما الموال فهو فن قديم ، سبق أن تحدثنا عن نشأته ،
وأيّن نشأ .. الخ وهذا نموج من الموال المصري :

- لو كانت الناس تجبل عذر بعضها
- (٤) كنت اوهب الروح والجنة لبعضها
أما الزم—ن دا زم—ن غش
ما تعرفشى للراجل جفا من وش

-
- (١) يهنالك : يهنك . ثلاثين صباح : ثلاثين يوما . قعدالك : قاعدة تنتظرك .
- (٢) جالوا لنا عليك : قالوا لنا عنك . يا عريس يا غالى : مدحوك لدينا . دا : ذا . ابو زيد الهلالي : بطل بنى هلال المشهور .
- (٣) يابت : يابنت . فرج مجصوصك : الحنيينة في مفرق شعرك . معاه : معه . يتجدم : يتقدم . يحوشك : يأخذك .
- (٤) تجبل : تقبل . بعضها : أوهب : أهب .

(١) علشان ربع كلمة تفوت الناس بعضها
ومن الموشح المصري :

يطمع بالخلاص قلبى وقد فاتو
وقد ضموا عشقو بسها ماتو
نراه قد حصل مسكين حملاتو
(٢) فقلق ولذلك أمر عظيم صاباتو

أما الأغاني الشعبية في السودان ، فهي قريبة من أغاني
مصر ، لا سيما أغاني الصعيد ، وبلاد النوبة ، وهذا نموذج من
شعرهم الشعبى :

الحال العلى حال العدو المسكين
وحال من كتفوه وسالين ع السكين
وحال من في البحر حاوشنه تمساحين

(١) دا : ذا . ماتعرفشى : ماتعرف شيئاً . للراجل : للرجل . جفا من وش :
قفا من وجه . علشان : لأجل ربع كلمة : كلام طفيف . تفوت الناس بعضها :
تحصل العداوة .

(٢) فاتو : فاته . ضموا : ضمه . عشقوا : عشقه بسها ماتو : بسهامه . حملاتو :
تحمل مالا يطيق . صاباتو : أصابه .

(١) وحال أم الفتى وكتين جناها يبين

نموذج من الشعر العامى في لبنان وسائر بلدان الشام :

ينهج الأدب الشعبى في لبنان وما جاورها ، منهج الأدب الشعبى العربى القديم ، من الزجل والموشح ، والدوبيت ، والمواليا ، والكان وكان ، والقوما ، وغير ذلك ، ويعنون بفنون أخرى من الشعر الشعبى ، لم يكن لها من الرواج والشهرة ما كان لما أسلفنا ، وبعضها لم يخرج إلا من لبنان نفسها ، ولم يسبق أن تكلمنا عليها ، حينما تكلمنا على فنون الشعر الاخرى في صدر الكتاب ، فمن ذلك :

١ - الأبوزية :

ومعنى هذه الكلمة ، صاحب الأذية . أي ان هذا النظم لا يقال - غالبا - إلا عند الأذية أي الرثاء أو البكاء ، أو الوجد ، مثاله :

اهلن يا نسيم الروح يا الماس
على اللي شبهوا خده الورد بالماس

(١) الحال العلى : حالي . كتفوه : أوثقوه . وسالي ع السكين : جردين عليه مجردين عليه السكين لقتله . حاوشنه : احتوشه . تمساحين : واحدهما تمساح وهي من هوام البحر ، التى تفتك بالبشر .

والورد يذبل يصاحب حين يلماس
وذا مهما تقبله احترم ميه (١)

٢- الميمر :

يقال إن أول من اخترع هذا الوزن السريان ، وأول من نظم
عليه ابن ديسان ، وهو يشابه الأبوزية في الوزن ، مثاله من شعر
حسن العذاري العراقي :

قلبي بغيرك يا الوطن ما يلهمه
انتل الذي دوم اعدلت ما يلهمه

الناس من تلهج شرب ما يلهمه
ونته شربت مثل عده دم احمر (٢)

٣- المعنى :

وهو من اختراع سريان لبنان الأقدمين ، ويقال ان أوزانه
مشتقة من الأناشيد ، والميامر ، والمداريش ، والقصائد السريانية
وأنواعه كثيرة منها : أ - المعنى العادي ، ب - المعنى القصيد ،

(١) الماس الاول اسم فاعل من (مس) والثاني الجوهر المعروف ، والثالث فعل
مضارع من (لمس) احترميته : احمر ماؤه .

(٢) ما يلهمه : ما يلهو . انتل لذي : انت الذي . أعدلت : عدلت . ما يلهمه :
سائله . من تلهج : اذ تعطش . شرب ما يلهمه : تشرب الماء . وانه : وأنت . مثل عده :
من العداء :

— ج المعنى الجناس — د — المعنى الموشح ، هـ — المعنى المخرج ،
و — الردف المطول ، ز — المعنى المذيل المقلوب ، ح — ومنه
البدالى . الخ . مثاله من المعنى القصيد لاسعد السبعلى :

طل الصباح وتكتك العصفور

سهرنا وطولنا بنومتنا (١)

شوفي الشفق فرق علينا النور

والشمس منشور عاخيمنتنا (٢)

والكون غاشى والفلك مسحور

من سقسقة ميات نبعتنا (٣)

٤ — القرادي :

وهو قديم ، ووارد في اللغات العبرية ، والآرامية ،
والاشورية ، والعربية ، وله فنون أيضا وهى كما يلى :

أ — القرادي العادي ، ب — القرادي المهمل ، ج — القرادي

المنقط ، د — القرادي الخمس المردود ، هـ — القرادي الخمس

(١) تكتك العصفور : صوت . طولنا بنومتنا . اطلنا النوم .

(٢) شوفي : انظري . عاخيمنتنا . على خيمنتنا .

(٣) غاشى : سادر . الفلك مسحور : منظره ساحر بديع ولعله من باب (حجابا

مستورا) و (عيشة راضية) . سقسقة . خريز . ميات نبعتنا : ماء جدولنا .

المقلوب ، و - القرادي الموشح ، ز - القرادي المرصود .. الخ .
مثاله من القرادي الخمس ، لنصيف اليازجى :

شابهت بدر النـور بالخلقة
لما لبست الجبـة الزرقة (١)

أنت القمر والبـدر يا غندور
لكن من أين للبدر هالمشقة (٢)

(٥) الحداء (٦) الزلغطة أو الزغردة (٧) الندب (٨) العتابا
(٩) الميجانا (أبو الزلف) (١١) الشروقي (١٢) البغدادي .

كل هذه الفنون يعنى بها الشعب اللبناني وما جاوره ، وهذه
الناحية من الوطن العربي هى أكثر رغبة في هذه الفنون ، وتغذية
لها إلى يومنا هذا .

نموذج من الشعر الشعبى في العراق :

لأنجد فارقا كبيراً بين الشعر الشعبى في العراق وبينه في
لبنان ما عدا ملامح يسيرة ، تتبينها إذا أنعمت النظر ، وقارنت
بين الشعرين ، وإليك هذا النموذج :

(١) الزرقة : الزرقاء .

(٢) غندور : جميل ظريف . هالمشقة : هذا القوام الفارع اللدن . فأنت شبيه له
بالنور ولكن فاتة من جمالك حسن القوام ولدانة القد .

أَسْمَر سَمَارَك ح——لو
وَالْعَيْن عَيْن الطي——ر
وَش بَانَ مَنِي خَطَايَا اللَّهِ
عَجَلَ وَتَعَاشِرُونَ الْغِي——ر
(١) وَيَلِي وَيَلِي . . يَا وَيَل قَلْبِي

وهذا نوع آخر مما يسميه اللبنانيون الابوذيه ، للحاج زاير
العراقي :

يَا نَارِي حِيلِ اضْرَمِي وَشْعَلِينِه
(٢) أَوْ مِنْ حَكِي الْحَوَاسِدِ وَشْ عَلِينِه—ه
عَسَل حَوْبَه وَرَه لَلِي وَشْ شَعْلِينِه
فَرَقَكَ رُوحِينَ بَاجَا مِنْ سُوِيَه (٣)
عَلَى أَنَّهُ يَوْجَدُ فِي الْعِرَاقِ — لَا سِيَّمَا جَنُوبِيَه وَشَرْقِيَه — مَنْ
يَعْنُونَ بِالشَّعْرِ النَّبْطِيِّ عَلَى نَحْوِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ .

(١) وَشَى بَانَ مَنِي خَطَا : أَى خَطَأً تَبِينُ مَنِي .
(٢) يَا نَارِي حِيل : أَيُّهَا النَّارُ اشْتَعَلِي جَدَا . أَشْعَلِينِه : أَحْرِقِينَا . حَكِي الْحَوَاسِدِ :
كَلَامُ الْحَسَادِ . وَشْ عَلِينِه : أَى شَيْءٍ يَصْبِينَا مِنْهُ .
(٣) عَسَل حَوْبَه : لَعْلُ الْبَلَاءِ وَالضَّرَرِ يَنْزِلُ بِالَّذِي وَشَى عَلَيْنَا . فَرَقَكَ : فَرَقَ بَيْنَ
رُوحَيْنِ كَانَتَا مُتَّفَقَتَيْنِ .

شئ من شعر اليمن الشعبي :

كثيرة هى أنواع الشعر الشعبى فى اليمن ، وأبرز ما هنالك النوع المسمى لديهم - (الدلع) - بكسر الدال وسكون اللام ، وهو ما يشبهه - رقصة الحرب - الحربى عند أهل نجد ، لما تعجب به تلك البلاد من فتن ، ولما بين قبائلها من ثارات وإحن ..

وها هى قصة أحدهم فتك بعدوه ، والتجأ إلى (حوطان أم جنادي) أحد زعمائهم ، ليحميه من أبناء المقتول ففعل ، غير أن الأبناء لم يحل بينهم وبين الأخذ بثأر أبيهم حائل ، فهجموا على قاتل أبيهم فى بيت مجيره فقتلوه . وعز على المجير أن تخفر ذمته ، وينتهك جواره ، فقتل قتلة من استجار به ، وهنا رفع شاعره عقيرته :

راية البيضاء لحوطان ام جنـادي

الف طاقة نشرت فى كل وادي

والف فى سوق الخميس (١)

(١) راية البيضاء : الراية البيضاء تنصب للرجل عمل عملاً جميلاً ينادى ببياض وجهه فى مجامع الناس . فيقال - مثلاً - (اسمعوا كلكم يالفة الاجناب منكم والآهلية بيض الله وجه فلان بن فلان فى خوية) والتسويد فى مجال الذم يقال بدل (بيض) (سود) . ام جنادي : الجنادي : لان لغة اليمن تعاض عن (أل) بـ (أم) . طاقة : قدر معلوم من القماش قبل تفصيله . سوق الخميس : من أكبر الاسواق فى اليمن .

قد حلف بام رب و
ما يا خـذ فيهم طمع

(١) انتصر لام جار وام ثاني بروحه

وعيشة السلب ، والنهب ، والتلصص ، هجيري أهل هذه
النواحي ، ولن يعدم اللص أحياناً مفاجأة تودي بحياته ، كما
حدث لأحمد ام حبة ، وابن خنية ، الذين يتلصصان لسرقة
الأبقار فلقيا حتفهما هنالك ، وقال شاعر القبيلة المتلصص
عليها معتزلاً ..

قولوا لسعدي بن جخيرة يقلب النية
أحمد ام حبة قتيل وابن خنية

طمـاعة ام بـقـر

صادف رجال محـدة
اهل نبـوت وعـدة

(١) ما يأخذ فيهم طمع : أى في من استجار به . أم ثاني : والثاني بروحه :

لنفسه .

(١) يشربــــــــــــــــون العنقريــــــــــــــــز

ذوق يا . . واطعم سم ساعة
أحمد ام حبة شريت الموت مشترى
كب دوحه وانتقل يجيب منكره

(٢) هــــــــــــــــو وابن خنيــــــــــــــــه

شبت الفتنة وشبت الغطــــــــــــــــارف
كل يــــــــــــــــوم فايــــــــــــــــدة

(٣) واعقب المــــــــــــــــدة معابر ام دحيقي

من شعر حضرموت الشعبي :

ووجه الشبه قريب بين شعر حضرموت الشعبي وبين شعر
اليمن للجوار والمماثلة في العادات الاجتماعية ، والخلقية ،
يقول أحدهم مفتخراً بقومه :

(١) سعد بن جخيرة : شيخ القبيلة التي منها القتيلان . يقلب النية : يغير نيته
نحو نا كيفما شاء . وهو ما يسمى في عرف اهل نجد بـ (رد البراء) والنية في بيته
مخفقة كما هي عاميتهم . محدة : حاملة الحديد والسلاح . نبوت : نوع من البنادق
جيد . العنقريز : البارود .

(٢) سم ساعة : القاتل بوقته . كب دوحه : ترك خبره . يجيب منكره : يأتي به .
(٣) الغطارف : الرجال الشجعان الكرام . معابر ام دحيقي : رصاصها .

نحن سفينة من طلع فينا نجى
ومن تخلف بايجى في الداهية (١)

قروشى في خزنتى وارجالى معى
ما نخطفى مثل الشموس الظاهرة (٢)

والله لوما الهام دوبه محتــــوي
يشرح على الصفرا شبام العالية (٣)

ان كان بقعا صافية قدها معى
بالسيف ما باها تجى بالعافية (٤)

وها هو الآخر يرثى ، ويقدم لراثه بمقدمة فيها صلوات ،
وتوسلات شأن القدامى :

(١) طلع : ركب . بايجى : سيأتى : و (با) هذه علامة فارقه في لغة الحضرمى ،
وهى في الافعال بمعنى السين ، أو سوف في التسويف أو التنفيس . وفي الاسماء تأتى
عوضاً عن - (ابن) فيقولون لمحمد بن احمد : محمد با أحمد .

(٢) خزنتى : خزينتى . رجالى معى : تحت امرى .

(٣) لوما : لولا . الهام : يقصد الانجليز ويكنى عنه بكذا خشية المحذور السياسي .
دوبه محتوي : توما تولى . شبام العالية : بدل من الصفرا وهى اسم مكان .

(٤) بقعا : اسم للدنيا . قدها معى : فهى معى . ما باها : لا أريدها ، ويشاركونهم في
هذا الاستعمال بعض قبائل نجد كعتيبة .

يا الله يا من طلع بأسرار علامه
المنفرد بالبقاء الواحد المعبود^(١)
لولاه ما لبرق يسري في تبسامه
يبات راعده يرعد والخليق رقود^(٢)
قال الكثيري حرام النوم ما نامـه
من يوم جانا خبر بن طالب المعدود^(٣)
قالوا لى الجد عايض قصرت ايامـه
عليت يا مروي النمشة وذلق العود^(٤)
وفي الكرم مثل حاتم طى في اكرامه
للضيف يكرم الى غابي ولى موجود^(٥)

(١) طلع بأسرار علامه : المطلع على الأسرار عالمها . وفي هذا البيت من الشاعر وحدانية صادقة .

(٢) ما البرق : ما كان البرق . يسري في تبسامه : والغالب في رؤية البروق ان ترى ليلا ولذا وصفه بالسرى ، وفي تبسامه استعارة تبعية . يبات : يبيت . والخليق : والحلائق .

(٣) الكثيري : نسبة إلى قبيلة الشاعر : من يوم : منذ . المعدود : المشهور .

(٤) قصرت ايامه : توفي . عليت : بوركت ورحمت : النمشة : نوع من السيوف ذو حدين . ذلق العود : رأس الرمح :

(٥) الى غابي والى موجود : الذي خاف والذي ظاهر .

من شعر عمان الشعبي :

وينهج الشعر الشعبي في عمان نهجه في سائر الاقطار العربية
من صرف معظمه في الناحية الحماسية ، وشئون الحرب . لما
لهذه الناحية من أثر في مجتمعاتهم العربية ، استمع إلى العماني
ماذا يقول :

الا يا ويل من كان سبقه ردية
لى جت الخيل مثل القطا الموردا^(١)
الا يا عنز ريم تعرض عليــــه
الا حرم على الطرب في حياتي^(٢)
ويقول الآخر :

يا ربعتى خلو النظر واحــــد
واتكوا على ســــور يذريكم^(٣)
بجواركم لا تهدروا الخاطــــر
وخصم يعــــادينا يعــــاديكـم^(٤)

-
- (١) سبقه : سابقه — فرسه — ردية : بليد . لى جت الخيل : حينما تجيء الخيل .
الموردا : الواردا .
(٢) عنز ريم : انثى الظبي . عليه : علي والهاء للسكت . في حياتي : مدة حياتي .
(٣) ربعتي : قومي وصحبي . خلو النظر واحد : اجعلوا كلمتكم واحدة .
سور : ملجأ يمنعكم .
(٤) لا تهدروا : لا تتركوا . الخاطر : الضيف .

تَرْفُ الشَّعْرِ النَّبْطِي

للعلوم والفنون أدوار وأعمار ، كما للأمم كذلك ، فهي تجد في أول حياتها من يخلص لها ، ويعمل - جاهدا - من أجل ترقيتها ، وتحسينها وبروزها . حتى إذا بلغت أشدها ، واستوت على سوقها ، وقفت عملية البناء ، وبدأت عملية الهدم .. - وكل شيء بلغ الحد انتهى - .

وهكذا وجدنا الشعر العربي في جميع أدواره وأطواره ، بدأ في أفق ضيق ، ونطاق محدود ، ثم أخذ في الشروع والذيع ، حتى بلغ فتوته وعظمة شبابه ، في العصر الأموي ، وصدر العصر العباسي ، فهناك بدأ الترف الشعري يجوس خلاله ، ويقتحم حصونه ، وذاك نذير شيبه ، وبدء شيخوخته ، ولم يزل به حتى تركه هرما يهذي بما يعرف ، وما لا يعرف .. فلقد أصبحت القصيدة المتينة ذات الطابع الشعري الأصيل ، لا تجد لها مكانا في الأوساط الأدبية ، وأصبح البديع وما يحويه ، والتزويق ، والتمويه ، هي هجيرى كل شاعر ، وحلية كل قريض ، وأصبح كل شعر خاليا من - لزوم مالا يلزم - (والتشريع) (والتفوييف) (والتسميط) (والاجازة) (والتشطير) (والتخميس)

(والموشح) (والدوبيت) (والزجل والموال) (والكان وكان)
(والقوما) .. كل شعر خاليا من هذا فهو عاطل ، وكل ما لم
يمعن فيه فهو ساذج .

وهكذا نجد الشعر النبطي يتسم بهذه السمة ، ويترسم هذه
الخطى ، فبينما نجد شعر الخلاوي ، وبركات الشريف ،
وحميدان الشويعر ، ورميزان ، وغيرهم .. يعطى صورة عن
شعر النبط في فتوته وشبابه ، ويمثل لنا المجتمع العربي في
صفائه ونقاؤه .. إذا بنا نجد الصنعة تأخذ طريقها إلى شعر
ابن لعبون وابن جعيشن وابن ربيعة وغيرهم ..

على أن الصنعة والتحلية هنا ليست كمثلها في العربي فالأول
ألصق بهذه الناحية ، وأقرب منها وأقل تأثراً بها لقرب مسافة
الخلف بينهما . والثاني أنأى ، وأشد تنكراً لها ، ومن هنا كبرت
في العربي وهانت في النبطي .. !!

وما جد على الشعر النبطي ليس هو من نوع ماجد على
العربي ، فما جد على الثاني يعنى ببناء القصيدة ، وتركيبها ،
وما يتصل بهيكلها ، وما جد على الأول يتجه إلى المعاني والأغراض
واخضاع الشعر لنواحي ما كان منها في قبيل ولا دبير .

فمثلاً حروف الهجاء ثمانية وعشرون حرفاً ، وقد اعتاد
غالب شعراء النبط أن يخصصوا كل حرف بببيت ثنائي أو رباعي
أو رباعي إلى آخر الحروف الثمانية والعشرين ، في قصيدة
واحدة ، يسمونها (الألفية) وهذه القصيدة - غالباً - تكون
من النسيب . .

وهاك نموذجاً لطريقتهم في نظم هذه الألفيات ، يقول
(العوني) في ألفيته الرباعية :

والزا زعجت الصوت من شد ما بي
عليك يا المجمعول لا واعذابي

يا بو نهـــــود شولعن الثيابي
حمر ثمرهن شالهنـــــن ثوب قزا^(١)
إلى أن قال :

اللام لا ما عذب الانياب جنـــــة
ابشر برضوان من الله وجنـــــة

(١) زعجت الصوت : رفعت عقيرتي به . المجمعول : الحميل ويكثر استعمالهم
لهذه اللفظة . لا واعذابي : لشد ما اعذب من اجله والمراد التضجر . يابو : ياذا النواهد.
شولعن الثياب : تركنها بارزة . يشكل بروزها حجم البيض . حمر ثمرهن : قد احمرت
رؤوسها كأكمال الزهر شارف التفتق . شالهن : ارتفع بها . ثوب قز : ثوب خز .

ياليت لى من سيد جيله مضنة

من سلسبيل بين اشافيه مزا (١)

ومن ألفية (للعرينى) رباعية أيضاً :

العين ، كن العين يعجري بها عين
تسقى مسير الحول في ظرف يومين

يا زارعينـــــــــــــــــه لا تهابون مدين
لو هو مثل دين الزبيرى وفى به (٢)

أما ألفية (محسن الهزاني) فثنائية : منها :

والميم ، ما والله لقينــــــــــــــــا حلاياه
لا في البدو يذكر ولا في المباني (٣)

(١) لاما : معاشره . عذب الانياب : عذب المقبل . وكثيراً ما يصفون الاسنان بالانياب في شعرهم ، وهو اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح . جنة : لعلها في الأولى الردء وهنا يكون في البيت الجناس غير التام ولعل هذا انسب للمعنى . مضنة : ذخّر . اشافيه : شفتيها .

(٢) العين الأولى : الحرف ، والثانية الباصرة ، والثالثة الحارّية . كن : كأن . يازارعينه : يازارعى ارض هذه العين . لا تهابون مدين : لا تخشوا الدين . لو هو : لو انه . الزبيرى : اشارة إلى قصة الزبير ودينه .

(٣) لقينا : وجدنا . حلاياه : اشباهه . ولا في المباني : اى ولا في الحضر .

وليس الأمر يقف عند هذا الحد بل انهم يمعنون بالتلاعب
بالألفاظ في هذه الألفيات حتى أنهم يبدأون كل بيت يختص
بحرف ما ، بذلك الحرف ويختمون به كل شعر سواء كان
البيت رباعى أو غيره إقرأ لسليم بن عبد الحى في حرف الثاء :

الثا ثمان عذاب شوقي بهن ديث
سلسال معسول النحل بينهن ميث

واهل الهوى في نار هجره مما كيث
وانا لشوقي في دجا الليل عسيت (١)
وأحياناً يلتزم الشاعر بدء كل شطر من أشطر البيت بذلك
الحرف نفسه ، إقرأ لحمد المغلوث في حرف الألف :

الله يا وقت تقضى بالافــــراح
أقفى وظليت أصفق الراح بالراح
ابدا واجيب من التماثيل واقول
آه على ذاك الزمان الذي راح (٢)

(١) ثمان عذاب : الثنايا . شوقي : حبيبي . ديث وميث : مزج . مما كيث :
ما كثبن عسيت : طرقت .

(٢) الله : لله ذلك الوقت . أقفى : أدبر . التماثيل : الأمثال والمراد الشعر . راح :
ذهب .

ومن ألفية ابن شريم في حرف الجيم :

الجيم جاني جيــــــــة بانسراقــــــــة
جاهل ومجهول بوسط الرفاقــــــــة

جاف لغيري ما يوري صداقة
جاني خلوج وجيت له تقل مفروود (١)
وقد يلتزم في الرباعية قافية للشطرين الأولين وأخرى
لثالث مع القافية الأصلية اقرأ لابن دويرج من حرف الباء :

البا بليت بحب وضاح الجبين
بو نهــــــــود ما لهج منها الجنين

كنهن بيض الولــــــــع لو الثمر
بيض ناشعهن من الحمرة يسير (٢)
وهكذا ينسجون على هذا المنوال .. ولم أقف لأحد من شعراء
الفصيح على مثل هذا النوع في تصرفاتهم في الألفيات .

(١) بانسراقة : بخفيه . جاهل ومجهول : لا يعرف ولا يعرف . الرفاقة : الحى .
ما يوري : ما يرى . جاني : جاء الى . خلوج : الناقة الفاقدة لولدها . مفروود : هو
فصيل الناقة التي فقدته . والمراد أنها شبه الخلوج في بحثها عنه . ولا أدري عن مدى
مدى رضا التقاد عن هذه الصورة من صور الحب .

(٢) وضاح الجبين : مشرقه . بونهود : صاحبها . ما لهج منها الجنين : لم يلتقمها
الطفل . كنهن : كأنهن . الولع : الحمام القمري . ناشعهن : مشرب بهن .

أما العرائس ، فهي التوصل إلى غرض من الأغراض -
ومعظمها المدح - بوساطة تخيل فتاة فتانة ، استبدت بنصيب
كبير من الحسن ، فاصبح لها مطلق الاختيار في الملوك والزعماء ،
والأمراء ، ولها رائد لا يكذبها ، له دراية ومعرفة بأحوال هذه
الطبقة ، وما لكل منها وما عليه ، فيسيرها عليهم فرداً فرداً ،
فيذم من يستحق الذم على لسانها ، ويظهر عدم ميلها إليه ،
ويتخلص من آخرين تخلصاً حسناً ، حتى يصل بغيتها ومنتهاى
أملها ، فتلقى لديه عصا التسيار ، ويقع عليه الاختيار !

وما هذا إلا ضرباً من ضروب التحايل على أقصى مراتب
المدح ، والتأثير على المدوح ، وإن كان على حساب الآخرين ..

وممن أعرفه طرق هذا النوع الشاعر النبطى (ناصر العرينى)
في قصيدة رباعية أراد بها مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن
آل فيصل آل سعود أخو الملك عبد العزيز وساعده الأقوى في
تأسيس هذه المملكة ، ولم يكن في متناولى الآن ادراك كامل
نص هذه القصيدة مدونة ، وإنما سوف أورد منها ما يصلح أن
يكون شاهداً مما اختزنته الذاكرة بعد الصغر ..

وهذا هو مطلعها :

امس الضحى في لايح طويق ونيت
ون الحجر من ونتي يوم ونيت

من شوفتى غرو على شوفه اشفيت
انا مصد مير الاقدار ميلات (١)

تقول يا المنعور انا لك تعنيت
عروس شعر دور اللي تمنيت

بين النهود مفصلات اليواقيت
والخد من نور القمر فيه شارات (٢)

قلت ابعدني عنى سقى الله ديارك
واضمفي على غر الثنايا خمارك

(١) لايح طويق : صفحته وهو جبل اليمامة الشهير . من ونتي : بسببها ، من شوفتى : من أجل رؤيتي : غرو : غادة . شوفه : رؤيته . اشفيت : اشرأيت واستشرفت . مصد : معرض . مير : لكن . ميلات : حاكمت .

(٢) المنعور : الشجاع . تعنيت : قصدت من مكان بعيد . عروس شعر : هي عروس شعر . دور : انحث اللي تمنيت : الذي اريده . بين النهود : تقول هذاويطالعني من بين نواهدا عقود اللؤلؤ والياقوت . شارات : امارات .

ياليت ربي لدعنى نهـــــــارك
تلقين غيري دارب في الديارات (١)
ويمضى معها في تمنع الراغب إلى أن قال :
اسليك باللى في السما فرج الضيق
الى غطا رزقه جميـــــع المخاليق
ابـــــوك من هو يا عذاب العشاشيق
واسمك ترا كل العذاري مسما (٢)
فتجيبه :

ابوي اللي لرسـت الخيـــــل منـــــاع
الشيخ ابن هندي للاسلاف فراع
واسمى (شعاع) النور في البادية شاع
من مترفات في المقاصر مخبأة (٢)

(١) ياليت ربي : ياليت ان ربي . لدعنى : صرف عني . نهارك : اليوم الذي
لقيتك فيه . تلقين : تجدين : دارب : ذا خبرة . في الديارات : في البلدان .
(٢) اسليك : اسألك . باللى : بالذي . المخاليق : المخلوقات . العشاشيق :
العشاق . واسمك . وما اسمك . ترى : ان . مسما : مسميات .
(٣) ابوى : أبي . اللي : الذي . لارست الخيل : اذا صفت تنتظر الاغارة .
ابن هندي : من آل حميد امراء (برقا) أحد جذمى قبيلة عتيبة الشهيرة . الاسلاف :
جمع سلف وهو الحى من الاعراب ينتقل من مكان لآخر . فراع : مفترع . المقاصر :
جمع مقصر . وهو ما تختبىء فيه الاعرابية .

ويأخذ الحوار طريقه ، حتى يخضع الشاعر لرغبتها ،
ويجيب طلبتها ، ويبدأ معها في استعراض ملوك الجزيرة
وأمرائها وزعمائها ، وكل تخاطبه بما يليق به ، فمثلاً أمير
عنيزة إذ ذاك صالح آل سليم لم تحاول أن تجرح شعوره بل
تخلصت بأنّها بدوية لا تطيق سكنى المدن يقول :

هذي عنيزة شيخها فايـح الراس
صالح من الفرسان لباسه الطاس
اللي عديم في زمانه من الناس
بني عمر لي جا نهار الملاقاة^(١)

فتجيبه :

تقول نعم بالفهد ماله امثال
وبالدار ما نقعد ولو شرب فنجال

(١) فايح الراس : كناية عن الكرم والشجاعة . صالح : هو صالح بن سليم أحد أفراد أسرة آل سليم أمراء عنيز خلفاً عن سلف . لباسه الطاس : يلبسون الطاسات في الحروب وهي البيض . اللي عديم : الذي هو نادر . بني عمر : أى هو من بني عمر فال سليم من أحد شقى قبيلة سبيع وهم بنو عمر ، والجذم الآخر بنو عامر ، وهؤلاء هم سبيع نجد ومنهم بنو ثور وهم أهل اودية (رنية) و (الحرمة) وما جاورهما : لى جا : إذا جاء . الملاقاة : الاغارة .

طرد الهوى يا بادع القيـل غربال

مضنون عيني ما نويته بجيات (١)

ولم يزل في حل وترحال ، إلى أن وصل بها سدة الملك
عبد العزيز ، وصور لها بعض جوانب شخصيته ، ولكنها
تنصلت بعذر لبق ، هو أنه لا يمكن أن يكتفى بجمالها ،
وبهائنها ، عن غيرها ، فهي تضمن بهذا الجمال البارع على
الضرائر :

انتى زعـاع تشمخين العراضي

والا فانا ممـا جري منك قاضي

فان جاد حظك ما تعدى (الرياض)

ما شوف لك عن ديرة العزنوهات (٢)

هذا عريب الجد والخال واعمـيام

اللي كسا عقب العرى ماكر دهام

(١) الفهد : اى شبيه الفهد . ولو شرب فنجال : ولو مقدار شرب فنجال القهوة
طرد الهوى : التعلق به . بادع القيل : قارض الشعر . مضنون عيني . ذخرها وحبيبها .
مانويته بجيات : لم انو زيارته .

(٢) زعاع : شرود غير مروضة : تشمخين : تتسلقين : العراضي : صفحات
لحبال وهو يشبهها بالظبية . قاضي : منته . ما شوف : ما ارى . ديرة : بلاد . نوهات :
نيات وطواريء .

وعشى وحوش البر من عسكر الشام
واهل الشهر من حربته راحو اشتات^(١)

ويسترسل في مدحه ، فتقابله في صمت ووجوم ، ثم يستفهم
عن مصدر هذا الصمت فتجيبه :

تقول لو يقود عمشا وريمة
ماهوب كبر ولا عن الشيخ شيمة

لا شك قالوا لي يبور حريمه
الي تجوز في السنة خمس مرات^(٢)

وأخيراً ينتهى بها إلى الممدوح ، ويخلع عليه من ثياب الثناء ،
وصور المديح ، ما جعلها تنقاد نحوه انقياد الذلول ، وتستسلم
استسلام المقتنع :

يا الي طغت بالزين هذا محمد
كم جادل نجلا لشوفه توجد

(١) ماكر دهام : داره والمراد مدينة (الرياض) عشى : اطعم عشاء من عسكر
الشام : المراد عساكر الاتراك في واقعة (البكيرية) و (الاحساء) وغيرهما وكانوا
اذ ذاك يجلبونهم عن طريق الشام . اهل الشهر : أهل الرئاسات وموقدو الحروب .

(٢) عمشا : فرسه . ريمه : ناقته . ماهو : ليس الأمر . شيمة : المره من شام اذا
أنف واستنكف . لا شك : لكن . يبور حريمه : لا يطيل العشرة مع زوجاته يأخذ
ويطلق ، وتسمي المرأة المطلقة باثراً . الي تزوج : قدر ما يتزوج .

اللي الى من ارست الخيل ورد
وهدم طوابير الجموع المبناة (١)
ضد الضديد الى دنى له ضــــديد
يروى نهار الكون صافي الحديد
ما كنهه الا خالد بن الوليــــد
والا علي بمبارز اهل الطياسات (٢)
وأخيرا :

تقول هيد للشجاع أبو خالــــد
السوق دنه والمطــــوع وشاهد
والسوق لك يا الى علينا مجاهد
والكيف طاب وبي نسوق البشارات (٣)

(١) يا اللي طغت بالزين : يا ايتها المدلة بجمالها . جادل : ذات جديلة وهي الظفيرة المسترسلة من الشعر وهو تعبير مجازي . نجلا : نجلاء العينين . لشوفه توجد : لرؤيته . تتوجد . اللي الذي . اللي من ارست الخيل : الذي اذا صفت الخيل تنتظر الاغارة . ورد : بوزان جرد والمعنى غامر واندفع . المبناة : المتركمة .

(٢) الضديد : المضاد . نهار الكون : يوم اللقاء . صافي الحديد : السيوف ونحوها . ما كنهه : ما كآنه . اهل الطياسات : اهل البيض .

(٣) هيد : قف . ابو خالد : كنية الممدوح . السوق : المهر . دنه : قدمه . المطوع : المأذون : السوق لك : المهر لك أيها الساهر في طلب من أريد . الكيف طاب : تم المنى وعثرنا على الضالة المنشودة . بي نسوق : نريد دفع البشائر على بلوغ الأرب .

ورغم أن هذه القصيدة ذات مغزي عادي ، إلا أننا نستطيع
أن نلحقها بالشعر التمثيلي ، لأسلوبها الحوارى الشيق ، !
وتجسيمها للصور والأخيلة في ذهن القاريء على نمط الشعر
التمثيلي النادر وجوده في الفصيح ، وإن كان هذا غير مقصود
للشاعر ، ولا يخرج هذه القصيدة عن نطاق ترف الشعر النبطى ،
إلا أن ما أتى بمجرد المصادفة له قيمته ووزنه !!

ولم أقف أيضاً لأحد من شعراء الفصيح على شىء من هذا
النوع ، إلا أن هناك قصيدة نونية ، لخالد بن صفوان القناص ،
تسمى العروس ، وهى إحدى القصائد التسع ، المسماة الفرائد ،
ولكن هذه القصيدة ليست من هذا الباب الذى طرقة شعراء
النبط ، فقد يكون جمال هذه القصيدة ، هو الباعث على تسميتها
بذلك .

والشاعر النبطى يرى أن معشوقته التى يتغنى بجمالها ،
ويهم بحبها ، ويتوله لهجرها .. لابد وأن تكون معروفة ، وان
يظهر للناس أن هذا الحنين والأنين ليس من أجل نكرة لا يعرفها
إلا عاشقها ، وإنما هى قتالة العشاق ، وفتانة النساك ، فكلهن
كأنما عناهن أبو فراس :

فقلت كما شئت وشاء لها الهوى :

قتيلك ، قالت : أيهم فهم ، كثر ؟ !

ولكن هناك ما يمنع الشاعر من التصريح باسم محبوبته ،
فالتقاليد والعادات تردان ذلك ، وإذا فما هو الطريق الذي
يجمع به بين هذا التعارض ؟ !

إن هناك اصطلاحاً تواطأً عليه المتأخرون ، وجروا على سننه ،
وقل من يعنى به ، أو يشغل نفسه بمعرفته ، إلا شاعراً أو راوية
للشعر ، أو ذا ولع به ، هؤلاء - في نظرهم - ينضوون تحت
لواء واحد ، ويندرجون في طريق واحدة ، فلا مانع من اطلاعهم
على هذا السر واحاطتهم به .. إن هذا ما يسمونه - الريحاني -
و (الدرسي) ويلحق بهما (الأبجدي) .

فالريحاني : هو توزيع حروف الهجاء الثمانية والعشرين على
فصائل الحيوانات والنباتات ونحوها ، فكل حرف مستقل
بفصيطة منها ، ومتى جاء اسم نوع من جنس من هذه الأجناس
أنصرف الذهن إلى ذلك الحرف ، وهكذا يتجمع ما مستقل
باسم محبوبته ، من الحروف ، وكلما كان الشاعر أعمق معنى ،
وأبعد ادراكاً في هذه الناحية ، كانت امارة جودته وقوة شاعريته

كما أنه يريد التعمية عن قارئيه ، وانبهام هذا العالم عليهم ،
ليكدوا ، أذهانهم في كشفه .

فمثلا اسم (هند) يتألف من ثلاثة أحرف هي (ه . ن . د)
فالهاء - عندهم - من الهوام ، والنون من النجوم ، والدال
من الدواب ، فالهوام أجناس وأنواع كثيرة قل من يحيط بها .
فاذا أراد الشاعر استعمال هذا الحرف - وكان قصد التعمية -
ذهب يفتش عن اسم (هامة) بعيدة معرفتها على من حوله ،
وهكذا في أسماء النجوم والدواب ، حتى لا يستعصى هذا الاسم
إلا على النادر ، أما إذا أراده قريب المتناول ، فما عليه إلا أن
يقول : اسم حبيبته (ثعبان ، سهيل ، بقرة) فالثعبان من
الهوام ، وسهيل من النجوم والبقرة من الدواب !

وهذا أنموذج مما قاله أحد شعراء النبط ، وكان يعمي عن
اسم معشوقة له اسمها (منيرة) .

يا ليت زحله تجيننا يرجع القلب

من عقب مادش في غبات ميدانه^(١)

(١) تجينا : تأتينا . من عقب : من بعد . دش . خاض . غبات : جمع غبة .
ميدانه : مضطربه .

يا ريف دور المودة خذتني غلب

طاوعت بي بهرج التنين بلسانه (١)

فزحلة من المدن ، تأخذها على أنها (م) والقلب من النجوم
(ن) والبال ، والألف ، والنون ، والهاء ، من (ميدانه)
تشكل دانه ، وهى اللؤلؤة (ي) وريف دور من الرياحين (ر)
والتنين من الهوام (ه) .

وفي هذين البيتين التورية أيضاً ، فكل من زحلة ، والقلب ،
وريف دور ، له معنيان ، يصدق بهما معنى التورية ، كما قد
سبق في مكانه .

ويقول العرينى في محبوبة له اسمها (هيا) :

سمي خلى في (سوقة) يبيع

مرزوق والياقوت مع كل بيع (٢)

المراد بـ (مرزوق) اسم عبد وهو عندهم من الهوام ، والمراد
بالياقوت أحد الأحجار الكريمة المعروفة .. وإذا فادينا (ه)
لأنها مأخوذة من الهوام و (ي) لأنها مأخوذة من اليواقيت .

(١) خذتني : اخذتني . طاوعت بي : اطعت في . بهرج : تزييف : التنين
الثعبان .

(٢) خلى : حبيبي . في (سوقة) أحد اسواق مكة المكرمة المفعم بالبضائع والسلع
ومنهما ما ذكره من العبيد والجواهر . مرزوق : اسم عبد .

والشواهد والأمثلة على هذا كثيرة

الدرسعى :

أما الدرسعى فهو قرن كل حرفين من حروف الهجاء ، بحيث يتكون منهما كلمة غير ذات معنى ، لا لشيء سوى مناوبة هذه الحروف ، بحيث إذا كان المراد حرفاً معلوماً في الاسم يعدل عن هذا الحرف إلى قرينه بقصد التعمية ، وصفة هذا الاصطلاح هكذا : (كم ، او حط ، صضى ، لد ، في ، در ، سع ، بز ، خش ، تذ ، نق ، ثج ، طع) .

فمثلاً إذا أردت اسم (دعد) قلت : (رسر) وإذا أردت اسم (سعاد) قلت : (عسور) وهكذا .

الابجدي :

هو معروف من كثرة استعمال الكتاب والمؤرخين له عند خشية الالتباس في الأرقام ، حينما يكون المؤلف أو الكاتب ، أو الحاسب ، سائراً في شرح مادة ، أو عملية مرقمة ، وعرض له في أثنائها ما يقتضى السعد ، أو التفجير ، فهنا يلجأ إلى الحروف الأبجدية ، وربما تنفذ معه الحروف الثمانية والعشرون فيعيدوها من أولها مزدوجة .

كما أن الأشكال الهندسية مبنية على هذا ، وصيغة
الأبجدي هكذا : (أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سغفص ،
قرشت ، ثخذ ، ضظغ) وعلى هذا الترتيب ، رتبوا الأعداد من
واحد إلى الف ، بحيث تنتهى الآحاد عند الياء ، والعشرات عند
القاف ، والمئات عند الغين ، فاذا أراد الرامز أن يرمز إلى اسم
أو غيره ، أخذ أعداد كل حرف ينبنى منه ذلك الاسم مجزأة
أو مجتمعة ، وبعد إجراء عملية حسابية تتبين له جميع الحروف
أو بعضها ، ويدرك البعض الآخر بالقرائن وهكذا ..

وربما عكسوا لا سيما في حساب التواريخ ، فسيتدلون
بالحروف على الأرقام ، مثاله قول بعضهم مشيراً إلى نكبة
(الدرعية) على يدي المصريين عام ١٢٣٣ بكلمة (غربال)
قال :

عام به الناس جالوا حسبما جالوا
ونال منا الاعادي فيه ما نالوا

قال الاخلاء ارحه فقلت لهم
ارخت قالوا بماذا قلت (غربال)

وهكذا يتخذ شعراء النبط هذه الوسائل للأغازهم ومخبثاتهم ،

يقول الشاعر النبطي ناصر العرينى رامزاً إلى محبوبة له اسمها
(هيا) :

اسمه في الابد عندنا في حسابه
خمسة عشر ياللي جدوده عربية (١)
وفي المدرسى (لام) و (ف) يعتنى به
مع (حصّة) في مفرق له غريبة (٢)
ويقول ابن جعيشن :

اسمها روض الخضاري بالمروج
فوق عشر في شفى وادي العقيق (٣)
يزرع الليمون في بخشة بلوج
عبدنا محبوب يازين الرفيق (٤)
ويقول محمد بن عرفج :

ضب سمي صويحبي به جبـاره
وفصيـص ياقوت صمى لام صاميه (٥)

(١) الى جدوده : يأياها الذي .

(٢) حصّة : لؤلؤة . غريبة : نادرة .

(٣) الخضاري : نوع من الحمام .

(٤) بخشة : بستان . يازين الرفيق : ما احسن الرفيق .

(٥) ضب : حيوان بري من الزواحف . صويحبي : تصغير صاحبي : اي

صاحبتي - وهو تصغير تمليح . ومثله فصيـص ياقوت .

قفل القصيدة :

ومن تصرفاتهم عندما يريد بعضهم - أحياناً - انهاء قصيدته ، يحاول أن يكون آخر شطر منها هو أول شطر بالذات ويسمونه (القفل) بمعنى انه أغلق هذه القصيدة ، فلا يستطيع أحد الزيادة فيها ، وهو عندهم من قدرة الشاعر وتفوقه . مثاله قول ابن جعيثن في مطلع قصيدة له :

عن الدار يا اهل الهجن بالله ودوني
عن الشوم والادبار والماقف الهوني
ويأتي عند نهايتها فيقول :

الى نلت صافي الود منهم فغايتي
عن الدار يا اهل الهجن بالله ودوني (١)
المهمل :

وهو اغفال القصيدة من النقط ضد الاعجام ، وقد طرقة قلة منهم ، وهو أيضاً مطروق في الشعر العربي كما جاء في مقامات الحريري ، وممن طرقة من النبطيين العوني ، قيل إنه أراد به

(١) الهجن : الابل القوية السريعة . ودوني : ابعدوني . الشوم : الشؤم . الماقف الهون : الموقف الادنى . الى نلت : اذا أدركت .

تعجيز بعض شعراء الحجاز أمام أحد أشرف مكة ، فانقطعوا في
محفل كبير وها هو جزء من قصيدته .

هل الهلال وهامل الدمع مدرار
لاهل واهمل ما طره كالهلال هل (١)

* * *

أول صدود مواصله والهوى حار
لما الدهر رده على حاله اول (٢)
عسى عسى ما كمل الدمر للدار
عاد الرحا دوره على روس وحلل (٣)

وكذا ابن لعبون قال من قصيدة طويلة :
أحمد المحمود ما دمـع همل
او عدد ما حال واد له وسال (٤)
او عدد ما ورد وراـد الدحـل
او رمى دلوه وما صدر ومال (٥)

(١) لاهل : اذا هل . ماطره : مطره . الهلال : قطع نقدية تساوي واحدتها ربع
قرش دارج .

(٢) حار : تحير . لما الدهر : حتى الدهر . حاله اول : حالته الاولى .

(٣) الدمر : الدمار . روس : رؤوس . حلل : جمع حلة وهو الحى .

(٤) مادمع همل : عدد ما همل الدمع . حال واد : اجذب .

(٥) الدحل : جمعه دحول وهى انفاق وتجاويف طبيعية تحت الارض تحتفظ بالماء .

او حدا حاد لسلمى او رحــــل
سار هاك الدار او داس المحال (١)

بناء البيت على أكثر من قافية :

وكما مر لنا أنهم قد بنو البيت على قافيتين بما يسمى
التشريع في البديع .. فانهم لم يكتفوا بهذا بل بنوا البيت على
ثلاث قواف وأربع ، اقرأ لعبد الرحمن الربيعى من قصيدة بعث
بها للشاعر ابن دويرج مبنية على أربع قواف :

راكب الى يوم احلي مثل وصف الضاري
وان غدا بالغدرا

شايف زول الفريسة وانتحى كالسيل
من ضفاف جباله (٢)

لنتوى ما بان في خد وطاه اثاري
لو عليه يزرا

(١) سارهاك الدار : سار في تلك الارض . داس المحال : سلك الفيافي القفر الى
لا ماء فيها .

(٢) راكب : يراكبا . اللي يوم احلي الذى حينما اشبه . مثل وصف الضاري :
كالذئب في الخفة والسرعة . الغدرا : الليلة المظلمة شايف زول الفريسة : راثياً شبح
فريسته . انتحى : انقض .

من يقول انه مشى ممشى الشهر في ليل
مــــا يــــمى زالــــه (١)

ويجيبه ابن دويرج على نحو قوله :

يا هلا بالنظم ماهبت هبوب الذاري
والنــــديب الصقــــرا

يوم جاني فوق مسلوب المقاد رويلى
والسعد يــــرى لــــه (٢)

إلى أن يقول :

غير عمهوج نهوده تقل بيض خضاري
والــــذوايب شــــقرا

بس كتف وردف الوسط فيه عسيلي
كنــــه السيــــاله (٣)

(١) لتوى : اذا نوى . اثاري : أثر . يزر : يربط . زاله : زالا .

(٢) ياهلا : تحية . النديب : الرسول . الصقرا : كناية عن الشجاع الحريء .
مسلوب المقاد : حسنه . رويلى نسبة الى قبيلة الرولة . يرى له : يتبعه .

(٣) عمهوج : لين الأعطاف . تقل : مثل . خضاري : نوع من الحمام .
الذوايب : الضفائر . بس : فقط .

وهناك ما يبني على ثلاث قواف ، اقرأ لسليمان بن شريم :

الا يا راكب حـــــــــــــــــــــرة
مــــــــن العـــــــــــــيرات مصطورة

صبور بالمساري ما تمل الفتق الخالي (١)

لفت مــــــــن يــــــــمة الحرة
وهي مــــــــن قــــــــبل مذكــــــــورة

جلبها واحد ماقط باع ولاشري بالغالي (٢)

واحيانا يفقرون البيت فقرات يلتزم فيها سبعة واحدة مثل
قول مخلص القشامي :

يامل قلب تاق من عقب الفراق يومي كماالمسباق
بين المعاليق (٣)

بين عليه سهيل مع تالي الليل ياويل عيني ويل
حلو المذاويق (٤)

(١) حرة : ناقة أصيل . العيرات : الشديديات . مصطورة : مضطربة . المساري : جمع مسرى وهو السرى ليلا . الفتق : المومة .

(٢) لفت : قدمت . يمة : من جهة .

(٣) تاق : اشأب . كما المسباق : كمثل . المعاليق : الاحشاء .

(٤) بين : خرج . سهيل : النجم المعروف . المذاويق : جمع مذاق .

ولابن دويرج :

قال المشقى - بالمعـاسـر ترقى

في راس مبري طويل الشخايب^(١)

منهيض باشكال - عدلات الامثال

الذ واحلى من نوايع مراطيب^(٢)

وهذا شيء كثير نكتفي منه بما أوردناه من نماذج .

(١) المشقى : المعنى . المعاصر : المصاعب . مبرى : جبل طويل . الشخايب :
الشماريخ .

(٢) منهيض : متذكر . اشكال : ألوان . نوايع مراطيب : طيبة الطعم واللون .

ملح وطرائف

لا شك أن الأدب الشعبي غني بالنوادر الطريفة . والنكت
الطريفة . وإن مجال القول هنا ذو سعة . ولكننا سوف نقتصر
على إيراد ما اتفق لنا إirاده . عفو المصادفة . وطوع الذاكرة :

مطوع نفى (*) وابن سبيل :

كلاهما شاعر . واتجاههما متقارب ، وبيئتهما واحدة ،
ويتنازعان الزعامة الشعرية . وصرف قلوب الناس . وإن كان
الواقع أثبت أن المطوع لا يلز في قرن مع ابن سبيل . ولكن
النقائض . والملاحاة الشعرية ، وقعت بينهما بالفعل ..

كان لدى المطوع هاون (نجر) . لسحق القهوة . وكان
له صوت ندي ، وشهرة في بلد نفى . وقد حاول بعض مشائخ
البادية . ومنهم دغيليب ابن خنيسر . شراءه منه . فأبى
وأنشد :

(*) هو سعد بن مساعد . إمام وخطيب بلد نفى في زمنه . كان شاعراً حلو
القريض . رقيق العبارة . سلس الأسلوب . مقلاً . قد استبد الغزل بغالب شعره .
ولولا ما وقع بينه وبين ابن سبيل من ملاحاة شعرية ، لما خرجت قريحته عما كلف به
من غزل ونسيب . وحب وتشبيب .

نجر المطوع يوم سامه دغليلب
قالوا تبيعه قلت والله مبيعه (١)

ابغى الى جونا هل الفطر الشيب
اجواد مرفقهم عدو الشريعة (٢)

اول قـراهم دلتين وتـرحيب
ترحيبة سهلة ونفس رفيعة (٣)

لعل رجل ما يعرف المواجيب
تجيـه ليعات الليالي سريعة (٤)

فيناقضه ابن سبيل قائلا :

الى يجى يمه هل الفطر الشيب
شرق عن الهيشة يسار الرفيعة

والا المطوع كل هرجه تكاذيب
والى بغى مهيب (ترفة) تطيعه

(١) نجر : هاون . سامه : طلب شراءه . تبيعه : أتبيعه . مبيعه : لا أبيع .

(٢) أبي : أريد . الى جونا : : إذا جاءنا . هل الفطر الشيب : اهل الابل السمينة الاصيل . مرفقهم : مصاحبهم . عدو الشريعة : الجوع .

(٣) دلتين : انأى قهوة . نفس رفيعة : طيبة كريمة .

(٤) المواجيب : واجبات الرجال . تجيه : تأتبه . ليعات : مفاجآت الليالي .

وتلعب عين المطوع على إحدي الكواعب . لَمَّا تعتزل
الصبيان وألعابهم . - بعد - لصغر سنها . فيقول :

هيض علي جـويدل ما تغطي
يلعب مع الصبيان بام الخطوط (١)

يا شبه غرنوق معـا فرق بطا
توه وحش نزل البحر والشطوطي (٢)

كنه على شوك الهراس يتوطـا
والا الميابر يوم بالرجل يوطى (٣)

فيحرك بهذا كامنا لدي ابن سبيل فيقول :

امطوع يا مال كشف المغطـا
ياخذ على رقي المنابر شروطي (٤)

(١) هيض : آثار . جويدل : ذات جديلة والتصغير للتمليح . ما تغطا : ما احتجب
ام الخطوط : لعبة للاطفال .

(٢) غرنوق : تقدم تفسيره . فرق بط : سربه . توه وحش : لا يزال متوحشاً .
نزل البحر : جاء من جهته .

(٣) كنه : كأنه . الهراس : نبت شائك . يتوطا : يطاء . الميابر : الابـر . يوطى : يطاء .

(٤) مطوع : من لديه مبادئ في علوم الشريعة . يا مال : يالعله . كشف المغطا :
كشف السر . شروط : اجور مقابل خطبه .

شره على ورع وهو ما تغطى

(يلعب مع الصبيان بام الخطوطى) (١)

ويدل المطوع بكرمه وتقديمه القهوة لضيوفه فيقول :

لي ضاق صدري قمت اصوت لنورة

هاتي حطب وارميه للجار والضيف (٢)

من قبل ولد اللاش يبدي بشوره

حمست من حب اليمن غاية الكيف (٣)

فيتأثر ابن سبيل بما قال فينشد :

امطوع ما كبر هو له وجو—وره

مشراه في دور السنة مد ونصيف (٤)

(١) ورع : طفل . وهو .. الخ والحال انه كذلك .

(٢) قمت اصوت : جعلت اناذى . نورة : زوجته . هاتي حطب : ايت بحطب .
وارميه : القى به .

(٣) ولد اللاش : ابن النذل . شوره : مشورته . حمست : قلت . حب اليمن :
القهوة لانها تجلب من هنالك غالباً . غاية الكيف : منتهاه .

(٤) هوله وجوره : تهوره وكذبه . مشراه : ما يبتاعه في دور السنة : مدتها . مد
ونصيف : ربع الصاع وثمنه .

وادلالهم دب الليال مهجوره

وخطارهم مغير ابو زيد وحنيف (١)

ولد الخطيب وخشيره :

كان ابن المطوع قد اشترك مع رجل يقال له الفريخ في
فلاحة بالمذنب فمر بهما ابن شريم فقدا له تمرأ في شن ولما
ذهب إلى عنيزة أخبر المطوع بحال ابنه وشريكه وكان الشريك
قد غاضب زوجته ففرت منه فانشأ المطوع يقول :

يذكر لنا ولد الخطيب وخشيره

انه يقلط فوق شن هجوره (٢)

ولا ظنتى فيها عليهم معيرة

لا شك يا شين الزمان ودبوره (٣)

غرس فرق بين العشير وعشيره

ينعاف لو الطلع مال حجوره (٤)

(١) دلالهم : أواني قهوتهم . دب الليال : طيلتها . خطارهم : ضيوفهم . أبو
زيد وحنيف : هذان الرجلان وهما ليسا بذئ خطر .

(٢) ولد الخطيب ولد المطوع . خشيره . شريكه . يقلط : يقدم . هجوره :
أكله ظهرأ .

(٣) ظنتى : ظني . معيره . سبة . لا شك : لكن . ياشين : ما أقبح . ودبوره
إذا أدبر .

(٤) غرس : نخل . ينعاف : يترك . الطلع : الثمر . حجوره : فروعه .

جعلله لورعات السيوف الشطيرة
ما قيظ العصفور عقب مخسوره (١)

من لا يميز قبل ورد صدوره
ترا جواده لو ينير معثــــوره (٢)

حنيف بن سعيدان (*) وابن سبيل :

كان حنيف بن سعيدان في غزو مطير ، حينما أغاروا على
عتيبة . فنهبوا منهم ما نهبوا ، وكان كسب حنيف حماراً .
جاء به إلى بلد (نفى) ليبيعه ، فعلم ابن سبيل فقال :

العير عير حنيف عيــــا يبيعه

ما كنه الا كاسب غوج عرهان (٣)

(١) جعلله : لعله . لورعات السيوف : حدادها . قيظ : اطعم صاحبه في القبط .
مخسورة : ما خسر عليه .

(٢) ترى : إن . ينير : يفر . معثورة : معوقة .

(*) حنيف بن سعيدان ، شاعر هجاء . أدركته ، وحضرت له مجلساً واحداً عند
بعض الامراء ، في روضة التنهاة ، وما مرت خلقة يوماً على ذهنى . إلا تذكرت
بشار بن برد ، خلقا — وخلقا ، فهو ضرير ، جاحظ العينين . ضخم الحثة . خامل في
زيه . معجب بنفسه . له شعر قوى ، وديباجة رصينة وصياغة متينة . .

(٣) العير : الحمار . عيا : أبى . ماكنه : ماكانه . غوج عرهان : حصانه .

أخذت عير مقومين الشريعة
عساه تال الفود يابن سعيدان(١)

فأجابه حنيف :

قالوا تبيع العير قلنا نبيعه
هات الثمن وانت لك العير (...)(٢)

لأنته بامير ولا نت راعي شريعة
قمرية تلعي على روس عيدان(٣)

ولم يكتف حنيف بذلك ، بل أراد أن يستعدي ابن رشيد
على ابن سبيل ، وكانت لابن رشيد إذ ذاك سلطة في نجد فألحق
بقصيدة ابن سبيل بيتاً ، ليوهم ابن رشيد أنه قائله ، ليفتك
به ، فقال :

يا عل حاكمكم بتالي ربيعه
ياعل حكمه من ورا الحيد وابان(٤)

(١) مقومين الشريعة : المراد عتية بعد انتفاضتهم الدينية الماضية . تال الفود :
آخر الغنم .

(٢) هات الثمن : ايت بثمانه . وانت : وأنت .

(٣) لأنته : لا أنت . راعي شريعة : صاحبها . تلعي : تنوح . عيدان : أعواد .
والمراد أنك لست من هذا في قبيل ولا دبير وإنما انت شاعر فقط .

(٤) بتالي ربيعة : بآخر جده . الحيدوابان : جبلان في عالية نجد .

فأوجعه ابن رشيد ضرباً ، حتى قيل إن يديه قد تكسرت
من شدة الضرب ، وفي مناسبة أخرى . قال ابن سبيل معرضاً
بعنيف :

يا طاردين الغي خلوه خلوه
خلوه يوم انه سمج لاتبونه (١)

خلوا حذافيره لــــاس تبلوه
هو مقفي عنهم وهم يطردونه (٢)
فيجيبه حنيف ملصقاً به تهمة أخلاقية فيقول :

يا هل الرمك حدوه حدوه حدوه
حدوه يا هل الخيل لا تطلقونه (٣)
العام برقاً قادة الخيل هــــدوه
جاء الفليو الى تزامر عيــــونه (٤)

(١) طاردين الغي : يامتبعي الهوى . خلوه : دعوه . سمج : يعنى الهوى .
لاتبونه : لا تقبلوه .

(٢) حذافيره : حثالته . تبلوه : ابتلوه . مقفي : معرض . يطردونه : يتبعونه .

(٣) الرمك : الخيل . حدوه : اطرده . وسدوا عليه منافذ الطريق وفيه تأكيد بعد
تأكيد .

(٤) العام : السنة الفائتة . برقاً : احد شطرى قبيلة عتيبة . هدوه : تركوه . الفليو :
تصغير فلو وهو ولد الفرس الذكر . تزامر عيونه : تتماوج عيناه .

حنيف والحضري :

أراد أحد شعراء الحضري أن يتندر على حنيف ، بعد أن أسقاه القهوة . فقال :

خمسة عشر فنجال لحنيف صبيت
ولو هو يروي قربة قد ملاها^(١)
فأجابه حنيف :

لا تحسب اني من دلالك تقهويت
ما تنقه الشراب من كثر ماها^(٢)
يا موصى الحرمة على صكة البيت
تقول ما هو فيه لو هو وراها^(٣)

حنيف وابن غيام :

كان حنيف هجاء ، سليط اللسان ، فاحش القول ، وقليل
أن يعلق الهجاء بالشاعر ، لا سيما من هو على شاكله حنيف ،

-
- (١) فنجال : فنجان قهوة . صبيت : صببت . لو هو : لو انه . يروي قربة :
يصب في قربة لامتلات .
(٢) دلالك : أواني قهوتك . تقهويت : أخذت حظي من القهوة . تنقه : لا تفيد .
الشراب : صاحب القهوة .
(٣) الحرمة : المرأة . صكة البيت : اغلاقه . ما هو فيه : ليس في الدار . لو هو
وراها : لو كان خلفها .

إلا أن حنيفا رمي بداهية ، أوقعه في الشراك ، وسلقه ببيتين
ظلت ولا تزال تروي ما روي شعر نبطى ، قال فيه ابن غيام
البيتين الشهيرين :

يا حنيف بذيت العرب بالضيافة
على الذلول الي تحوف قصرها^(١)
يا حنيف ما عندك من الله مخافة
سباب والعكة تجود وكاها^(٢)
ولقد سمعته بنفسى يقول : ما آلمنى شىء من الشعر مثلما
آلمنى هذان البيتان !!

جمل تركى بن حميد :

لذ لتركى بن حميد ، ان يتخيل جملا ، ولا كالجمال
المعروفة ، وإنما فيه وجه شبه من الطير من جهة ، وآخر من
الجمال ، فهو بين ، بين .. ولم يكن لابن هادي ، وهو الذي
يدأب على مناقضته ، إلا أن يستغل الفرصة ، ليتندر على تركى
وجمله . قال تركى :

(١) بذيت : اتعبت . بالضيافة : بكثرة ما تأتيهم ضيفا . الذلول : الناقة المذلة .
تحوف قصرها : تسرق جيرانها والمراد صاحبها .
(٢) سباب مبالغة في كثرة السب . العكة : اناء السمن . تجود وكاها : توثق
وكاءها والمراد انك تكون ضيفا ولا تكون مضيفا .

يا راكب الي ما يدان الصغيري
هميلع من نقوة الهجن سراسح^(١)

امه نعامة واضربوها بعــــير
جا مغلطاني على خف واجناح^(٢)

احبال كوره من سلوك الحريري
وسفايفه مثل الغرابين طفاح^(٣)

يسرح من الطاييف ويضحى البصيري
والسوق والبصرة دهجهن بمرواح^(٤)

فأجابه ابن هادي :

يا تركي بن حميد وش ذا البعيري
ما تجلبونه كان تبغون الارباح^(٥)

(١) ما يدان : لا يتحمل حتى ولو صوت الصغير . هميلع : سريع . نقوة . منتقا : سراسح : نادر .

(٢) أضربوها : أعلوها . مغلطاني : مشتبه بين ذات الخف وذات الجناح .

(٣) كوره : قبه . سلوك : خيوط . سفايفه : حبال مزودة . طفاح : طائرین .

(٤) يسرح : يغدو . يضحى : يأتيها ضحى . السوق والبصرة : من مدن العراق . دهجهن : اتاهن . بمرواح : وقت الرواح .

(٥) وش ذا : ما هذا . ما تجلبونه : الا تجلبونه . كان : اذا .

لا عاد له خف وجنح يطيري
انا اذكر الله راكبه كيف ما طاح^(١)

أنا لقيت الكذب في كل اميري
وياحلو كذب مخضبة علط الارماح^(٢)

البدوي في نظر الحضري :

رأى بعض شعراء الحضرة زرافات البدو ، يقبلون ويدبرون
على بيت أخيه ، فلامه على ذلك فلم ينته فأنشد :

البدو يا باغى من البــــدو ثابة
البدو وان شافت معك شى تنهيك^(٣)

وان جو على زادك سواة الذيابة
تعدي مخالبيهم عن الزاد مخليبك^(٤)

البدو من عصر النبى والصحابة
عيت مذاهبيهم تطابق لمذهبيك^(٥)

(١) لا عاد له : ما دام أن له . جنح : جناح . طاح : سقط .

(٢) مخضبة علط الارماح : ما أحلى كذب الشجعان الذين يخصبون الرماح من
دماء الأعداء .

(٣) يا باغى : يا مريد . ثابة : مثوبة . شافت : رأوا .

(٤) زادك : طعامك . سواة : مثل . الذيابة : الذئب . تعدي : تنحي . مخالبيهم : أيديهم .

(٥) عيت : أبت أي منذ ذلك العصر ومسافة الخلف بينكما كبيرة .

هويشل وقحطان :

لم يشتهر الشاعر (هويشل) بشيء ، مثلما اشتهر بتحامله
على قحطان ، وسخريته منهم ، ولا بد أنهم قد أثاروا حفيظته .
قال على لسان أحدهم ، وبلهجتهم :

إيش بيع الذبوحة في القويعية
يوم قد ودي اجلب لى فحل ضاني^(١)

مقنوي ولد نجدى ونجدية
كاسبه من عتيبة قبل ديانى^(٢)

حايفه من قطين صوب سعدية
فت جيش الطالب وانكف وخلانى^(٣)

(١) أيش : اي شيء . بيع الذبوحة : ثمن الذبيحة : القويعية بلدة .
قد ودى : انني أرغب .

(٢) مقنوى : يصلح للقنية . ولد نجدى : امه وابوه من نجد . قبل ديانى : قبل ان
ادين أي أتوب وأترك النهب .

(٣) حايفه : مختلسه ليلا . سعدية : منهل . انكف وخلانى : عاد وتركنى .

قالوا ان طار تو الجيش سكنية
يحسبون الخبل للجن جنحائي^(١)

يوم شليت عمري شلة حية
كتم العج من نبثات حذياني^(٢)

عازتي من ثمن كحلان مقضية
باشتري ما اشتهى من كل دكان^(٣)

باشتري كسوة وجراب بريــــة
واكتسى واكسى امى وام ورعاني^(٤)

ونشتري من ثمن كحلان زولية
ونلعب . . . يابنت قبلان^(٥)

(١) توالجيش : أمامه . سكنية : جنية . الخبل : المغفل .

(٢) شليت عمري : انهزمت انهزامة قوية . كتم العج : ثار قتامة . نبثات حذياني : شدة نفى حذائي للتراب .

(٣) عازتي : حاجتي . كحلان : الكبش الذى اختلسه . مقضية : سوف تقضي .
باشتري : سوف اشترى .

(٤) برية : قهوة برية . أم ورعانه : أم اطفاله وهى زوجته .

(٥) بنت قبلان : زوجته .

وهى طويلة وطريفة .

جمل بن لبدة وراكا بن حثلين :

في نزهة للامام فيصل بن تركي آل سعود ، كان من بين
من معه جمل ابن لبدة ، وراكا بن حثلين ، وقد تجاوزا أمامه
على فرسيهما ، وبدأ جمل حذاءه قائلاً :

والله لــــولا فيصــــل

وامــــر الامــــام مطــــاع

الــــن نشــــد وننــــزل

بين الحســــا ونطــــاع^(١)

فأجابه رাকা لتوه :

انــــه يكــــذب يا فيصــــل

ما هــــو لــــكم مطــــواع

نتافــــة لحيــــة مرشــــد

والشــــيخ الاخر ضــــاع^(٢)

(١) ألن نشد ونترل : لنتحلن ولنتزلن في بلادكم الواقعة بين الاحساء وهى
هجر المعروفة . ونطاع وهى قرية تقع شمالي الخط .

(٢) مطواع : طبع . نتافة لحية مرشد .. الخ يقال ان الامام فيصل بعث جباة
يجبون زكاة قحطان وفيهم طلبة علم فضربوا الجباة بما فيهم المشائخ .

سيف العرفجية :

اسمها (هيا) . وقد قتل والدها . من قبل ابن حجيلان .
فما كان منها إلا أن جردت سيفها . وقتلت قاتل أبيها . وفي
ذلك يقول عبد الله بن رشيد . من قصيدة طويلة مطلعها :

يا هيه ياللي لي من الناس ودا
ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه (١)

ما ترحمون اللي غدا دمعه ابداد
قد له زمان حرق الدمع خديه (٢)

إلى أن يقول :

عيسى يقول الحرب للمال نفاد
انشد مسوي السيف هويله حانيه (٣)

ان كان ما ترويه من دم الاضداد
فكزوه يم العرفجية ترويه (٤)

-
- (١) ياهيه : ياهذا . ودا : مود . يا عزوتي : يا من أحب . ليه : لماذا .
(٢) اللي غدا : الذي صار . ابداد : بددا . قدله : قد مضى له .
(٣) نفاد : منفذ . انشد : أسأل . هويله حانيه : هو لأى شىء حناه .
(٤) كزه : أرسله . يم العرفجية : للعرفجية . ترويه : من الري بالتشديد .

ان كان ما مر يزغتر بالاولاد
تري الموصى يذهل إلى يوصيه^(١)

شالغ بن هدلان وابنه ذيب :

لا شىء يخشى عليه شالغ إلا على ابنه البطل المغوار ، الذي
لا تمضى فترة قصيرة ، إلا وتنعقد على رأسه غبرة الحرب ، والكر
والفر ، ويخرج منها ظافراً منصوراً ، إلا أنه يعلم أن الحرب
سجال ، ويتخوف انقلابها على ابنه ، فيقول :

لو ان حى قد بكى الحى يا ذيب
والله لا بكى وانت يا ذيب حيا^(٢)

تبكيه قطعان عليها الكلاليب

لي قيل جنب يمة الخوف عيا^(٣)

(١) مر : المراد الغيرة والشمم . يزغتر : يفيض . بالاولاد : بالابناء . ترى
الموصى : ان من يوصى : بفتح الصاد لا بد وأن يذهل عنه من يوصيه ثم يعود لطبعه .
والتخلق يأتي دونه الخلق .

(٢) لو أن حيا قد بكى حيا قبلي مخافة موته لبكيت مخافة عليك لحازفتك بحياتك .

(٣) عليها الكلاليب : تسم سمة كأنها الكلوب (ل) وهى سمة الخنافر قبيلة
المذكور . لي قيل : اذا قيل . جنب يمة الخوف : تحاش جهة الخوف . عيا : أبى .

بارق خريف :

كان عجران بن شرفي . ممن يؤمن بنظرية : إذا مت ظمآنًا
فلا نزل القطر وكان مكفوف البصر ، فرآي صاحبه برقًا يلمع
على دار ليست بدارهم ، إبان فصل الخريف ، فأخبر عجران ،
فأنشأ يقول :

حتيش يا ابن فهيد لو صار كشاف

بارق خريف في ديار مصده^(١)

عسى الحيا يسقى لنا وادي الغاف

ومن روضة التنهاب لخريم حده^(٢)

الدلابة . وابن جعيثن :

كان لعرب الجزيرة ابان اختلال امنها ، وافتراق أجزائها ،
عادات هي عندهم بمثابة العهد والميثاق . لا يتجاوزونها ، وإذا
شد من يفتحمها ركبته سبة الدهر . وعار الأجيال .. لذا لم
يتورع الشاعر ابن جعيثن . أن ينبز مشعل الدلبحي من قبيلة

(١) حتيش : ثم ماذا . كشاف : مضى . بارق خريف : وهو برق خلب في
جهات بلاد الشاعر وما جاورها فليس موسما للمطر فيها . مصدة : منزوية .

(٢) وادي الغاف : وادي حنيفة . روضة التنهاب وروضة خریم : هما روضتان
طيبتان تنصب فيهما أودية (العرمة) فيشتبك عشبهما ويختلف زوارهما وتعبق
أزهارهما وتغني أطيارهما وتريانك مفاتن الجزيرة بأجلى مظاهرها .

عتيبة . حينما خفرت ذمته . وفتك بأهل بلد شقراء الذين جعلوه ردئا معهم عن قبيلته . عتيبة ولكنها قتلت منهم ابن هذلق . وكسرت يد آخر . فأرسلها ابن جعيش مغلفة . تسمهم إذا لم يوضحوا موقفهم بالعار والخزي .. قال :

خويكم ما توخذ فيه الأثمــــــــــــان

فلا تصيروا بابن هذلق سماحى^(١)

حجاجنا ما ثوروا كود بخصان

تخيروا مشعل قعــــــــود ضياحى^(٢)

يبغون به زود وهو صار نقصان

وراحت قرايعهم سواة الاضاحى^(٣)

اما حصل ما قيل مشعل بويضان

ما مثل ربعك ينقلون السلاحى^(٤)

(١) خويكم : صاحبكم . توخذ : تؤخذ . الأثم : الدية سماح : مسخين به .

(٢) ثوروا : ساروا . كود بخصان : الا عن علم . تخيروا : اختاروا . ضياحى : بين واضح .

(٣) زود : زيادة حماية . قرايعهم : خيارهم . سواة الاضاحى : مثلها .

(٤) اما حصل : اذا لم يحصل . ربعك : رهطك . ينقلون السلاح : لا يستحقون

نقله .

ليت الرفق من عرنة أولاد شيبان
ضامن سلوم السيرة مثل ناحي^(١)

ياكثر مثله بين لمات الاطعان
كل على سالف اجدوده يناحي^(٢)

تري الخوي ما يوخذ فيه حقان
الا بضرب مذلقات الرماح^(٣)

ان كنت عجز ولا مشيتا فالاقمان
ادخل على برقا يفكك مناحي^(٤)

وابرك لحمل الذم في كل ديوان
وهزل مع الى يسكنون البطاحي^(٥)

(١) الرفق : الردء . سلوم : عادات . السيرة : الركب .

(٢) ياكثر : ما أكثر . لمات : حشد يناحي : ينافح ويدافع ويتبع .

(٣) ترى الخوي : إن الرفيق . حقان : حقوق . مذلقات : محدودة الرؤوس .

(٤) مشيتا : مشيت . فالاقمان : فالاولى . ادخل : التجيء علي غير عشيرتك
لينتصف لك شيخ العشيرة الملتجأ إليها .

(٥) ديوان : مجلس . هزل : انحدر . الى يسكنون البطاحي : الصلب والنور ومن
على شاكلتهم .

تري الدعث يقصر مشابر دهيمان
ويشري على السبقة حصان المناحي (١)

وان للتفق نيشان والخييل ميدان
هذي دروب اهل القضا والفلاحي (٢)

شاعر الجوف :

ضاقته به طرق المعيشة في بلده ، فذهب إلى البلقاء ، يلتمس
رزقه هنالك ، وفي أول ليلة قدمها ، قدم له أميرها قراه ،
 واجتمع على هذا القرى أهل الحي ، يتزاحمون المناكب والأكعب
على هذا القرى القليل فطواها الشاعر في نفسه ، وظل ليله يسامر
النجوم ، ويشكو ألم الغربة ، وقسوة الزمن .. وفي الهزيع الأخير
من الليل ، تناول ربابة معلقة حوله في كسر البيت ، وطفق
يجر عليها :

الله على والشمس باد شعقها

من حدر الزرقا على نقرة الجوف (٣)

-
- (١) تري الدعث : الارض اللينة . مشابر دهيمان : يعوق الحصان السابق . السبقة :
الفوز في الحلبة . حصان المناحي : الحمار .
(٢) التفق : البندقية . نيشان : هدف . وللخييل كذلك ميدان يعرف هذا أهل
القضاء والفلاح .
(٣) الله على : أتمني . شعقها : شعاعها . حدر الزرقا : اسال عين الزرقاء . نقرة
الجوف : منخفض أرضه .

تسقى لنا غرس ظليل ورقهــــــــا
الى ثمرها للمساير وضيوف^(١)

كم حایل للضيف نرمي شنقهــــــــا
يقلط حثث ما هو على الزاد مردوف^(٢)

وبعد عن البلقا وحامى مرقهــــــــا
ومقلطة للضيف ذرعان وكتوف^(٣)

فلم يعزب منها بيت واحد عن سمع صاحب البيت . فقام
من توه وبعث برجلين أكفاء . إلى بلاد الشاعر لينظرا أهو
صادق . أم هو من الكاذبين . وأبقاه لديه في بيته على عدة .
ولم يشعره بما أضمر له . وبعد مدة من الزمن عاد الرسولان
يحملان مزوداً مملوءاً بأظلاف الغنم التى ذبحت لهما . وهنا
وصله . وأكرمه . وخلي سبيله !!

(١) غرس : نخل . المساير : الزوار .

(٢) كم حایل : كم شاة سمينة لم يهزها الحمل . نرمي شنقها : نلقي شقها :
يقلط حثث للاكل في متسع ورحابة لا يضايقه أحد . مردوف : خلفه آخر .

(٣) مقلطة : مقدمة . ذرعان : جمع ذراع . وكتوف : جمع كتف .

کلمة لا بد منها

في هذه الجزيرة آثار دارة ، وأمجاد مطمورة ، مثل ما فيها من المعادن ، والخيرات . وكلها في حاجة إلى رجال مخلصين ، وأبناء بررة ، يجددون الآثار الدارة ، ويصقلون الأمجاد المطمورة . ويستغلون المعادن والخيرات ، بكل ما يملكونه من إمكانيات فكرية ، أو مادية ، وما وهبوه من طاقات علمية ، أو جسمية .

وإذا كانت المجالات الفكرية في أي أمة من الأمم ، ينبغي أن تواكب المجالات المادية - إذا لم تتقدمها - . لتكون الطاقة المادية ، مبنية على تفكير وعلم ولثلا يكون نفعها ضرراً ، وخيرها شراً ، ويصدق فيها المثل العربي : إن الهزيل إذا شبع مات . فما أحرى هذه البلاد أن تستشعر هذه الناحية . وتحقق هذا المبدأ ..

وإحياء الآثار القديمة ، ولم شعث ما تفرق منها ، وإبرازها في ثوب قشيب ، يتفق ومتطلبات العصر .. هدف أسمى ، وطريق لاجب ، تجد فيه ناشئة البلاد سنناً تستنه ، ومهيئاً

تسلكه ، لشق طريقها في الحياة على ، هدي ما انحدر إليها من
مآثر الآباء ، والأجداد ، التي بذوا بها الأُمم ، وتسنموا ذري
المجد ..

لهذا لم يكن معالي (الشيخ عبد الله السليمان آل حمدان) ،
ليسقط من اهتمامه هذا الجانب ، فلقد دأب على احياء آثار
الجزيرة ، وابرز معالمها إلى جانب ما تنطوي عليه شخصيته من
جوانب ، عرفها له الناس فذكروها ، وشكروها ..

ومن هذه الآثار التي قدمها لأُمته ، طبع كتب العلامة ابن
بليهد ، وأهمها (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار).
وطبع ديوان شاعر الجزيرة ابن عثيمين .

وهو أول من وجه عنايته للأدب الشعبي ، فقرب رواته ،
وأثاب عليه ، وجمع دواوينه ، ثم دفعها للأستاذ خالد الفرج ،
ليرتبها ، ويعلق عليها ثم طبعها على نفقته .

ولقد سمع معاليه بهذا الكتاب ، بعد أن طبع منه (ملزمتان)
فتبرع بطبعه ، على نفقته ..

وهذه الجهود التي يقوم بها معاليه ، في هذا المجال ، سوف
تذكرها له الجزيرة بعاطر الذكر ، وخالد الشكر ، يوم تفنى

الملايين ، ومن جمعها ، وزخرف الحياة الدنيا ومن انغمس فيها .

وما المال والأهلون إلا ودائــــــــع

ولا بد يوماً أن ترد الودائــــــــع

ولئن فاتنا أن نتوج مقدمة هذا الكتاب بهذه الكلمة ، فلا

يفوتنا هنا أن نشيد بما لمعاليه من مآثر ، ومفاخر ، هو فيها

مثال الابن البار بأمته ، العارف كيف تبني المكارم ، وتشاد

المآثر ..

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثاً حسناً لمن وعى

المؤلف

مراجع الكتاب

رقم	مراجع الكتاب	اسم المؤلف
١	فنون الادب الشعبي جزآن	لأحمد رشدي صالح
٢	الحياة الأدبية في جزيرة العرب	لطه حسين
٣	أخبار الزمان	للمسعودي
٤	تاريخ الطبري	للطبري
٥	يتيمة الدهر	للثعالبي
٦	تاريخ الأدب العربي	لرافعي
٧	مناهل الأدب	سلسلة تصدرها إحدى دور النشر في لبنان
٨	ميزان الذهب	أحمد الهاشمي
٩	مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون
١٠	تاريخ الأدب العربي	لأحمد حسن الزيات
١١	الكامل في اللغة والأدب	للمبرد
١٢	الوصف في الشعر العربي	عبد العظيم قناوي
١٣	زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع	للحملاوي
١٤	لسان العرب	لابن منظور
١٥	القاموس	للفيروز ابادي
١٦	المنجد في اللغة	للاب لويس معلوف
١٧	الزجل اللبناني - تاريخه - أدبه - أعلامه قديماً وحديثاً .	لمنير الياس وهيبه
١٨	الأدب الشعبي	لأحمد رشدي صالح
١٩	روضة الشعر - نبطي وعربي منتخب -	أمر بجمعه عظمة حاكم البحرين
٢٠	المقامات	للحريري

رقم	مراجع الكتاب	اسم المؤلف
٢١	ديوان النبط (جزآن)	لخالد الفرّج
٢٢	خيار ما يلتقط من شعر النبط (جزآن)	عبد الله الحاتم
٢٣	رسالة في شعر النبط «مجموع طريف»	لاصحاب السمو آل ثاني
٢٤	الازهار النادية في أشعار البادية	«نشر مكتبة المعارف بالطائف»
٢٥	الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة	لناشر مجهول
٢٦	مجموع شعر العوني وابن جعيث	للاستاذ محمد بن يحيى
٢٧	عقد المرجان مجموع القصائد الحسان «مخطوط ضخم جميل»	للاستاذ محمد بن يحيى
٢٨	مجموع آخر «مخطوط»	للاستاذ محمد بن يحيى
٢٩	تاريخ آل ماضي	لتركي بن محمد بن ماضي
٣٠	ديوان تركي بن حميد	جمع الاستاذ محمد العمري
٣١	ديوان المطوع	جمع الاستاذ محمد العمري
٣٢	سفر جامع بمكتبي	
٣٣	مجلة الازهر	
٣٤	مجلة الآداب	
٣٥	مجلة المقتطف	

الفهرس

الموضوع	صفحة
الاهداء	٥
المقدمة	٧
نشأة الشعر العربي	٣٣
تطور الشعر العربي	٣٩
اللغة والشعر	٤٢
نبط وأنباط	٥١
بين يدي شعر النبط	٥٩
نشأة الشعر النبطي	٧١
من خصائص شعر النبط	٨١
نموذج	٩٥
نظرة إجمالية في هذه القصيدة	١٠٦
أسلوب القصيدة في شعر النبط	١١١
بين الشعر النبطي والعربي - المدح - الهجاء - الرثاء - الفخر والحماسة - الحكمة - الامثال	١٢٧
تصوير البيئة في شعر النبط	١٧١
معاني الشعر العربي وشعر النبط	١٩٥
اتفاق المعاني والألفاظ	٢٢١
شعر نبطي عربي	٢٢٧
الوصف في الشعر النبطي	٢٣٧
الغزل في الشعر النبطي	٢٥٧
الاغراض البلاغية في شعر النبط	٢٧٥
اللهجات العربية وشعر النبط	٣٠١
شعر الملوك والامراء	٣١٧

الموضوع	صفحة
النقائض في شعر النبط	٣٦٧
أدوار شعر النبط	٣٨٣
الشعر الشعبي في الاقطار العربية	٤٢١
ترف الشعر النبطي	٤٣٩
ملح وطرائف	٤٦٥
كلمة لا بد منها	٤٨٧
مراجع الكتاب	٤٩١

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

بناء القصيدة منسحة بألفاظ التهويل ، والتدبيع ، ورصفها على غلط تقليدي، يستوحى من شعر القرون الخالية.. لا يعبأ به الأدب المعاصر، ولا يقيم له وزناً، بقدر ما يحفل بالقصيدة، أو القطعة، تنبض بروح المجتمع وتتفاعل معه، وتذوب فيه، حتى ليسرف بعضهم، فيغض عن الهنات تخدش الفصحى، وتغل بالوزن، في جانب انتظامها في سلك هذه الأغراض، ونيلها من معين مجتمعاتها.. ومن أجل ذلك أصبح للأدب الشعبي – في نظر الأدب المعاصر – قيمة لا يستهان بها، لأنه وحى المجتمعات، والسفير بين دارس أحوال الأمم، وبين مجاهلها ومنعطفاتها، سواء منها دواوين الملوك والأمراء... أو الأكراد والكهوف...

لقد لعب هذا الشعر في الجزيرة العربية دوراً مهماً يصل إلى درجة الغربة والاستبعاد، عند من لا يعرف حقيقة المجتمع في هذه الجزيرة، وينظر – بطبيعة الحال – إلى هذا الشعر على أنه شعر شعبي، خاص بالسوقة، والطبقة الدنيا من الناس، يقطعون به فرائضهم، ويعمرون به مقاهيم وأنديتهم، ويستعين به أصحاب المهن على مهنتهم، بلحنونه، ويتفننون به.. وهكذا شأن هذا اللون من الشعر لدى المجتمعات الأخرى... أما من يحفل به الملوك، والأمراء، والقادة، ويستمع إليه عليه القوم، وصفوة المجتمع، وأما أن يلهب إحساس الأمة ويذكر فيها نار الانفعال، والتذمر، وأما أن يتخذ العاشق الوطان أداة للتعبير عن شجونه، ووسيلة لنشر مكنونه.. أو على الأصح يستعمل كما كان الشعر العربي الفصيح يستعمل، في أغراضه واتجاهاته، ومناحيه.. أما أن يكون بهذه المثابة، فليس إلا ما كان في جزيرة العرب، فلقد أناب الملوك عليه وأكثروا، وأمعنوا في العقاب عليه وأهدروا، ولطالما أصاحت المحافل للشاعر يتربع عن يمين الملك أو الأمير، أو يحتل الصدارة في المنتدى الكبير.